

محمد عصمت



رواية
ذاتوي
AUTISTIC

ذاتويّ

رواية لـ

محمد عصمت



نظراً لأنني أتنفسها عشقاً

ولأنني أذوب بها ولها

ولأنها تحيا بداخلي

fb.com/950660000000000 juice
زوجتي الجميلة

شكراً

أخيراً استجاب الباب للدفعات المستمرة التي يغمره بها كتف ذلك الجندي الذي اندفع للأمام و الباب ينهار تحت قدمه . تمالك الجندي أعصابه و استعاد توازنه و هو ينظر لضابطي الشرطة و هما يدخلان إلى الشقة ، ساد الصمت إلا من صوت تنفس الجندي العالي النابع عن بذله لمجهود بدني هائل ، دلف الرائد " شريف " و خلفه الملازم عمرو شريكه إلى الشقة توقف شريف و هو ينظر إلى الشقة و يتأملها بنظراته كانت شقة واسعة تتميز بدوق هادئ ، من الواضح أنها شقة أسرة لأن الللمسة الأثوية حاضرة و واضحة، كما أن الأثاث معظمه مازال بحالة جيدة جداً.

نقل شريف نظراته على الجمع الذي يقف خلفه منتظراً إشارته ليدلفوا إلى الشقة و يقوموا بأعمالهم ، قرر أن يقيم لدقائق أخرى فما حدث قد حدث و لا سبيل لتغييره كان يقف في الصالة التي تتصدر المشهد عند دخوله من باب الشقة في مواجهة الصالة الفسيحة غرفة سفرة تحتوي على منضدة بنية اللون ذات تصميم عربي أصيل منقوش على حافته بضع كلمات باللغة العربية لم يسمع له الوقت لمعرفة هل هي آيات من الذكر الحكيم أم أنها مجرد أبيات شعري أو حكمة قديمة ، تلمع تلك الكلمات ذهبية اللون بفعل الضوء المنعكس عليها من النافذة المفتوحة و التي يدخل منها تيار هواء بارد ترقص بسببه تلك الستارة البنفسجية اللون و كأنها تجامل أصعابها مجاملة أخيرة، ست كراسي تراصت بنظام حول المنضدة التي تتوسطها

مزهرية بها بضع وردبات صناعية جميلة تتألق في دلالٍ وسحر لا يناسب غموض الموقف ، هناك أيضًا أريكة جلوسٍ وتلفازٌ ضخمٌ يدلان على أن تلك الأسرة ميسورة الحال أو على الأقل كانت !

هناك على اليسار وفي موازاة باب الشقة بابٌ أبيض اللون مغلق تحرك شريف أخيرًا متجهًا إليه ومدَّ يده لكي يفتحه إلا أن نحنلةً منخضبةً من عمرو قد نهته ، مدَّ يده في جيبه وهو يخرج منديله بعدم اقتناع ويفتح الباب به حتى لا يتسبب في إفساد البصمات ، وإن كان يعلم جيدًا أنه ليس في نيويورك وأن تلك البصمات قلما تستخدم بل بالأحرى نادرًا جدًا ما تستخدم إلا إذا كانت القضية تخص الرأي العام أو أن أحد أطرافها لاعب كرة ، راقصة ، ممثلة أو سياسي !!

دلف إلى الممر الذي يؤدي إليه الباب ، هناك مصباحٌ صغيرٌ ينير بلونٍ برتقاليٍّ باهت ويطفى ضوءه الصناعي العجيب على كافة الموجودات : شعر شريف بقشعريرة وهو يقارن في رأسه بين هذا الضوء وبين النيران ، رجفة خفيفة اجتاحت جسده ، أفاق من مقارنته على طريقة بسيطة من عمرو على كتفه ، التفت ليجد عمرو يضع يده على قمه في إشارة للسكوت وهو يشير له بيده الأخرى على أذنه ... أنصت السمع حتى سمع صوتًا هادئًا يهدر بخفوت كأنه موتورٌ قديمٌ صدئ ، ولكنه يكاد يجزم أن هذا الصوت يخرج من حنجرة بشرية ، كان الممر يحتوي على غرفتين على الجهة اليمنى كلٌّ منهما بابها مغلق ، وعلى باب

مفتوح في الجهة اليسرى يبدو منه المطبخ المظلم و الذي يحاول نور القمر المنسلل إليه من نافذة زجاجية مغلقة أن يضيئه بعض الشيء :
مشى بهدوء و هو يشير إلى عمرو و القوة المرافقة له بأن يلتزموا أماكنهم و أن يسمحوا للصمت أن يثلبسهم , مدّ يده بمندبله إلى مقبض أولي الغرف و هو يفتحتها في بطء شديد و يحاول قدر الإمكان أن يتمالك أعصابه أمام القوة - فهو أكبرهم رتبة - أخيرًا انفتح الباب ليتأمل حمامًا أبيض اللون نظيفًا مرتبًا , تأمله للحظات و هو يتابع بعينيه عبوات مستحضرات التجميل التي تنصدها ماركات عالمية و هي مصطفة بانتظام على حافة المرأة أغلق الباب و هو يشير لعمرو إشارة تحمل معنى أن تلك الغرفة نظيفة , باقي أمامه باب واحد قبل أن يدلف للمطبخ صوت الهدير يعلو باستمرار , تأكد أنه يصدر من المطبخ عندما وقف على باب تلك الغرفة و أصغى السمع فلم يسمع من داخلها صوتًا أشار لعمرو بيده على أن الصوت ليس من داخل الغرفة فأشار له عمرو أنها التلاجة القابعة في المطبخ , ربما تحتاج إلى إصلاح ... مطّ شفتيه في عدم اقتناع و هو يمدّ يده إلى المقبض الأبيض بصمت و قبل أن يلمسه انقطعت الكهرباء كلمة غير واضحة المعالم اندلعت بسخط من بين شفتي شريف و هو يخرج هاتفه المحمول و ينير به ريثما أحضر له عمرو الكشف الضخم الذي باتو يستعملونه مؤخرًا بعد تكرار أزمة انقطاع الكهرباء , ساد صمت تام إلا من الهدير الذي تيقن شريف أنه من المستحيل أن يصدر من أي جهاز كهربائي الآن !

نظراً لأنني أتنفسها عشقاً

ولأنني أذوب بها ولهاً

ولأنها تحيا بداخلي

وأحيا بداخلها

ولأن عينها سبيلي الوحيد للنجاة

ولأنني أحيا

وجب هذا الشكروالعرفان بالجميل

زوجتي الجميلة

شكراً

تراجع عمرو إلا أن شريف أمسك معصمه بقبضة حديدية وهو يشير له أنه سيدلف إلى تلك الغرفة معه ، هزّ شريف كتفيه في تفهم وهو يشير للجندي أن يحضر له كشافاً آخرًا ، فتح الكشاف و سلّط كلّ منهما الضوء على الباب ... قرّر شريف أنه سيفتح الباب مرة واحدة ليستغل عنصر المفاجأة وتضمّ عمرو الأمر . الحديث كان يدور بينهما بإشارات لا يفهما إلا رجال الشرطة . فتّح الباب و سلّط الرجلان الضوء على الغرفة التي أنارت بالكامل مع فتح الباب ، ثمنى الرجلان ألف مرة أن يعود بهما الزمن للخلف ولا يضطرا لفتح الباب ... ما رآه كلاهما كان كفيلاً بتدمير استقرارهما النفسي لشهور طويلة ناهيك عن الكوابيس البشعة التي ستلازمهما لفترة كبيرة من حياتهما : لم يتحمل عمرو فانتحي ركنًا وأخذ يقئ في عنقب وشريف ينظر له نظرة تختلط فيها الشفقة والاحتقار . نظر شريف للهول الذي يواجهه في الغرفة مرة أخرى وأخذ يتأمله وهو يقاوم بشدة ألا يفقد الوعي تجاه كل تلك البشاعة يتأمل المشهد الذي أوقن بداخله أنه لن ينساه على الأقل لفترة !

وقف بهاء أمام شباك المطار وهو ينظر للموظف الذي ختم جواز سفره و التفت إليه بابتسامة تنير وجهه و هو يقول بصوت هادي مهذب :

أخيرًا استجاب الباب للدفعات المستمرة التي يغمره بها كتف ذلك الجندي الذي اندفع للأمام و الباب ينهار تحت قدمه , تمالك الجندي أعصابه و استعاد توازنه و هو ينظر لضابطي الشرطة و هما يدخلان إلى الشقة , ساد الصمت إلا من صوت تنفس الجندي العالي النابع عن بذله لمجهود بدني هائل , دلف الرائد " شريف " و خلفه الملازم عمرو شريكه إلى الشقة توقف شريف و هو ينظر إلى الشقة و يتأملها بنظراته كانت شقة واسعة تتميز بذوق هادئ , من الواضح أنها شقة أسرة لأن اللمساة الأنثوية حاضرة و واضحة, كما أن الأثاث معظمه مازال بحالة جيدة جدًا.

نقل شريف نظراته على الجمع الذي يقف خلفه منتظرًا إشارته ليدلفوا إلى الشقة و يقوموا بأعمالهم قرر أن يبقهم لدقائق أخرى فما حدث قد حدث و لا سبيل لتغييره كان يقف في الصالة التي تتصدر المشهد عند دخوله من باب الشقة في مواجهة الصالة الفسيحة غرفة سفر تحتوي على منضدة بنية اللون ذات تصميم عربي أصيل منقوش على حافته بضع كلمات باللغة العربية لم يسمح له الوقت لمعرفة هل هي آيات من الذكر الحكيم أم أنها مجرد أبيات شعري أو حكمة قديمة , تلمع تلك الكلمات ذهبية اللون بفعل الضوء المنعكس عليها من النافذة المفتوحة و التي يدخل منها تيار هواء بارد ترتقص بسببه تلك الستارة البنفسجية اللون و كأنها تجامل أصحابها مجاملة أخيرة, ست كراسي تراصت بنظام حول المنضدة التي تتوسطها

" حمدًا لله على سلامتک

ابتسم بهاء ولم يرد . حمل حقيبتة على كتفه و خرج من بوابة المطار .
توقف بهاء أمام بوابة المطار و فكر للحظة أن يستنشق نفسًا كبيرًا
ليتمتع بهواء الوطن بعد تلك الغيبة . ولكنه شعر أن هذا الأمر مبتذل
لسعته شمس القاهرة فابتسم و شعر أنها تحببه بعد تلك الغيبة
الطويلة اقترب منه شابٌ أسمرٌ نحيل يرتدي قميصًا أزرق و بنطالًا
قماشيا أزرق اللون و إن كان قد بهت قليلًا من كثرة الاستعمال , كان
يرتدي نظارة شمسية تحمل إحدى العلامات التجارية الشهيرة و إن
كان يظهر جليًا أنها ليست أصلية : بإنجليزية كسيحة تحدث الشاب :

" hotel sir?? "

نظر له بهاءٌ وهو يردّ بصوتٍ منخفضٍ من بين أسنانه :

" لا أريد فندقًا ... أريد عنوانًا محددًا "

نظر له الشاب نظرة احتقارٍ و مشى وهو يغمغم بكلماتٍ ساخطةٍ قبل
أن يناديه بهاء مرة أخرى :

" أليس للمصريين الحق في ركوب سيارات الأجرة هنا ؟؟ "

نظر له الفتى وهو يرد عليه بلهجة من يرد أن ينهي الحوار :

" لهم الحق ولكنهم لا يدفعون مثل الأجانب ... فدعني وشأني . "

أخرج بهاء من جيبه عملة نقدية خضراء وهو يلوّح بها في الهواء قبل أن يسرع الشاب إليه ويحمل الحقيبة من على كتفه ويحييه بابتسامة واسعة ظهرت لها أسنانه التي تخرها دخان السجائر فتحوّلت لما يشبه المعبد المهدم ، فتح له باب السيارة وانحنى نصف انحناءة أمامه ، ابتسم بهاء وهو يقول :

" أألم أقل لك أنني مصري ؟؟ "

أجاب الشاب وهو يفلق باب السيارة ويسرع إلى مقعده :

" أنت مصري ... نقودك لا "

ابتسم بهاء فزادته ابتسامته وسامة ، تأمله الشاب في مرآة السيارة : شابّ أبيض البشرة طويل الشعر منسقه عيناها البنيتين و شعره المائل للون البني يصنعان معًا سحرًا يتناسب مع نظارته الطبية التي يرتديها ، لعينه خفيفة منمقة وزيه نظيف منسق و متماشي الألوان بطريقة مذهلة : شعر بهاء أن الفتى يطيل التحديق به فحدّثه وهو ينظر لمعطر الجو الذي يتدل من مرآة السيارة وقد خفّت لونه بسبب كثرة تعرضه للشمس :

" مصر جميلة "

أجابه السائق ونظراته على الطريق وهو يحاول أن يتجاوز السيارة التي أمامه :

"مصر جميلة لمن يريد أن يراها جميلة"

مزيها، رأسه موافقاً قبل أن يتابع الشاب :

"قلت لي أنك مصري ولكن لا يبدو عليك هذا حتى لهجتك قد تأثرت بمعيشتك في الخارج إذا لم تعتبره طفلاً منذ متى أنت تعيش في الخارج ؟"

ابتسم بهاء وهو يقول :

"ولماذا أصبحت مصري الداخل والباقيون هم الخارج ؟؟ إنه تلاعب بالكلمات ولكني أعتبر أنه تقليل من قيمتها وعموماً في إجابة على سؤالك : أعيش في الخارج منذ ما يقارب العشرين عاماً ولم أفضي في مصر سوى السنوات الأولى فقط من عمري ولكنني عدت أخيراً"

"لماذا ؟؟ ألا تعرف أن نصف شباب مصر يطمح لمغادرتها بلا رجعة ؟"

"كل من يريد أن يتخلى عن وطنه مهما كانت محنته أو أزمته لا يستحق أن يحيا على أرضها فليسافر وليرى كيف يتعامل الآخرون مع أي شخص خارج وطنه وليقرر بعدها كم سيتحمل قبل أن يتمنى عودته هنا"

مطّ السائق شفثيه وهو يقول :

"كلام كبير ليس لأمثالي القدرة على فهمه و لكنني طامح يا سيدي أن أعرف لماذا عدت بعد تلك المدة؟ "

بدا وكأن بهاء لم يسمعه وهو يفتح حقيبته ويتأمل الموجود بداخلها وهو يتمتم :

" أنعرف ... لقد كلفتني تلك الحقيبة مبلغًا وهميًا سواء في شراء مقتنياتها أو في تمريرها عبر المطار "

تأمل بعينه محتويات الحقيبة وعيناه تلتمعان بشهوة غريبة ... تأمله السائق للحظة قبل أن يغمرم في سخط وهو يتابع الطريق بعينه.

جثة رجل شاب تجاوز الأربعين سنة مشقوفةً طولياً و أمعاؤها بالكامل تتدلى منها وإن كانت ممزقةً بوحشية غريبة ، هناك خطوط حمراء على الرقبة والوجه وعلى الصدر بالعرض قبل أن يشق طولياً ، يبدو أن القاتل كان يتسلى بتعذيب الرجل قبل أن يقتله ، إحدى عينيه غير موجودة في محجرها و إن لم تحتج لبحث لتدرك أن تلك المادة البيضاء الموجودة في فم الرجل هي عينه المفقودة ، أذناه غير موجودتان على الإطلاق ، كف يده اليمنى يفتقد إصبعًا ، ضلوعه العارية مكسورة بينما ينغرس قلبه لأخره في أحد تلك الضلوع وقد تخلى عن شرايينه ؛ جثة الرجل بكل البشاعة الموجودة فيها كانت

ارحم كثيرا من جنة المرأة , لا داعي لذكر ما رآه شريف ولكن الأمر
الغريب أن الدماء وصلت حتى السقف , غطت الحوائط , القطاء
الأبيض امتزج بياضه بحمرة الدماء .

مدّ شريف يده ليفلق الباب مرة أخرى و هو يرت على ظهر عمرو
الذي كان يحاول أن يتمالك أعصابه و هو يهتف :

" سيدي ... هذا ليس من فعل بشر !! "

هتف به بحنق :

" عمرو ! ... تمالك ... أنت لست بصغير

" سيدي أنت تعرف جيدا صحة ما أقول "

أمسكه من يده وجذبه بعيدا عن القوة التي تراقبهما بأعين مندهشة ,
فهم لم يروا بعد ما بداخل الغرفة وقف شريف أمام عمرو و هو
ينظر له نظرة نارية و يهتف به في لهجة حاول أن يجعلها فاسية إلا أنه
اندهش عندما سمع صوته وقد امتلأ بالحنو :

" عمرو ... أنت ضابط أنت أقدمهم رتبة و أعلامهم شأنًا ! يجب أن
تتماسك أمامهم ... لو فقدت أعصابك سينهار الجميع . "

نظر له عمرو و اغرورقت عيناه بالدموع :

" أنت رأيت ما بالداخل ... أرجوك أخبرني أنه يقترب من فعل البشر "

نظر شريف للأرض و عبث بحذائه في طرف السجادة المفروشة و هو يجيب :

" ولو ! يجب أن تتماسك "

" سيدي !! "

نظر له شريف و شعر أن الخوف و الرعب يرقصان معاً رقصةً بطيئةً
اخذ قلبه و هو يجيب :

" أعلم !! ... ولكن "

قطع شريف كلماته و هو ينصت السمع , لقد زادت حدة الصوت الذي يصمم أن يهدر بعنف رغم الظلام الذي تلبس الشقة أشار لعمرو أن يتبعه , تردد للحظاتٍ إلا أن نظرةً ناقيةً من شريف جعلته يحسم أمره و هو يتبعه بأرجلٍ مهالكَةٍ من التوتر , كانت يده تهتز بالكشاف مما سبب الكثير من الغيالات على الجدران , لم يحتمل شريف هذا التوتر , كزّ على أسنانه و هو يختطف الكشاف في حركةٍ سريعةٍ من يد عمرو المرتعشة , أمسك الكشاف إلا أن قبضته كانت طليئةً بالعرق البارد الناتج عن توتر عمرو , أشار للجندي الذي أتى و هو يعطيه الكشاف و يشير له أن يتقدمهم نظر له الجندي بدهشةٍ و هو يسأل نفسه :

((منذ متى يتقدم الجنود على الضباط ؟؟))

منا لم يجد عقله البسيط إلا تفسيرًا واحدًا سيواجه كارثة و هم
دفعوا به للمواجهة كي يتلقاها بدلًا منهم : بدأ عقله البسيط الساذج
يستعيد ذكريات الفيلم المرعب الذي شاهده في تلفاز المقهى القنر
الموجود في بداية فريته عندما كان في إجازة . كان يجلس على المنضدة
ويده كوبٌ متسخٌ من الشاي وعيناه معلقتان على الشاشة كان
البطل يتقدم في ذلك الممر المظلم وهناك سائلٌ لزجٌ أخضر يتساقط
من الجدران ما هو إلا دم تلك الوحوش الكريهة التي ظلت تهاجمه
باستمرار , كان يحمل بيده سلاحًا متقدمًا وعلى بدايته كشافٌ صغير ,
صوت التنفس العاذ الذي يشق الهواء بثقله كان يتردد في أذنيه
الغريب أنه كان يسمع صوت التنفس الثقيل كأنه ينادي باسمه !!

"مسعد ... مسعد ... مسعد !!"

أفاق مسعد من خيالاته على صوت شريفٍ و هو يهتف فيه بصوتٍ
خافتٍ وإن ظهرت فيه العدة والغضب

" ما بك تسمرت مثل التمثال ؟؟ تقدم يا فتى!"

انتصب جسده و هو يهتف بصوتٍ خافتٍ أيضًا

"أمرك يا سيدي

قبل أن يتحرك لم ينسَ أن يجول بضوء الكشاف على الجدران خمرية
اللون ليتأكد من خلوها من ذلك السائل اللزج الذي رآه في خيالاته :

تقدم نحو باب المطبخ في خطواتٍ بطيئةٍ و هو يستمع لصوت الهدير يتصاعد ، نظر مسعد لشريف الذي يتقدم خلفه و قد اتخذ وضع الهروب مقدماً ، مؤخرًا نفسه عن مسعد عدة خطوات و مائل الجسد مستعدًا للركض بينما يده اليسرى على جراب مسدسه الذي يتدل و قد ثبتت يده عليه ، نظر مسعد أمامه و هو يقترب من الباب ، وصل أخيرًا إليه ، استند بظهره على الحائط البارد بجسده المليء بالعرق ، شعر أن برودة الحائط تمد جسده بالسكينة ، ثبت على هذا الوضع قبل أن يعطيه شريف الإشارة قرأ الشهادتين و آية الكرسي قبل أن يعتدل بجسده و هو يدخل إلى المطبخ إلا أنه تسمرو قد فغرفاه من الدهشة !!

تجمد المشهد لدقيقةٍ كاملة حتى القلوب توقفت عن الدقّ و الدماء تجفدت في العروق ظهرت علامات الهلع على وجه عمرو مختلطة بإشارات الصدمة القوة المرافقة له تشبثت أعينها بمسعد الذي تجمد مكانه و يده تهتز بعنفٍ غير مبرر ، فمه متسعٌ على آخره و عيناه تكادان تخرجان من محجريهما ، رأى شريف الكشاف يسقط أرضًا من بين يدي مسعد الذي اتسعت قبضته عليه و مازالت عيناه تصرخان من الدهشة بصوتٍ لا تسمعه إلا القلوب الخائفة ... تحرك ببطء أعطى عمرو الكشاف الذي يحمله ، تناوله الأخير بحركةٍ آليةٍ و هو لا يرفع عينيه من على مسعد ، أخرج مسدسه من جرابه و أحكم قبضته عليه ، حرّز زر الأمان و هو يثبت إصبعه على الزناد ، جرى بخطواتٍ

سريعة حتى وصل لمسعد وعندما اقترب منه ترك قدميه تتحركان على البلاط الأملس يكاد يكون يتزلج بجانبه عدل وضع جسده لكي يواجه الباب بينما دفع مسعد بجسده من موضعه ليعده عن إطار الباب , مد يديه أمامه مفرودتين وقد انثنت قبضته على المسدس بينما نشنجت باقي عضلات جسده وهي تعلن التوقف أمام الباب , اللحظة أخرى تأمل المشهد على آخر ضوء للكشاف المحتضر قبل أن ينطفئ ضوء الكشاف ... للأبد !!

ويعلو صوت الهدير معلناً بداية لغز جديد !!!

فتح شريف عينيه وهو يتأمل الطبيبة التي تجلس أمامه , كانت تريح ساقيها اليمنى فوق يسراها وهي تمسك بذلك القلم الذهبي من طرفه وتنقره طرف المنضدة بانتظام ممل نظرها للحظة قبل أن يعتدل على الشيزلونج ويجلس وهو يواجهها حاول أن يمدّ يده ليمسك القلم ليمنعه من إصدار ذلك الصوت الرتيب إلا أنها أبعدت يدها ولم تنس أن تواصل النقر , ظهرت على وجهه علامات الضيق وهو يتأمل شعرها الباذنجاني القصير الذي يحيط بوجهها كهالة من ضوء أرجواني اللون ولكنها امتصّت ضيقه بفعل سحر جمالي كان ولا يزال موجوداً أضاء وجهها , عيناها الرامدتان اللتان تخفهما نظرة أنيقة تناسبان طردياً مع حمرة وجنتها البيضاوين , كلما ازداد بريق الجمال

في عينها ازدادت معه حمرة خدودها بشكل يثير القلوب ، ففكر في نفسه : ((لابد أنها كانت فاتنة عندما كانت أصغر))

لاحظ ابتسامه رقيقة تراقص على شفرتها المكتنزين و اللتان لم تنس
طلأهما بلون الثوت المحمر ليضفي عليهما شهية غير طبيعية ... فكر
مرة أخرى : ((نأ لتلك المرأة))

أدار وجهه وهو تأمل الكتب التي تطل من المكتبة فاجأته بصوت
مبحوح مختنق بالدلال والغنج بالسؤال :

" ما بك ؟ "

نظر لها بدهشة وهو يتساءل هل سمع صوتها بدلال لأنها تعمدت هذا
أم أنها تتلاعب به ؟ قرر أن يختبرها و يختبر نفسه فأجاب سؤالها
بسؤال آخر :

" ما بي ؟ "

ابتسمت مرة أخرى ولم ترد ففكر في صمت : ((نأ! إنها تزداد جمالاً
و تتلاعب بي))

قرر أن يبادرها بالهجوم قبل أن تنكسر حصون قلبه و خطوط دفاعه
الأخيرة أمام هجمات جمالها الأخاذ :

" لماذا تبتسمين ؟ "

" هل تعلم أن هناك عدة ألوانٍ أخرى من صبغة الشعر و عدسات
العيون ؟؟ وعلاماتٍ تجاريةٍ أخرى من أحمر الشفاه و أحمر الخدود و
الماسكارا تضفي جمالا كاذبا على النساء ؟؟ "

" هل تقصدين أنكِ صبغتِ شعركِ و ترتدين عدساتٍ لاصقة ؟ "

" هل تعتقد أنني سأهدم هذا الاتيهار بإجابتي على هذا السؤال ؟؟ "

أمسكت خصلةً من شعرها وهي تلفها على إصبعها و تقول :

"ربما ... وربما "

تعلقت عيناه بشعرها و يدها عيناه أخذتا روحه على حين غرة
لتلقي بها في بني عميقٍ بلا قاع و عندما وصل لقاعه فوجئ بقلبه
يرقص مع قلبها في بركةٍ مليئةٍ بالحب و الروماند...

قاطعه صوتهما :

" أنت لا تحبني أنت في حاجةٍ للعاطفة ... من فضلك أنت هنا
لنتخطى مرحلة التأهيل النفسي لا لتغازلني

فجأة تنبه إلى أن قلبه لم يسقط في بركة حب ... بل سقط في بركةٍ من
الماء البارد , انتفض جسده و هو يعود لينام على الشيزلونج و يغمض
عينيه مرةً أخرى استعادت عاداتها في النقر بالقلم تحدث و هو
مغمض العينين بينما يشبك أصابع كفيه على صدره :

" أنت تعلمين أنني أكره هذا الصوت ! "

" وأنت تعلم أنني أكره صمتك "

فتح عينيه وتجهّم وجهه وهو يتفادى النظر لعينها :

" ماذا تريد مني أن أفعل ؟ "

أجابت وقد توقفت عن النقر وبدأت تشعر أنها تنجح :

" قصّ عليّ ما حدث. "

أجاب في عنادٍ كعناد طفلٍ تعاقبه أمه :

" لا أريد "

" ستقصّ ... أنت تعرف بأن تلك القضية قد أغلقت منذ ما يقرب من

عامٍ كامل ... يجب أن تستقر نفسيّاً كي تستكمل مسيرتك المهنية "

نظر لعينها و أهدأها التي تألقت الماسكرا السوداء في رسم أعنى
خطوط الإغراء عليها بينما الكحل الأسود يرسم عيناها كما لم يز من
قبل وهو يحكي ..

يحكي لأول مرة في حياته ..

ساد الظلام التام إلا من ضوء الكشاف الذي يمسكه عمرو و يقف مكانه في وسط القوة . صوت الهدير يعلو : القرب عمرو بخوفٍ و هو يحاول أن يطمئن نفسه لكن هيئة شريف الذي يقف ثابتاً و قد تسمر جسده لم تطمئنه بل بَنَتْ في قلبه من الرعب اطنائاً لا حدود لها . وصل لما قبل باب المطبخ ، ما زال صوت الهدير يعلو باستمرارٍ حتى لتعتقد أنه لن يتوقف ولن يفتفي : مَدَّ يده بالكشاف و رَئَتْ على ذراع شريف الذي يقف في الظلام وحيداً ، لا يزال مسعد ملقى أرضاً و إن اعتدل ليجلس و هو يتابع المشهد بصدرٍ يعلو و يهبط بسرعةٍ مخيفَةٍ من الانفعال . لم يتحرك شريف ، رَئَتْ عمرو مرةً أخرى على ذراعه قبل أن يتحرك شريف للمرة الأولى منذ تجمّد المشهد ، نظر لعمرو بعينين حمراوتين من الانفعال ، شفته السفلى ترتجف في انفعالٍ لم يحاول إخفائه : مَدَّ يده و هو ينظر لعمرو بصمبٍ منفضٍ و هو يفتح عقدة ربطة العنق و يفتح الزرَّ الأعلى من القميص البياقة البيضاء التي تلتطخت بلونٍ أصفرٍ باهتٍ من العرق ، حنجرته التي ترتجف بخوفٍ و هو يبتلع ريقه ، صدره العريض الذي توقف عن الاهتزاز : مَدَّ عمرو يده بالكشاف لشريف الذي تناول الكشاف و هو يوجه بقعة الضوء البيضاء إلى منتصف أرض المطبخ صوت الهدير يتحول ببطءٍ لما يشبه الزمجرة ، نظر عمرو بطرف عينه و كأنه لا يجسر على النظر لما تشير إليه دائرة الضوء عندما وقعت عينه على المشهد لم يعد يدري ما هورد الفعل المناسب المفترض أن يشعر به ... أهو الخوف ؟؟

الشفقة ؟؟

الحنان ؟؟

الرعب ؟؟

النفور ؟؟

كلها مشاعرو أحاسيس اجتاحت قلبه في تلك اللحظات القليلة التي تبعت رؤيته للمشهد , طفلٌ صغيرٌ تعدّى الثلاث سنوات يجلس أرضاً و قد ثنى إحدى قدميه أسفله والأخرى مفرودة أمامه , يرتدي زناً مكوّنًا من قطعة واحدة أزراها من الخلف كي لا يستطيع أن يخلعها أثناء عبثه , شعره البنيّ المائل للون الأصفر يلتمع تحت أشعة الكشاف, يضع يديه على أذنيه كما لو أن ضوضاء الكون كله تطارده بينما يغلّق عينيه بعنف هال عمرو طريقة إغلاقه لعينه شعر عمرو هنا بالحيرة , ما الذي يدفع طفلاً في مثل هذا العمر لاتخاذ هذا الوضع الدفاعي ؟؟

ما الذي رآه أو سمعه ليغمض عينيه ويسد أذنيه هكذا ؟؟

كان الطفل يغلّق فمه بعنفٍ بينما ينبع الهدير من داخله , يصرخ و لكنه مغلق الفم , كل ما مرّ من ملاحظات كان عادياً لحبٍ كبير ... الأمر العجيب أنه يتأرجح بجسده الصغير للأمام وللخلف في سرعة كبيرة ,

يرتجّ بعنف كما أن لو أن هناك ما يسيطر عليه و يدفعه لتكرار تلك
الحركة بلا توقف.

تبادل شريف وعمرو النظر بدهشة بالغة ... نظرات الأعين تحمل آلاف
الأسئلة بلا إجابة

من الذي قتل الرجل والمرأة الموجودين بالداخل ؟

كيف مُثِّل بجثثهم هكذا ؟

لماذا لم يلقَ الطفل نفس المصير ؟

السؤال الأخير لم يلقَ إلا جوابًا واحدًا في قلب كلا الرجلين , نظرًا تجاه
الطفل بغوف و شريف يتراجع خطوة للخلف : عمرو كالعادة يشعر
بالوهن والضعف , نظر شريف لمسعد مرة أخرى و هو يشير له بيده
يفتصمها الارتجاف الذي لم يحاول منعه الهول أكبر من أن يتم
إخفاؤه حاول مسعد أن يعتدل إلا أن رجفة خفية جعلته يترنح
للحظة قبل أن يستعيد توازنه , بالطبع لم يز مسعد إلا لمحة بسيطة
إلا أنها كانت كافية لإثارة الرعب و الفزع في قلبه مدّ يده ليتناول
الكشاف إلا أن شريف أشار له بالدخول من دونه , نظر له نظرة أخيرة
قبل أن يتحرك لداخل المطبخ : لا يزال الطفل يُصبر هديره المصحوب
بزمجرة مزعجة كان قلبه يرتجف و هو ينحني على ركبتيه أمام
الطفل , نظر للخلف إلا أن النظرة الجامدة على وجه شريف و ملامح

وجه عمرو المنقبضة لم تكن مشجعةً على الإطلاق مد يديه
المرتجفتين إلى جوار الطفل كاد يحتضنه و يحمله إلا أن هاجسًا
خفيًا بداخله أوحى له بلمسه في البداية مجرد لمسة بسيطةٍ ينهه
فها إلى أنه هنا : بمجرد أن لمس كتف الطفل صمت الطفل تمامًا ,
ساد الصمت المكان مغلّفًا إحساسًا غريبًا للأذان التي تعودت على
سماع صوت الهدير , توقف جسده أيضًا عن الاهتزاز, جمودًا تامّ ساد
الأجواء , وكما لو أن الوضع مُعَبّ تجمد جسد مسعد , شريف وعمرو
تمامًا في انتظار ما سيحدث ... وليتهم لم ينتظروا !

ليت مسعد لم يمسّه !

فتح الطفل عينيه بعنفٍ و هو يتأمل الجدار الموجود أمامه قبل أن
يفتح فمه عن صرخةٍ مريّة , لم يكن هذا هو المرعب وإنما كان فمه !
فمه وأسمانه التي امتلأت بالدماء الحمراء القانية !

اعتدلت الطيبة وأنزلت منظارها على قصبة أنفها وهي تتأمل تهدّجَه
عند ذلك المقطع تعتمد عدم النظر في عينها و هو يهرب بعينه إلى
المكتبة يتأمل العناوين على كُعوب الكتب , فاجأته بصوتٍ هاديٍ رخم
دغدغ مشاعر فزعهُ لتفرّ هاربةً وهي تقول :
'ولكن التحالف أثبتت أنها لم تكن دماءً'

التفت في سرعةٍ وعيناه تنثران قطرات الغضب لتعرق هدوءها :

"لا شأن لي بالتعالييل "

حاولت أن تمتص غضبه وهي تنظر لعينه في تركيز:

"اخبرني ما هي الطريقة التي تثق بها تمام الثقة "

أجابها بصوتٍ بدأ يشوبه بعض الهدوء :

"لا أثق إلا بعيني، فما رأيت يومها لا يُنسى "

ابتسمت ابتسامةً ساحرةً كشفت عن صفٍ أبيضٍ مستوٍ من الأسنان
المرمرة وهي لا تزال تنظر في عينيه :

"حسنًا قصّ عليّ ما حدث بعدها "

مطّ شفته وهو يقول بعناد :

"لا أريد "

"أعلم أنك لا تريد "

نظر لها بغضبٍ قبل أن تتبدل ملامحه فجأةً للخوف وهو يقصّ عليها
ما حدث :

"صرخ الطفل بعنف ... كان فمه وأسنانه مليئين بالدماء العمراء
رأى مسعد مظهره قصصر هو الآخر"

قطع كلماته وهو ينظر إليها و ب بعينيه للمرة الثانية :

"هل تتخيلين منظر جنديّ قويّ الجسد طويل القامة صعيديّ النشأة
بصرخ وهو يبكي قبل أن يتبول في سرواله !!"

لم ترد وإنما هزت رأسها إليه بإشارة معناها استمر ولا تقطع حديثك
، نظرها وهو يتمتم بكلمة ساخطة بصوت خفيض ويستكمل .

"تراجع مسعدّ للخلف في سرعة وارتباك قبل أن يتعثر فسقط أرضاً.
استند على الأرض ببديه وهو يتراجع زاحفاً للحظات قبل أن يستسلم
أمام الصرخات وهو يبكي : فكر كثيراً في تلك اللحظات ، إن من يواجه
الموت يقول بأنه يرى حياته كشرائط سينمائيّ أما من يواجه الخوف ،
الرعب . الفزع . فيختلف الأمر معه ... الأمر يشبه أن ترى لقطات ثابتة
. تكاد لا تتحرك حتى لتصيبك العيرة هل هي تتحرك أم أنها ثابتة. و
قبل أن تأتلك الإجابة تُفاجأ بأنك انتقلت للقطعة أخرى كل هذا
يحدث في جُزْء ثوان معدودة : رأى مسعد وجه أ العجوز في بلدتهم
الرفيعة تجلس أمام مخبز حجريّ نخيز الخبز و تضر من عينا دمة
اشتباهي لولدها المجند....

رأى فتاته وهي ترتدي جلباباً ودي اللون وتجلس حزينة تفكر فيه ..

رأى أصدقائه يجلسون على المقهى يقتقدونه...

والأهم ... رأى نفسه !

رأى لقطاتٍ من طفولته ... شبابه ... تجنيده ... قصة حبه ... حب أمه
له

قيل أن يفتق ليجد الطفل قد صمت تمامًا ، استعاد وضعه السابق و
انهمك في تلك الحركة الغريبة ولكن بدون أن يهده هذه المرة ، استعاد
مسعد وعيه مرةً أخرى وكأنه كان غائبًا عن الوعي ، تراجع بفزع زاحفًا
أن يرفع عينيه ، شعر بيد شريف توضع تحت إبطه ، انتفض
جسده بعنفٍ و حاولت روحه أن تفرّ إلا أن أوانها لم يجن ، التفت
بعنفٍ ليجد عمرو و شريف يساعده ، ترك لهما جسده ليساعده
على أن يقف على قدميه ، وقف ينظر لهما للحظاتٍ و هو مذهولٌ غير
فاهم ... شكّوا للحظةٍ أن يكون قد فقد عقله من أثر الصدمة إلا أنه
أخيرًا تحرّك و بدى أنه شعر بالسانل الدافئ الذي بلل بنطاله فنظر
أرضًا بخجلٍ قبل أن يرمّت شريف على كتفه و هو يهمس له :

" لا بأس ... أنت أشجعنا جميعًا "

تركه و تحرّك حتى وصل للجائط ، أسند جبهته على الجائط و دفن
وجهه بين يديه و هو يبكي بعنف ، حاول عمرو أن يهدئه إلا أن شريف
منعه ... كان يعلم جيدًا أنه يحتاج لهذا الأمر .

نظر لها شريف مرةً أخرى و على شفثيه ابئساماً تخبرها ((لقد
أنهيت ما عندي)) ... فبادلته الالبئسامه بأخرى من طراز ((ما زال
هناك المزيد))

صمت للحظات و هو يفكر في الأحداث و يتخيلها مرةً أخرى قبل أن
يزفر بعمق و هو يدرك أخيراً أنه تحت برائتها و لا مجال للهروب منها ,
يجب أن يستكمل إذا أراد أن يظفر بحريته منها لا سبيل آخر ...
فليقصر !

ابتلع ريقه بصعوبة و هو يهرب بذاكرته لذلك اليوم .

ما ين باقي القوة المصاحبة لهما التي تتراجع خوفاً مما لم تز و لكن
أثاره واضحةً بينةً أمامهم و بين مسعد الذي يبكي على العائط و
جسده يهتز و هو ينشج بعنف و عمرو الذي ينظر لشريف في خوف ,
أصابته الحيرة و لم يدرك العمل ها هنا , الغريب أن شريفاً أسقط في
يده و لم يعد يفكر بمنطقية , و أي منطقية بعد ما رأى بأمر عينيه , قرر
أخيراً أن يلجأ لشيء طالما هرب منه , يجب أن يطلب العون من رئيسه
المباشر و هو ما لا يفضل لاعتبارات عدة أخرج جهاز اللاسلكي
الخاص به و خاطبه فلم يجب خمن أنه الآن في منزله و ربما يكون
نائماً , لا مفر سوى أن يصل له عن طريق هاتفه المحمول أخرجته
من جيبه و أخذ يبحث في أرقامه حتى وجد ضالته ... صمت قليلاً حتى
جاء الرد من الجهة المقابلة فبدأ يتحدث .

صوت رنين الهاتف يشقُّ صمت الليل ويغتصب هدوءه ، تقلّب العقيد كامل في فراشه يحاول منع الصوت المزعج من اقتحام عالم أحلامه إلا أنه فشل قرر أن يتركه حتى يصمت إلا أن زوجته اعتدلت على الفراش وهي تضيء الغرفة اعتدل وهو ينظر لها لتبادله النظر بعيون ذابلة من قلة النوم تحمل نظرة لائمة ، خرج من تحت الغطاء بصعوبة وقدماه الدافئتان تصرخان عندما صاقتها الأرضية الباردة ، حمل هاتفه ونظر للإسم للحظات قبل أن يطلق سبةً مستترّةً وهو يخرج من الغرفة ويغلق بابها خلفه قبل أن يرى ضوءها يُغلق زوجته تنتم ببضع كلمات وهي تستسلمي لتستكمل نومها

أغلق الباب خلفه قبل أن تتبدل ملامحه للملامح أكثر صرامة وهو يضغط زر استقبال المكالمة ويهتف بصوت غاضب :

" أرجو أن يكون الأمر يستحق يا سيادة الرائد!"

أنى صوت شريف مهزوزاً

" الأمر يستحق يا سيدي .. أنت تعلم أنني لن أزعجك دون سبب "

صاح به بلهجة أمرة :

" هل تنوي أن تخبرني بسبب اتصالك ! "

اهتز صوت شريف مرةً أخرى صمت للحظات قبل أن يأتي صوته مصحوباً بصوت بكاء خافت في الخلفية :

" أنت تعلم أننا اتجهنا للتحقيق في بلاغ عن جريمة قتل لزوجين ...
بالفعل دخلنا إلى الشقة ولكن الضوء قد

" شريف !!! "

" سيدي باختصار، الجثث ممزقة شر تمزيق و معاملة معاملة غير
أدمية وعلى وجهها اعنى علامات الرعب والهلع و.....

" باختصار يا شريف ... ليس هناك قاتل أو ما يدل على القاتل فقررت
أن نُعزّي الأمر للخوارق و أننا أمام أمر غامض يتعلق بالماورائيات
أليس كذلك ؟؟ "

" يجب أن تمتنع عن قراءة الروايات و مشاهدة الأفلام الخيالية لكي
تعلم كيف تتعامل مع الواقع "

" بالطبع لا تجد ما نقوله ... اسمعني جيدًا يا سيد شريف ... "

" إسمعني أنت يا سيادة العقيد! أمامي الآن جثتان مهترتان و ممزقتان
شر تمزيق , لا وجود للضوء , التيار الكهربائي انقطع ... ليس هذا فقط
... القوة المصاحبة لي لو سمعنت مواء قطرة مفاجئ لسقطت صريعة ,
بجواني جنديّ يبكي بعنف و ضابط شرطة يرتجف كنبته صغيرة في
مواجهة إعصار , أمامنا طفل صغير تعدى الثلاث سنوات بقليل عدا

بعنف كما لو أنه إلى وفمه وأسنانة مليئة بالدماء اعتقد أنني
أعرف جيداً الفارق بين الواقع والخيال !!"

"ماذا تقول !!"

"كما سمعتي يا سيدي الآن أنا عاجز , لا أعرف ماذا سأفعل أو
كيف سأصرف فلجأت لك لا لتلومني و تشرح لي محاضرة عن
الواقع والخيال ولكن لتنجدي أنا والقوة المصاحبة لي قبل أن تجدنا
كالجثث الموجودة هنا"

"إثبت كما أنت سأتي لك قوفاً وسأحضر قوة مصاحبةً معي ... أعطني
العنوان بالتفصيل

أمسك ورقة يكتب فيها العنوان الذي يمليه عليه شريف قبل أن يغلق
الهاتف وهو يهز رأسه بعنف ليتأكد أنه لا يحلم وهو يدخل غرفته و
يضيئها و يبدل ملابسه بالرغم من الأصوات المحتجة التي تصدرها
زوجته إلا أن لم يعرها اهتماماً وهو يفكر في كلمات شريف الغامضة .

للحظة شعر أن العالم بالكامل يتوقف من حوله و هو يراقب الجثث
بعينين ترتعدان من الخوف نظر لشريف و هو يغمغم بكلمة لم
يسمعا شريف جيداً اقترب منه و هو يميل بجسده كي لا تتلاقى
عيناهما والأهم ألا يرى هذا المنظر البشع مرة أخرى :

" ماذا تقول يا سيدي ؟؟ "

" هل وجدت الجثث في تلك الحالة ؟؟ "

" لم أمسسهم يا سيدي ... بل تحديدًا لم يدخل أحدنا إلى الغرفة "

" رحماك يا إلهي ! "

" سيدي هل تسمع لي ؟ "

كان شريف يشير بيده تجاه باب المطبخ و هو يسبقه بخطوات , لم يملك كامل إلا أن يتبعه اختطف نظرة صغيرة على ذلك المشهد الدموي الذي يحتل الغرفة قبل أن يشير لاثنتين من رجاله أن يتولوا الأمر وذهب ليتبع شريف , وصلا إلى المطبخ نظر كامل من حوله ليجد عمرو يقف مهتزًا مرتعدًا و مسعد منتفخ العينين أحمرهما نظرة متسائلة وصلت لعيني شريف فردّها بنظرة أخرى من طراز ستعرف حالًا توقف شريف و سمح له أن يدخل للمطبخ ليرى مشهد الطفل و هو لا يكف عن الحركة برغم مرور الوقت , نظر للطفل بما فيه الكفاية قبل أن يخرج من الغرفة وينتحي بشريف جانبًا و هو يقول :

" ماذا يحدث ! "

على مدار عشر دقائق سرقهم شريف من الزمن قصّ لقائه كل ما حدث بالتفصيل و هو يتابع تهذج أنفاسه قبل أن يختم حديثه و هو يتأمله و ينظر له بعينين لا تصدقان ما يحدث : صمت كامل للحظة و هو يفر بعيني قبل أن يقول:

" يجب أن تنتقل الجثث للتشريح و يُنقل الطفل لمصححة نفسية لدراسة حالته قبل أن نسمح لأحد من أقاربه أن يأخذه "

" حسنًا ... سأخذ الإجراءات اللازمة "

" شريف "

" نعم يا سيدي "

" التزم الصمت أنت و رجالك كي لا يزداد الموضوع سوءًا ... هل تفهمي "

" أفهمك جيدًا يا سيدي "

" سأنصرف الآن ... اطمئن على كل شيء ثم اتبعني إلى مكنتي ... أماننا يوم طويل "

هز شريف رأسه بالإيجاب قبل أن يؤدي التحية العسكرية و ينصرف ليتابع العديد من الرجال و كلّ منهم منهمك في عمله نظر للطفل نظرة غامضة قبل أن تتبدل ملامحه للحظة و هو ينظر للطفل بعينين

تحتويان صراعًا محتملًا بين الخوف والغضب قبل أن يدير وجهه و
هو يلقي العديد من الأوامر.

وصل بهاء لباب الشقة التي استأجرها عن طريق الإنترنت ، فتح بابها
قبل أن يدخل ويقف على باب الشقة يتأملها في مواجهته صالة
ضخمة تحوي باب غرفة النوم التي يبدو فيها فراشٌ مرتجٍ واسع ، أغلق
الباب خلفه وهو يخلع الشال الذي أحكم ربطه على عنقه ... ربما
لبرودة الجو وربما ليخفي تلك الندبة التي تتوسط رقبتة مما يوحي
بأنها كانت محاولة ذبح فاشلة ... وربما كانت مقصودةً لهدفٍ ما .

مشى حتى الفراش وألقى بجسده عليه وأخذ يشعر بتيارات الألم
تتمل من جسده لتغثفي وسط طيات الفراش المريح لحظاتٍ مرت
قبل أن يعتدل وهو يراقب الحقيبة التي تقبع بسكونٍ بجوار الباب ،
توجه إليها بخطواتٍ متسعة وأمسكها من أذنيها قبل أن يضعها على
المنضدة الخشبية ، مد يده إليها بعرضٍ وأخذ يُخرج ما بداخلها برفقٍ
ويضعهم بجوار بعضهم البعض ويتأملهم قبل أن يتحسس رقبتة و
يلقي بالحقيبة أرضاً بلا اكتراث ، عيناه تلمعان كما لو أنهم أبناءه ،
نظرةً أخيرةً مصحوبةً بابتسامة رضا وتهيدة ارتياحٍ سبقت اتجاهه
للغرف مرةً أخرى ، ألقى بجسده عليه كما هو بملابسه وحذائه ،
لحظاتٍ مرت قبل أن تنظم أنفاسه ويسود الهدوء ... نومٌ عميقٌ، كان

في حاجة ماسّة إليه ... منذ ما يقارب العشرين عامًا لم ينم بهذا العمق
... لينم اليوم وغداً يوم آخر .

وقف شريف لحظاتٍ ليطمئن على كل شيء قبل أن يشير بيده لمسعد
أن يرحل يبدو أن أعصابه لم تعد تحتل الوقوف و لا الأوامر
العسكرية خرج وهو يمسح أنفه الذي احمرّ بفعل البكاء فتح
الشباك الذي يتوسط الصالة على آخره مغالفاً بذلك كل الأوامر التي
تنص على عدم المساس بأي شيء في نطاق مسرح الجريمة , الواقع أن
الدنيا فعلاً مسرحٌ للجريمة و كلنا ممثلون عليها فلا أحد ممن
يتظاهرون بالعمل هنا يتقن عمله على أكمل وجه الهواء البارد
صفحه على وجهه ليعيده سريعاً إلى أرض الواقع ضرب البرق
بمقلعه السماء لتتبر كألّف شمسٍ ساطعةٍ في خضمّ ليلٍ حالك
المسود كمشاعر القاتل التي يشعر بها شريف الآن وإن كان لا يعرف
الدوافع التي أدّت به لهذا و لماذا شوّه الجثث هكذا و لم يكتفِ
بقتلهم؟؟

هذا الطفل ... هناك شيءٌ ما خارجٌ عن المألوف فيه , حركته المتخشبة
وإغلاقه لعينيّه وسدّه لأذنيه , الهدير المزعج الذي يصدره بلا توقف ,
صرخته التي شقت مسكون الليل : شعر بحركةٍ من خلفه , نظر للخلف
فوجد أحد الأطباء يحمل الطفل الصغير فصاح به :

"تولف"

تولف الطبيب و هو ينظر له بدهشة بينما الطفل يهرب بعينه
لقاء كأنه يخاف أن تفضحه عيناه , تابع شريف كلماته :

"أين تذهب ؟"

"يجب أن يوضع الطفل في مصحة نفسية لكي ندرس تأثير الم
عليه قبل أن نخطر أقراره ليستلموه"

"أريد أن أحلل الدماء التي تملأ وجهه وأسنانه"

"سيدي ... ليست دماء"

"ليست دماء؟؟ كيف عرفت ؟"

"إنه نوعٌ من أنواع المربي ... بالتحديد مربى فراولة منزلي الصنع"

"سؤالي واضح ... كيف ... عرفت ؟؟"

"وجدنا العبوة الفارغة التي أكل منها الطفل ملقاةً بإهمالٍ بجوا

"لا شأن لي بهذه التخيلات التي تحاول أن تملأ عقلي بها ... أريد
معمداً يحمل ختم الوزارة ... هل تضميني

مطّ الطبيب شفّتيه في دهشةٍ و هو يقول له : " كما تحب ... لا شأن لي
بهذا الأمر

أنهى كلماته و رحل بمجرد أن خرج من الشقة عاد الضوء لينير
الشقة مرةً أخرى , نظر شريف للباب و هو يغاطب الطفل الذي رحل
بصوتٍ خفيض :

" حتى في مغادرتك غموض ... اللعنة عليك ... سأكشف الحجاب عن
هذا الغموض قريباً "

صمت للحظةٍ تأمل فيها زخّات المطر قبل أن يستكمل :

" حتى لو كان هذا آخر ما أفعله ."

"والآن مَرَقْرابة العام دون أن تكتشف شيئاً "

قاطعه صوت الطيبة و هي تسأله بصوتها الأنثوي الساحر , تجاهل
نبرة السخرية اللاذعة التي تبدو واضحةً قبل أن يرد :

"الأمر أخطر ممّا جميعاً ... أنتم تتهاونون بالأمر

ردت بهدوءٍ و قد شعرت أنها استفزته يجب أن تُحافظ على هذه
الجلسة لجولةٍ أخرى :

"الأمر بسيط ... أنت تصمت أن هذا الأمر خطير"

"هل تعلمين أنه بمجرد خروج الطفل من تلك الشقة ... عاد الضوء مباشرة"

"صدفة"

"وهل تعلمين أننا أيضًا أنهينا أعمالنا في وقت قياسيٍ بمجرد رحيله؟"

"أصابكم التشاؤم من تلك الشقة فأحببتم أن تنهوا عملكم في أسرع وقتٍ لتهربوا منها"

نظر لها بحدّةٍ وهو يقول :

"رجال الشرطة لا يهربون !"

ارتبكت للحظةٍ اختفت فيها ابتسامتها الرقيقة قبل أن تتابع :

"لم أقصد ... كل ما قصده ..."

"هل تريدان أن تعرفي باقي الحكاية حسنًا بدأ الضوء يظهر و
أنهينا كل أعمالنا فتركت الرجال يُنهون الأمر و ذهبت للعقيد كامل إلى
مكتبه و ..."

تعالى صوت الطرقات على باب المكتب فنظر العقيد كامل إلى الباب
قبل أن يصبح بصوت عالٍ :

"أدخل"

ظهر شريف على باب المكتب فنظر له مليًا قبل أن يأمره بالدخول :

"شريف ... تفضل"

جلس شريف أمام كامل المنهمك في دراسة عدّة أوراقٍ للحظاتٍ قبل أن
ينظر لشريف وهو يقول :

"هل انتهيت؟؟"

"شاركنا على الانتهاء فتركت عمرو هناك يُتِمُّ الأمر وأتيت لسيادتك كما
أمرتني

نظر له للحظةٍ قبل أن يمدّ يده له بورقة مطبوعة وهو يتحدث :

"هاشم محمد السيد , أربعون عامًا , موظفٌ في بنك , مواطنٌ نموذجي
, هادئ الطباع , ليس مشاغبًا وليس له آراءٌ سياسية .

ميرفت السيد ناخي , سبعةٌ و ثلاثون عامًا , ربةٌ منزل , كزوجها في كل
شيءٍ تقريبًا .

في الحقيقة لولا الأوراق التي تثبت وجودهما لما كانا موجودين

صمت للحظة قبل أن يرى الحيرة على وجهه بسبب الجملة الأخيرة :

" أعني انهما هادنان جدًا و لولا مقتلهما لما كنا نشعر بهما حتى لو توفيا طبيعيا "

أوما شريف برأسه قبل أن يتأمل الورقة ويرفع رأسه لرئيسه :

" هناك سؤالٌ يحيرني ؟ "

ابتسم رئيسه ابتسامة هادئة قبل أن يقول :

" سأخبرك به ... لماذا تأخر في الإجابة حتى هذا السن ؟؟ "

هز رأسه في إشارة لإبداء إعجابه بذلك رئيسه قبل أن يستكمل كامل حديثه :

" يجب أن تعرف أنهما تقابلا في الكلية وبدأت بينهما قصة حبٍ , توقع الكل أن تنتهي بالزواج , كان الكل يشير عليهما و يختارهما ليستكملا سلسلة العشاق الشهيرة روميو و جولييت قيس و ليلي , هاشم و مرفت ... لكن فجأة و بدون أي مقدمات انفصلا , ابتعد كلٌ منهما عن الآخر و تحاشاه كأنه الطاعون بذاته هل تتخيل يا شريف ؟؟ عاشقان و فجأة يتحاشيان بعضهما !! و بعد حوالي خمسة عشر عامًا اجتماعا ليلتقيا و بعد أقل من أسبوع تزوجا "

تفكر شريف في كلمات كامل قبل أن يقول :

هنا يا سيدي الخيط الأول يجب أن نعرف لماذا افترقا في تلك اللحظة وما الذي حدث في تلك الفترة و من هنا نستطيع أن نستكمل تحرياتنا في هذا الأمر

" للأسف يا سيد شريف لقد عينتك لمتابعة حالة الطفل الصغير بينما عمرو سيكون مسؤولاً عن التحقيقات , يجب أن تعرف ما الذي حدث لهذا الطفل و تطمئن على حالته النفسية و تسلمه لأقربائه عندما ينتهي الأطباء من تشخيص حالته في المصححة "

" سيدي ... من فضلك أريد أن أتابع أنا التحقيقات "

" تلك القضية قد أثارت أعصابك للأسوأ ! للمرة الثانية خلال أـ .
تنسى فارق الرتب بيبي وبينك يا سيادة الرائد

ثم أخذ صوته في الحنو و هو يراقبه بأعين أـ

يا شريف ... أريدك أن ترتاح قليلاً من تلك القضية ... مجرد أـ .
تنتهي تلك القضية سواء قبضنا على القاتل أو قيدناها ضد مجهول "

" سيدي ... من فضلك ... أعلم جيداً من القاتل !! "

اعتدل كامل قبل أن ينظر له بتركيز و هو يقول له :

" من القاتل يا شريف "

نظر شريف لعبني كامل في تركيزه هو يقول

"الطفل!"

خرج بهاء من الحمام بعد أن انتهى من الاستحمام وهو لا يضع سوى منشفة بيضاء نظيفة تُخفي النصف السفلي من جسده , كان جسده يبدو قويًا وقد تشكّلت عضلات جسده وظهرت وقد نَحَتْها الزمان بضرباته القاسية , توجه للمرأة وقف أمامها يتأمل جسده المبلل , لا تزال قطرات الماء الساخن تلمع على جسده ويتصاعد منها بخارٌ شبه شفاف , مسح بيده البخار الذي تكتف على المرأة وهو ينظر لعينه اللتان تتأملان جسده قبل أن يمد يده ويمس أحد الندوب التي تركت أثرًا غائرًا في جسده , تأمل الندوب التي تركت في جسده خريطة تحكي مأساته التي عاشها حتى وصل لهذه السن وهذه القسوة الندبات التي كره بسببها كل مسببات الحياة وأصبح ناقدًا على السبب فيما وصل إليه ... كل ندبة تحكي قصة وتقصُّ سببًا لوجوده الآن في مصر بعد كل تلك السنوات في الواقع لم يستطع أن يسامح كل المتسببين فيما هو فيه الآن , تحسّس رقبته وعيناه تلمعان في استمتاعٍ ونشوة , مشى بعيدًا عن المرأة وتوجه للنافذة فتحها وترك نسيمات الهواء البارد تمسّ جسده وترك قبضة الطبيعة الجانية تربّت عليه وكأنها توأسيه على ما فعلت به من قبل شعر بأنه يريد أن يصرخ أو يسمح

لامية ضخمة بداخله أن تخرج لولا خشيته أن تملأ المكان عليه فلا يجد مكاناً ينام فيه من ضخامتها وضخامة حجم الألم ، شهيقٌ حادٌ بلا زفير أخذه قبل أن يغلق النافذة ويقرر أن يدخل لغرفته ، أغلق الضوء وامتدعى ملك الظلام ليسيطر عليها بمساعدته وزيره المخلص الصمت .

لحظاتٍ مرت قبل أن يشق الصمت صوت بكاءٍ مكتوم مصحوباً بالألم مرع المشكلة هنا أن الألم ليس عضوياً بل أشد قسوة ألم نفسي ...

ألم نفسي قاسٍ شعر به كسكينٍ يشق جوانب ذاكرته بحثاً عن ذكرى جديدة ، حاول أن يقاومه بشدة إلا أنه كان أضعف بدأت بداية ذكرياته تتضح أمامه وهو يحاول أن يتدارك الموقف ويطردها بعيداً إلا أنه كان أضعف ، في النهاية ألقى جسده بلا حراكٍ على الفراش وترك عينيه تعرضان له تلك الذكرى كما لو أنها فيلم سينمائي رغم شعوره بالبرد إلا أنه لم يتحرك وترك عواطفه بالكامل تغوص بداخل الذكرى ...

وقف شريفٌ أمام رجل الأمن على باب المصححة وهو يريه تصرح الدخول الذي تفحصه رجل الأمن لدقيقة قبل أن يعطيه له بابتسامة رقيقة مصحوبة بأمنياتٍ ليوم سعيد ، تجاهله شريف فهو ليس في

حالة نفسية تسمح له بهذه الترهات : متى حتى وصل للاستقبال وممر
يسأل موظف الاستقبال عن الطفل نظر له موظف الاستقبال
للحظة قبل أن يقول :

" أي طفل يا سيدي ؟؟ "

" الطفل الذي حضر في الصباح الباكر للاختبارات النفسية ؟ "

" الطفل حاليًا يخضع لسلسلة من الاختبارات النفسية التي تناسب
سنه لتحديد إذا ما كان هنا.....

" أين تقع الغرفة ؟ "

" أي غرفة ؟؟ "

" غرفة تناول الطعام ١ بالطبع أنا آتي لهذا كلما أردت أن أكل !! غرفة
الطفل يا رجل! "

" سيدي لاحظ أنك في مصبغة نفسي "

مد شريف يده ليمسك بياقة موظف الاستقبال و هو يميل بجسده و
يسأله بنبرة شرسة :

" رقم ... الغرفة "

" الغرفة الثالثة عشر "

ظهر على وجه شريف التشاؤم من رقم الغرفة قبل أن يترك موظف الاستقبال الذي رقبه بنظرة تحمل معاني عذّة تجاهلها شريف و هو يتحرك بقدميه في الممر و بعينه بين أرقام الغرف حتى وصل للغرفة المطلوبة : تأمل الطفل بين أيدي الأطباء من النافذة الزجاجية , كان مستسلماً لهم ولكن لا يزال محافظاً على موقفه ثابتاً كوتدٍ في مواجهة العاصفة , مصمماً على ألا تتلاقى عيناه مع عيني أنهم , هذا لم يكن له سوى تفسيرٍ وحيدٍ في نفس شريف : هذا الطفل ليس طبيعياً ... ليس طبيعياً على الإطلاق ... هناك شرٌّ خالصٌ يتلبسه و هو السبب في هذه الجرائم البشعة و يحاول جاهداً ألا تكشفه مغالب الشر التي تحاول جاهدة أن تنبش نقاء الطفل البرئ لتظهر , صراعٌ نفسيّ داخل الطفل يبدو جلياً في تفاديه لأي علامة تواصلٍ بشري و صراعٌ نفسيّ آخر ينهش سلامه النفسي و يبدو واضحاً وضوح خوفه من هذا الطفل في عصبته الزائدة : نظر نظرة أخيرة للطفل قبل أن ينظر لساعته يتأمل عقاربها المنهمكة في مطاردة لا تنتهي , خرج طبيبٌ من الغرفة فأمسكه من ذراعه بيده الخرة و خاطبه و هو لا يزال ينظر لساعته :

" متى تنتهي هذه الاختبارات "

هل لي أن أعرف من أنت و من أعطاك الحق لتمسك بيدي بهذه الطريقة "

رفع شريف عينيه ببطءٍ عن ساعته قبل أن ينظر للطبيب في بطءٍ
مخيفٍ و مزعج دون أن يتحدث الرّعب على وجه الطبيب كان كافيًا
له ليلقي له بالجواب ثم يفرّ بأسرع وسيلة ممكنة :

هي سلسلة من الاختبارات و ستتمّ على مدار خمسة أيام اليوم
أولها "

ذهب الطبيب من أمامه وعيناه تملان اهتمامًا واضحًا بالجنون , مرت
لحظات قبل أن يخرج هاتفه المحمول ليطلب رئيسه , صمت للحظات
قبل أن يأتيه الرد من الجهة الأخرى ليقول :

" سيدي أطلب الإذن لأذهب لبيتي ... سأبدل ملابسي و سأسهر بجوار
غرفة الطفل حتى الصباح لحراسها "

صمت مرةً أخرى و هو يتلقى الرد :

" أعلم جيدًا يا سيدي و لكنني أريد أن أراقبه ... حسنًا يا سيدي
شكرًا "

أغلق الهاتف و وضعه في جيبه و هو ينظر للأرض بهدوءٍ للحظات قبل
أن يرفع عينيه و يذهب للبيت.

وقف بهاء أمام مديرة الملجأ وهو ينظر بطوفٍ للأسرة التي قررت تبنيه ... رجلٌ ضخم الجثة ذو بطنٍ عملاقٍ وشاربٍ ضخمٍ يدخل سيجارهُ بقرْصه. وسيدةٌ تقف بجواره يبدو عليها الرّجاء في رداءها الأحمر والذى يفصله عن رقبتها شالٌّ من فراء الثعالب الأصلي ، ترتدي في يديها مجوهراتٍ خفيفة إلا أنها تبدو باهظة الثمن ، في يدها سلسلةٌ معدنيةٌ رفيعةٌ تنتهي بطوقٍ من الجلد الطبيعي يلتفّ على رقبة كلبٍ من أحد الفصائل النادرة ذات الفراء الناعم : ما أثار حنق بهاء أن الكلب يبدو أنظف منه كثيرًا ... دمعت عيناه و مديرة الملجأ تقول للسيدة التي تتأمل طلاء أظافرها الفيروزي في ملل :

" بهاء طفلٌ من أذكى الأطفال هنا ... لقد اخترته لكما لأنه سيربكما فهو مطيع ... أليس كذلك يا بهاء

هز بهاء رأسه في موافقةٍ على كلامها وهو يشعر بمرارةٍ تشقّ طريقها من حلقه إلى روحه المنكسرة خرج خلفهما وقد أنهيا كل الأوراق ، لأول مرةٍ يشعر بحررته ولكنه يشعر بقبضٍ خفيٍ يلتف حول قلبه يمنعه من فرحته ، صعد إلى السيارة ، أول ما لفت نظره كان أن السيدة لم تنظر له مطلقًا وكأنه ليس ابنها : قطعت السيارة عدة شوارع حتى وصلت لمنطقةٍ راقيةٍ في وسط القاهرة نزل بهاء من السيارة وهو يتبع الزوجين توقفت السيارة أمام فيلا فاخرة تغلب الأبواب ، وقف أمامها مشدوهاً قبل أن يتبع السيدة وعندما همّ بدخول الباب منعتة

بيدها قبل أن تشير بإصبعها للسائق الذي أتى ليمشي بجواره و هو
يحدّثه بصوتٍ خافت :

"أتريد أن تدخل الفيلا ! هل جننت "

"ألم يتبيناني ... إنها الآن والديّ أليس كذلك

مرّ الرجل رأسه في إشارة لم يفهمها بهاء و هو يشير بيده لكوخٍ صغيرٍ
يتوسط الحديقة :

"سنظلّ هنا حتى ميعاد السفر"

فتح له الباب ودخل بهاء يتأمل الكوخ ... كوخلٌ قدّر ضيق لا يحتوي على
أي شيء , فارغٌ بالكامل , يسيطر عليه الظلام و ما زاد الأمر سوءاً أنه بلا
نافذة : التفت بهاء لينظر للسائق برعب و قبل أن يتحدث أغلق الباب
بعنف حاول أن يفتحه إلا أنه سمع صوت المزلاج يُغلق و صوت
معدنيّ يحتك بأخريّ عقبه نكّة مميزة لانغلاق قفل صمت في ذهولٍ و
هو يستمع لهمسة السائق تتسلل من بين شقوق الخشب لتنال قلبه
مباشرةً :

"أسف "

خلع شريف حذاءه و دلف إلى شفته و التفت ليخلق الباب , بمجرد أن اعتدل فوجئ بزوجته تقف خلفه خلفه تحتضنه برقة و هي تطبع على جبينه قبلة رضا و تقدير لرجلها الذي تعلم جيدا كم يتعب في مهنته , بمعجزة غرامية ذا التعب و التوتر منه تاما و حلت محلها روح طفل صغير تتقاذف من فرط السعادة , حملها في مِرْح و مشى بها حتى باب المطبخ قبل أن ينزلها أرضا , تعمّدت أن تقف على قدميه و هي تحاول أن تمطّ جسدها لتصبح بطوله , ضحك عليها و هو يقول لها :

"هيا أيتها القصيرة ... إنني جائع و لم أتم منذ الأمس ... أنهي الطعام و إلا حبستك في المطبخ للأبد"

وضعت يديها على وسطها و هي تزمّ شفّتها في غضب مصطنع :

"أنا لست قصيرة ... بل أنت الطويل"

ضحك من مظهرها و هي تغالب الابتسام لتحافظ على هيئتها الجدية إلا أنها لم تستطع فأطلقت ضحكة مرحة و هي تجري إليه محاولة أضره بدلال, إلا أنه حملها من على الأرض و دار بها دورة كاملة في الهواء تطاير فيها شعرها خلفها و تطايرت قهقهاتها عاليا تحلق سعيدة في فضاء من هناء و راحة بال أنزلها أرضا و هو يرت على ظهرها بحنان و يقول : "أي صنف من الطعام ستخبرينه اليوم ؟"

أخرجت لسانها بدلال و هي تقول :

"لن أقول لك "

دخلت إلى المطبخ بسرعة لتستكمل تحضيرها للطعام وذهب هو إلى أريكته المفضلة وجلس عليها يفكر في كل ما حدث .
لم يدبر نفسه إلا وزوجته تحتضنه في حنان وهي تقول بصوتٍ مليءٍ بالدلال :

" أناذي عليك منذ حين ... ما بك ؟ "

" قضيةٌ جديدة "

" ومنذ متى تفعل بك القضايا الجديدة هكذا ؟؟ "

" هذه المرة مختلفةٌ تمامًا عن كل قضية "

" وكالعادة لن تقص عليّ شيئًا منها بحجة أنها أسرار العمل "

ابتسم وهو يقبل يدها في حنان ويمر بيده على بطنها برفق ، ففكر فيهما ... زوجته الوحيدة التي جذبت قلبه بمغناطيس رقتها ، كان يعتقد أن قطار الزواج قد مرّ عليه دون أقرانه ، منهم من تمت خطبته ومنهم من تزوج وهو يقف وحيدًا في انتظار دوره وأخيرًا رآها ... ابتسم القلبان لبعضهما دونما أي إرادة للبشر ورفقت الأرواح رقصة تانجو مجنونة على أنغام العشق التي تعزفها قلوبهما في رقةٍ على فيثارة العشق ، رغم أنه يعشقها إلا أن أمله قد خاب قليلًا ... فقط قليلًا عندما علم

إن فرصتهما في الإنجاب لا تتعدى الواحد في المئة . بالطبع أخيراً أن العيب منه هو قبل أن تبتسم لهما الدنيا في بداية هذا العام . لم يمر سوى شهرين حتى أتت نتيجة الحمل إيجابية . رقصت الملائكة و تفتحت الزهور . قبلة الهوى عزفت أروع نغماتها و نسج ملاك الحب جنهما الصغيرة و إن كانت الآن تتسع لثلاثة أشخاص . فينوس إلهة الجمال نصبته عبداً الوحيد و قامت من كرسي إلهيتها لترتكع تحت قدميه تضحك له و تبارك رجولته بأنوثتها : نظر لها و ابتسم و هو يحتضنها بشدة ذاب لها قلبها قبل أن يجذب كرسيها و يشير لها بيده و هو ينحني لتضحك و هي تجلس على الكرسي قبل أن يذهب لكرسيه المقابل لها و يسرق منها نظرة من عينها ضحكت لها شفاةً يخجل القمر من حسنها ليبدء في تناول الطعام .

جلس بهاء الصغير في الظلام وحيداً... عدة أيام مرت حتى فقد الإحساس بالزمن يعيش في الظلام الدامس الذي لا يشقه شعاع ضوء سوى مرتين يومياً إحداهما عند تقديم طعام الإفطار و الأخرى عند وقت الغذاء . يتسلل ضوء الشمس الدافئ ليؤنس وحدته من الشق العرضي الذي يفتح لتدخل إليه صفحة بلاستيكية عليها كوب من الزبادي الطازج و قطعة من الجبن الخالي من الملح و رغيف من الخبز ، الوجبة ذاتها تتكرر إفطاراً و غذاءً و عشاءً ... بعد عدة أيام فُتح له الباب ليخرج في البداية أعمى الضوء بصره . كان يحدث في

الشمس ببلاهة و يداخله صراخ يكاد يُسمع صوته بين فرحتين تحاول
كلّ منهما أن تفوز بملكية قلبه الحزين ، فرحة حرّيته بعد السجن و
فرحة رؤيته للضوء بعد أيام عاشها تحت سطوة الظلام أيّام عديدة
تعبت في جسده و هو يتركها ... يخلعون عنه ملابسه و يلبسونه أخرى ،
يعبثون في تسريحة شعره يلبسونه حفاضة أطفال ملوثة برائحة
كريمة تحت ملابسه و هو لا يطرف عينه ناظرًا نحو الشمس في شئ
غرب : من الصعب أن يحكم عليه شخص ما لأنه لا يمكنك أن تحكم
على شخص ما إلا بعد أن تعيش ظروفه .

لقد عانى الأمرين بداخل ذلك الكوخ المظلم الذي لا يعرف كم من
الوقت قضى بداخله لقد اتخذ كوثًا فارغًا من الزبادي و مسمارًا
صدنا أصدقاء له يحدثهما و يشكو لهما فلا يردان عليه يثور
لصمتهما فيسبهما و يصفهما بأقذع الألفاظ و يتخذ ركنًا يبكي فيه
بثورة قبل أن يبدأ و يبحث عنهما في الظلام ليعتذر لهما و يبرر لهما
موقفه و يأخذ في تقديم الأعذار واحدًا تلو الآخر حتى يضايقه صمتهما
فيثور متهما إياهما بالتكبر و الغرور و يتخذ ركنه البعيد يبكي فيه حتى
ينام ، يراهما في الحلم يحدثانه فيقصّ عليهما ذكرياته في الملجأ
يحدثانه عن ذكرياتهما و يلعبان حتى يرهقهما اللعب فيناما في حضنة
حتى الصباح .

الشمس تبادلته النظرات بابتسامة جميلة فيبتسم و يمد يده تاركًا
جسده بين الأيادي محاولًا لمس أشعتها ، نسي نفسه و نسي اليد التي

جذبت من يده وأركبته السهارة وهو يتابع الشمس بنظراته قبل أن يفلق عينيه كأنه يهتزن أشعة الشمس بداخله ...

ظلّ مغمض العين لما قد الحس حتى توقفت السهارة . فتح عينيه فوجد أنهم أمام مطار القاهرة الدولي . يبدو أن أباه الجديد رجل ذو علاقات لأن أوراقه تمر وإجراءاته تنتهي سريعاً . أشار إليه أحد الضباط ودار حديث سريع قطعته إشارة من أبيه بجوار رأسه علامة على الجنون قبل أن يهز الضابط رأسه في فهم وهو يشير للأمام أن تمر هي ممسكة بيده في إحكام . دقائق مرت قبل أن يجد نفسه على متن الطائرة منهكاً في التحديق من النافذة الصغيرة، لم يشعر بالوقت . كأنها دقائق مرت حتى وصلوا لدولة أجنبية لم يعرفها : تركز الموقف و تركز النفوذ الذي يفتح أبواباً معكماً إغلاقها خرجوا من المطار لفندي قدز حفير .

تعجب في داخله وقد بدأ يشعر بأدميته مرة أخرى و ينفصل عن حوار الفيلسفي الداخلي مع أشعة الشمس ... لماذا يتخذ رجل شديده الثراء واسع النفوذ مثله ومع زوجته الرقيقة التي تراها لتظن أنها إحدى أميرات ديزني الهاربات من على الشاشة لواقعنا لتزيده جمالاً ، فندقا حفيراً كهذا سكناً له ؟؟

بداخل الغرفة وضع يده على فم بهاء بينما خلعت المرأة ملابسه بعصبية شديدة ، قطعت الحفاضة وارتدت في يدها قفازاً لتلقي من

بين الفضلات البشرية ذات الرائحة الكريهة المنفرة كيماً صغيراً و
تنظفه جيداً قبل أن تفتحه و تشير لزوجها و ابتسامتها تتسع إلى نهر
صغير من الالماس الحر اتخذ راحة يدها مساراً له قبل أن يشعر
بصدمة قوية على مؤخرة رأسه ليسود الظلام مرة أخرى ... كان آخر
شيء شعر به هو الحميمة تجاه الظلام ... لكم افتقده !

وصل شريف للمصحة و منذ عبوره للباب شعر بشيء غير طبيعي
يحدث بها أشخاص يرتدون معاطف بيضاء يعدون بقوة في اتجاه
غرفة الطفل هناك صوتٌ يتردد في مكبر الصوت يأمر طبيباً ما
بالتوجه لغرفة ما , رجال الأمن يضعون أيديهم بجوارهم لكي تكون
قريبة من أسلحتهم في تحفّز , ممرضتان تتناقشان بقلبي بجوار حائط
يستمع لهن وهو يشاركهم قلقهم بسكونه .

شيء غامض حفز العنّ الأمني بداخله و استقرّ خبرة الضابط بداخله
, وضع يده على جانبته يتعسس مسدسه و يطمئن لوجوده قبل أن
يستلّه و يتحرك بسرعة يشق طريقه نحو غرفة الطفل ... هناك تجمهر
ضخم أمامها , أخذ يشق الصف بجسده الرياضي و هو يهمهم بكلمات
اعتذار يطلقها بلا تصويب فمتها من يصيب أهدافه و منها ما يطيش
بهيناً بلا هدى , أخيراً وصل ليتأمل المكان ... عجوز نحيل ملقى أرضاً
بلا حراك و طبيبان حول جسده متهمكان في تدليك صدره بينما يصرخ

الأخر فيه يبدأ عملية التنفس الصناعي لأنه لا وقت لدهما . يتوتر المشهد مع صرخات الطبيب بينما يميل زميله و يُجري عملية تنفسي صناعية عن طريق فم العجوز ... لعظات تمرّ ببطء شديد و كأنما عقارب الساعة قد نُسّت دورها و توقفت لترقى المشهد معهم . أخيراً سعل العجوز يؤمّن فمصح الطبيب وجهه مزبلاً قطرات اللعاب التي تناثرت لتصبه بعضها أمسك الأطباء بيد العجوز و هم يرفعون جسده الضعيف ليضعوه على فراشه و يشيرون لمرضىة لتدخل و تهلك في بضع التوصيلات الطبية أعاد شريف مسدسه إلى جرابه الذي احتكّ فيه مُطلقاً حفيفاً و كأنما يعترض على إقلاق سكونه بلا داعي و أحكم غلق زر الأمان قبل أن يفيق على صوت أحد الأطباء بصيح في زميله الذي أجرى عملية التنفس الصناعي قائلاً بصوت مرح:

" ذكرني ألا أكل معك في طبقٍ واحدٍ مطلقاً "

ضحك الذي ضحك و ازدرد الباكون لعابهم في توتر و هم يطلقونه برسالةٍ ما إلى قلوبهم البانسة أن تهدأ فلا داعي للقلق , هزأ رأسه بعنف و هو ينظر بلا فهم حتى اصطدمت عيناه برسالةٍ رماها القدر في طريقه لكي يفهم بدلاً من حيرته (الغرفة الثانية عشر)

انتزع نفسه بأقدامٍ ساخطةٍ مخترقاً الزحام الذي يتبدد كالظلام الذي أصابه من قبل كشاف عمرو زميله , وقف أمام الزجاج يراقب الطفل النائم بسكون قبل أن يجذب مقعداً و يجلس بجوار الباب عابثاً في

أزدار هاتفه المحمول مخترقًا إحدى شبكات التواصل الاجتماعي باحثًا
عن وسيلة لتمضية وقته بدلًا من أن يتملكه الملل كعادة شبكات
التواصل امتدت يدها اللا مروية لعمره بخفة لتسرق منه بضع
ساعات في خضمّ ثوانٍ لم يشعر بها ، شعر بظهره يؤله من ثباته على
موقفه جالسًا فوق كرسيه بلا حراك ، اعتدل مقبّدًا إحدى قدميه
أمامه مؤرجعًا الأخرى للنّام في حُضن شقيقته نظر في ساعته
دقائق قليلة وينتصف الليل ... يشعر بخدعة ما !

كيف يعدو الوقت بهذه السرعة بينما من المفترض طبقًا لنواميس
الكون ألا تتحرك عقارب الساعة عندما تكون في مهمة انتظارٍ لشيءٍ
ما

عاد لينظر لهاتفه مرةً أخرى قبل أن تبدأ الليلة التي ستكون إحدى
أطول لياليه على الإطلاق .

فتح بهاء عينيه في نفاقٍ وهو يتابع بوجدانه روحه و هي تستجوب
ذاكرته بعنفٍ باحثةً عن سبيلٍ من الذكريات ينال عليه قطرةٌ نلّ
الأخرى ليذكره أين هو وماذا يفعل هنا ... بدأ يتذكر ... عملية النبي -
الكوخ المظلم ... الحفاضة ... الفندق الحقيق ... الظلام !

نظر حوله و هو يعتدل ليجد نفسه ملقى في نهاية مظلمة لزقاق مهجور، يختفي جسده خلف صندوق قمامة ضخم يحتل ثلثي الشارع . فوقه أنبوب صديء قديم يبكي بعنف ، مسح المياه القذرة عن جسده ليفاجأ بأنه عار تماما ، اعتدل و هو يمسح الشارع بعينه .

حاول أن يتذكر كيف وصل إلى هنا ولكن ذاكرته كانت منهكة بعد عملية الاستجواب العنيفة التي خضعت لها فلم تهتم بالرد على تساؤلاته .

مشاعر عديدة تتصارع بداخله الخوف والحيرة والجوع والبرد يهشون جسده في معركة من طرف واحد ، وقف على قدميه و هو يقترب من بداية الزقاق قبل أن يلقي نظرة جائعة على صندوق القمامة إلا أنه قرر الاحتفاظ بالبقية الباقية من كرامته لحين إشعار آخر ، مشى حتى بداية الزقاق قبل أن يلصق جسده بالحائط ويترك برودته تفتصب الدفء من جسده العاري و هو يمسح الشارع بعينه ... موقفه صعب جدا .

طفل عاري الجسد مبعثر المشاعر يقف وحيدا بلا أي إثبات شخصية، دون علمه بمكانه أو بمكانته في هذا البلد !

جرى بخطوات حذرة من خلف الحائط ليختبئ خلف صندوق للصحف يقف منتصبًا في منتصف الطريق ، و من خلفه انطلق

ليخفني بجوار سيارة حمراء تقف ناعسة بجوار الرصيف ، سرعان ما
تعلم شيئاً لن ينساه أبداً...

الدرس الأول : كيف تكون خفياً !

لمح بعينه مجموعة من الملابس تتشبث في حامل يقف أمام محل قديم
بلا رقيب عليها ، شياطين الخوف والجوع والحيرة تستل أسلحتها في
مواجهة ملاك الحق الذي نظر لهم للحظة قبل أن يقرر أنها ليست
معركته ليتوارى بعدها في ركن مظلم بعيد . انتظر بهاء اللحظة
المناسبة واندفع يعدو بخفة فهد بطارد وجبته ليختطف قطعة علوية
من الملابس ويستكمل جريه مرة أخرى ...

الدرس الثاني : كيف تكون خفياً !

سمع صوت خطوات من خلفه و صوتاً يصرخ فيه بلغة غريبة على
مسامعه فلم يلتفت له الصوت يطارده بغضب ساحق حاول أن
ينعطف إلا أن الصوت واصل مطاردته بعنف . هنا ارتكب خطأ ونظر
خلفه ...

• الدرس الثالث : لا تنظر خلفك في خضم المطاردة !

يد قوية أمسكته من عنقه ليحتس الهواء خوفاً من تلك العينين
الزجاجيتين اللتان تنظران له بعنف من خلف نظارة رقيقة يعلمها
نعر أشقر يتوج وجهها جميلاً لرجل صارم ، رفعه من على الأرض ليلقي

به تحت الأقدام المطارد الذي توقف و هو يلهج بعنف محاولاً التقاط
انفاسه و هو يصرخ فيه , نظره بعينين احتلها الخوف , صرخ فيه
الرجل مرة أخرى قبل أن يلقي له قطعة الملابس السفلية التي تناسب
العلوية التي سرقها و هو يرحل مغمغماً بلغة غريبة , ارتداهما و هو
يشعر بالذهول ... لقد رأى نهايته ولكن يبدو أن للقدر تصاريح أخرى ,
مشى بهدوء بعد أن ارتدى الملابس و صار مظهره طبيعياً بعض الشيء
ولكنه غفل عن درسه الجديد...

• الدرس الرابع : تأكد من أنك لست مراقباً !

دقائق قليلة مرت و هو يجلس بلا حراك مراقباً آخر التطورات على
شاشة هاتفه المحمول , انتصف الليل تماماً و ساد الهدوء المكان , في
البداية تعجب من شدة الهدوء لكنه عجز الأمر لانهاء وردية و بدء
وردية أخرى , هدوء عارم يسود المكان قطعه فجأة صوت يشبه صوت
الانفجار , صوت انطلق من جهاز كاسيت قديم مهجور يقبع في إحدى
غرف المستشفى الخالية المهجورة انطلق من حنجرتة صوت لحن
جنازتي كئيب يتبعه صراخ المغني الشاب بصوت مكسور ... انتفض
جسده ... توتر و شعر أن هناك شيء خاطئ , تحرك بسرعة حتى خرج
لموظف الاستقبال المرتبك و لاحظ حركة غير طبيعية في صالة المشفى ,
الأطباء و الممرضات يصرخون في عامل الاستقبال الذي وقف حائراً لا

يُسمع أصواتهم ولا يستطيع التركيز ، وقف شريف خلفهم جميعًا وهو
يصرخ بهم ليتزمووا الهدوء إلا أن صوته لم يُسمع بسبب صوت الأغنية
... أغنية غربية لحنها يبعث حزنًا غامضًا بداخل النفس ، شعر برغبة
خفيفة على جسده ، التفت ليجد طبيبًا شابًا يضع يده على أذنيه في
إنزعاج ، بحركة واحدة أشار له أن يستل مسدسه و يتبعه ، مشي
حاملًا مسدسه بجوار الطبيب الشاب تراقبهم أعين الباقين ، أشار له
الطبيب الشاب إلى الغرفة التي ينطلق منها الصوت ، هز رأسه وأذنه
تؤله كلما اقترب من الصوت ... أما لهذه الأغنية من نهاية !

أما لهذا الألم النفسي من حد !

وصلا إلى الغرفة ... وضع شريف يده على المقبض وهو يفتحه بحركة
سريعة و يعيد يده في جزء من الثانية لتمسك مسدسه مرة أخرى ،
رعدة غريبة امتدت لثنتا من المصباح القديم الذي ضغط على زر في
الحائط ليشتعله ، تردد المصباح بين الضوء والظلام للحظات قبل أن
ينير الغرفة ، تحركا بجوار بعضهما البعض بعد أن اطمئنا إلى أن
الغرفة خالية تمامًا ، المسدس يسبق صاحبه في شجاعة منه أو جبن
من صاحبه الذي يُشهر مسدسه في مواجهة غرفة خالية وصل
شريف إلى المسجل الذي تعلقه أطنان من الغبار وحاول أن يعثر في
أزاده أو في الزر الخاص بالصوت إلا أن المسجل ظل ثابتًا على موقعه ،
انحنى الطبيب بعنف في حركة مفاجئة لم تتحملها أعصاب شريف
لذي تحرك إصبعه في توتر ليطارده زناد المسدس في سباقٍ ينتهي بميلاد

رصاصية جديدة من رحم الماسورة انفجر المسجل بعنفٍ و شظاياه
تتناثر حول مكانه , نذف شرارة كهربية لمعت للحظة قبل أن يغيب برق
الحياة منها لتسكن الغرفة تماماً : اعتدل الطبيب ناظرًا له بذهول و
هو يمسك بيده السلك الكهربائي الذي انتزع من القابس قبل أن
يُصبت شريف الجهاز للأبد تنحنج شريف في إحراج أمام نظرات
الجميع التي تهمة بالجنون الرسمي لحظتها فقط تذكر الطفل
صدم رأسه بيده و بداخله ضابطٌ يصرخ فيه أنه تعرض لخدعةٍ
ساذجة , اندفع يعدو بعنف تجاه الغرفة ... يشعر أنه يقطع مراتٍ لا
تنتهي , أكثر من طبيبٍ شعروا بالفرع تجاه حركته السريعة المفاجئة
فتبعوه في فضول , وصل للغرفة التي تركها مظافة الضوء ليجدها
منيرة , تحرك ببطء من لا يريد أن يصطدم باكتشاف يرمقه أو يضيف
إلى حصيلته عيبًا آخر , أدخل مسدسه ليرقد في جرابه حتى لا يحدث
هذه المرة ما لا يعمد عقابه , توقف أمام الزجاج الفاصل بين الغرفة
والمرو وهو يرى الطفل الصغير يجلس على فراشه مبتسمًا !.

بداخل زقاقٍ ضيقٍ قدر جلس بهاء يأكل قطعة خبزٍ مبللةٍ بالماء و بها
بوادرعني وجدها ملقاة أرضًا , ورغم معدته التي تتأوه جوعًا إلا أنه
فضل أن يسمع تأوهاتٍ مفضلاً ألا تئن كرامته إذا كرر السرقة مرةً
أخرى , كان يأكل و هو يحيد بعينه عن قطعة الخبز ليتأمل ملابسه
التي تنسع عليه إلا أنها تكفي لستر عورة جسده و إن كان ضميره يُشير

صارخاً لعورة نفسه , سمع صوتاً خافئاً كأنما هناك أحدٌ ما يتسلل من خلفه , نظر خلفه ومسح الزقاق بعينه فلم يجد شيئاً إلا أن حركةً سريعةً لمحها بطرف عينه جعلت جسده ينتفض وهو ينظر للأمام , هناك شخصٌ ما يقف متوارئاً في الظلام , يكاد يُقسم أنه رأى حركةً من ذلك الركن المظلم , ترك قطعة الخبز أرضاً وتحرك بخطواتٍ متحفزة تجاه الركن المظلم , تلفت حوله ينظر للشيء الوحيد الذي يملكه من الدنيا قبل أن يفاجأ بحركةٍ سريعةٍ من الجهة المقابلة هل هو معاصر؟؟

وصل بخطواتٍ خائفةٍ مترددة إلى الركن المظلم ليجد علبه من الورق المقوى تقف وحيدةً في الظلام , شعر بحني فركلها بقدمه وقرّر أن يعود لتناول وجبته محاولاً أن ينسى الأمر مؤقتاً , إلا أنه فوجئ بجرو صغيرٍ أشعث الفراء يقف بجوار قطعة الخبز يشمها بأنفه الصغير , ابتسم تلقائياً وهو ينظر له قبل أن يتحرك ويجلس بجواره , مدّ يده يتحسس فراءه وهو يحدثه بصوتٍ ناعم :

"صغيري ... يبدو أنك جائع "

صغيران تائهان في دوامةٍ من القسوة أثارها إعصار الجفاء المميز لتلك الدنيا , مد يده يقتطع جزءاً صغيراً من وجبته الصغيرة وهو يخاطب الجرو :

"الوجبة الصغيرة قد لا تسد جوع فرد واحد ولكن شعوره بالمشاركة والوئ يسد جوع الآلاف"

وكان الجرو يسمعه ، تناول منه قطعة الخبز وصعد على قدميه و جنس يأكلها في سكون تام ، مشى بيده الحرة على جسده وهو يأكل ببطء محاولاً أن يسد جوعه بلقيماتٍ صغيرة قبل أن ينتبه إلى حركة أخرى خافتة ، نظر للجرو بابتسامة صغيرة وهو يقول :

"هل لديك إخوة ؟؟"

وقبل أن يردّ الجرو رأى الرجل الذي أمسكه يظهر من الظلام ممسكاً في يده بشطيرة ساخنة ، شهية المظهر زكية الرائحة ، مد يده إلى الرجل الذي ناولها له بابتسامة واسعة ، أمسكها وتأمل قطع اللحم التي تطلّ منها وقبل أن يقضمها ، توقف ، شم رائحتها الشهية مرة أخرى قبل أن يقطع نصفها ويعطيه للجرو الصغير؛ نظر له الرجل بتعجب ، الفتى برغم جوعه إلا أنه يأبى إلا أن يشارك وجبته مع الجرو أنهى الطفل وجبته بشهية بالغة، قبل أن ينظر للرجل ويهتف له بالعربية :

"شكراً"

أعطى الرجل ظهره و مشى بخطواتٍ بطيئة منتظراً أن يناديه الرجل كما يحدث في الأفلام إلا أنه فوجئ عندما سمع الرجل يرد عليه ولكنه عربية مميزة :

ثم يلتفت ليفادر الزقاق ، توقف للحظات قبل أن يجري للرجل وهو
يسبقه ليعترض طريقه وهو يسأله بلهفة :

" هل تتحدث العربية ؟؟ "

نظر له الرجل بلا ردّ قبل أن يبعده عن طريقه بيد قاسية وهو يرحل ،
طارده بهاء للمرة الثانية وهو يقول له :

" سيدي ، من فضلك أجبني ؟ "

نظر له الرجل بعينين مات فيهما الإحساس قبل أن يرحل وهو يجيبه
بصوت واثق خشن :

" إتبعني "

تهلّل وجه الطفل وهو ينادي جروه :

" هيا يا شادو ... يجب أن نتبع السيد "

جرى الكلب وهو يقفز في أحضان بهاء الذي تبع سيده الجديد الذي
يمشي بخطوات واثقة لا يلتفت خلفه ليرى هل بهاء يتبعه أم لا: دخل
السيد إلى بوابة حديدية لمخزن مهجور و بمجرد أن عبرها بهاء زام
الجرو وزمجر بشدة قبل أن يشعر بهاء بألاف الفولتات الكهربائية التي

نسري في جسده ، تماسك و هو يصرخ و يسقط على قدميه ، نظر للسيد
برجاء و رأى على ملامحه علامات الغضب ، الكلب ينظر له باستعطاف
، أخيرًا نطق الرجل كلمة واحدة بتلك اللغة التي يجهلها بهاء لتتوقف
الكهراء عن احتلال جسده و تعود لثكناتها في ذلك الصاعق الذي
يحملة الفتى الذي لم يره بهاء ، اقترب منه الفتى ، ظهرت علامات الفزع
على وجه بهاء إلا أن الفتى حملة ، كان قويّ البنية أبيض البشرة ، وجهه
صارم قاسي ، حملة و هو يدخل به إلى داخل المخزن ليتأمله بهاء بعينين
متهكنتين و هو يستمع لصوت كلبه يناديه .

جلس شريف على مقعده و هو يفكر في الأمر ... الأمر منذ بدايته كان
غريبًا مثيرًا ، شيء ما بعث في نفسه الخوف إلا أنه الآن و هو يجلس
وحيدًا كان يرتب أفكاره بهدوء ، جريمة منظمة مرتكبة ببشاعة لا تخرج
سوى من مريض نفسي ، هذا الطفل الذي ينام واضعًا إبهامه في فمه
يمتصّ منه الطمأنينة لا قبّل له بمثل هذه البشاعة ، هذه جريمة
منظمة خرجت من غياهب عقلي إجرامي و دقات قلب قتلته القسوة
فأصبح يدقّ بالشر ، يبعث الفساد في العروق مجراه بدلًا من الحياة ،
شخص لو جرح لثرف شرًا و سواذا و لكن من هذا الشخص ؟؟
سينتظر ليعرف نتائج بحث زميله عمرو في هذا الأمر .

تأمل المصباح الذي يتذبذب فيه الضوء بين غدو و معي قبل أن
يستقر على أن يضيء لكي لا يزيد الأمر سوءًا

سمع صوت خطوات تقترب فتحتصن مسدسه في ارتباك ، رأى الطبيب
المسؤول عن الحالة يقترب و على شفته ابتسامة مطمئنة رسمها
عندما رأى يد شريف على مسدسه ، بادلته شريف الابتسام وهو يقول:

"مرحبًا"

"مرحبًا يا سيد شريف"

اتسعت ابتسامة شريف بارتياح عندما رأى الابتسامة لا تفارق وجه
الطبيب : اطمأن الطبيب على الطفل فقال لشريف :

أجلس في الاستراحة ... لماذا لا تأتي لتجلس معي قليلاً"

نظر شريف لغرفة الطفل في تردد ففهم الطبيب الأمر ، أخرج من جيبه
سلسلة مفاتيح، انتقى منها مفتاحاً و أحكم إغلاق الغرفة و هو ينظر
لشريف الذي قال بصرامة رجل الأمن :

"إسمح لي أن أذيقك الشاي الخاص بي"

"حسنًا ... موافق"

وصلا إلى الاستراحة ، ذهب الطبيب ليجلس على أريكة جلدية مريحة
بينما أشار بيده ليزاد شاي كهربائي وزجاجة ماء و بضعة أكواب نظيفة
تقف بجوارها علبة شاي و علبة سكر : لم تمر دقيقة و كان شريف
يعطي كوب الشاي للطبيب الذي أمسكه وهو يقول لشريف :

"الطبيب الموجود بداخلي يخبرني أنك تريد أن تسأل

ضحك شريفٌ وهو يقول بصوتٍ مرح :

"يجب أن تعمل معنا في قطاع الشرطة "

لابد و أن يعترف شريف أن هذا الطبيب أزال الخوف و التوتر من داخله بأصابع جراحٍ ماهر , لحظة صمتٍ سادت قبل أن يتحدث الطبيب مرةً أخرى :

"تريد أن تعلم عن حالة الطفل ... أليس كذلك ؟ "

لمعت عينا شريف في إعجابٍ بفضيلة و ذكاء الطبيب الذي تابع عندما رأى الإيجاب في ملامح شريف :

"هل سمعت من قبل عن مرض التوحد؟؟ "

"أعرف عنه القليل "

اعتدل الطبيب وبدأ يتحدث بصوتٍ هاديٍ رخم .

"ليو كانر" طبيب أمريكي يجلس على مكتبه ينحني لقراءة آخر ورقات بعثه العلمي الأخير الذي يستعد لنشره ، وجه يمتلئ بالطيبة وكأنما هربت الطيبة من هذا العالم لتسكن قسمات وجهه مجاورة لنظرات الأمان التي تطلقها عيناه ، وجه هادئ أبيض لا تملأ من النظر إليه ، عيون ضيقة صغيرة يعلوها حاجبان خفيفان يجلسان في حراسة للأعين مزنتان لجهة عريضة انحسر الشعر عنها احتراماً لما يجري بداخلها من مخ عبقرٍ يغلي بالأبحاث العلمية وكما نضج أحد هذه الأبحاث أعطى الأمر ليتوقف ضخّ الدماء في العروق ويضخّ بدلاً منها إكسير العبقرية ، لحظات ويكون ليو قد فهم اللعبة لتعود الأمور لمجرباتها الطبيعية بينما يبتسم العقل بغيث المدير الفاجح الذي يسيطر على موظفيه ، شعر هادئ يتوج هذا الوجه وقد صففه كانر على الجانب الأيمن ، أنف متوسط الحجم يعلو قمّاً صغيراً ، ملامح لا يمكن أن تنساها ...

ابتسم كانر في زهو وهو ينظر لبحثه قبل أن يمسك قلمًا من على المكتب ويكتب بخط منمّق حسن:

" في الدفاع عن الأمهات : كيف تنشئ الأم طفلًا أفضل مما يفعل
الطبيب النفسي "

نظر للعنوان وهو يخطُّ أسفل منه بخط صغير رقم (3) ... هذه ورقته
العلمية الثالثة ، الأولى كانت عن الأسنان وحققت نجاحًا لا بأس به ، و
لكن الثانية كانت المفجّر الرئيسي لحماسه وبقعة الضوء التي أشارت
على عبقريته وفضحتها أمام العالم الذي وقف له انهارًا " التوحيد
الطولي " التي نشرها في العام 1943

ابتسم عندما تذكر هذا البحث ، لاحظ كانر أن هناك عددًا من الأطفال
الذين يختلفون عن الباقيين بالطبع تم تصنيفهم كمرضى و تم
إيداعهم في المصحات بدون إلقاء أي سبب ، هذه هي آفة البشر ، كل
مختلفٍ منبوذ دون البحث عن أسباب اختلافه !

برغم أن كل من غيروا التاريخ كانوا مختلفين !!

كل من اخترعوا اختراعاتٍ غيّرت مجرى العالم كانوا مختلفين !!

كل السفاحين وسافكي الدماء كانوا مختلفين !!

هل تتخيل مجرى العالم دون المختلفين !! بالطبع كان سيكون مكانًا
هادئًا للغاية وهذا ليس بالأمر الجيد .

تذكر أنه ولها كان طبيبًا بمستشفى جامعة " جونز هوبكنز " بالتيمور
في ولاية " ماريلان " . 11 طفلاً حددهم كانر و درسهم جيداً قبل أن
يكتشف شيئاً مهماً , كان كانر يدرس هؤلاء الأطفال عندما تسلسل ملاك
العبرة لوصييه بسهم يحمل عدوى من نوع خاص !

لاحظ كانر أن هؤلاء الأطفال يشتركون في العديد من الصفات التي
تميزهم عن دونهم , لاحظتها توقف و أخرج مفكرته الصغيرة و أخذ
منهراً متسع العين مرتعش الجسد يُسَجِّل تلك الأعراض في سرعة و
كانه يخشى أن يُشفى من ذلك المس الذي أصابه قبل أن ينتهي , بخط
مرتعش كتب كانر :

- انعزالية توحيدة مفرطة
- تأخر وانحراف في اللغة
- تردد الكلام
- ذاكرة قوية ومقدرة على الحفظ
- حماسية مفرطة إزاء المؤثرات الخارجية
- الرفض الشديد للتغيير
- تنوع محدود للنشاط العفوي والتلقائي
- قدرات إدراكية فائقة
- مظهر جسدي طبيعي

توقف كانرو قرأ ما كتبه بحاجبين مرفوعين وكأنه يقرأه للمرة الأولى .
وجد أنه لو نشر هذا الكلام لربما لن يفهمه العامة , يجب أن يبسطه
قليلاً , انهمك في بحثه ببسطه شيئاً فشيئاً حتى وصل لصيغة نهائية ,
أنهى بحثه وقدمه للعالم ولم يكن يدري أنه بهذا البحث يهدي العالم
هدية وأن العالم سيكون سخيًا معه بما فيه الكفاية فيأتي بهالة من
نور يكسرهما ويستخدم النور المتسرب منها ليكتب اسم " ليو كانر
بأحرف منيرة لن ينساها التاريخ قط ا

ليو كانر أول من اكتشف مرض التوحد في التاريخ وقد شكّلت أبحاثه
وأبحاث الطبيب النمساوي " هانز أسبرجر " مراجع لكل من يهتم بذلك
المرض المحير ...

مرض التوحد ...

العام 1799

غاية أفرون في فرنسا

تلقت الصيادون الثلاثة حولهم في توتر , هناك شيء ما يتحرك ببطء
بين الأحراش , لا يخشون شيئاً ولكن المجهول دائماً ما يثير في النفس
التوتر , ربما لو ظهر لن يشعروا بهذا القلق ... فجأة ... أشار أحدهم
لزميليه أن يصمتا تماماً , تجمّد المشهد وخشي الهواء أن يتحرك خوفاً

من إفساد تلك اللوحة الفنية التي رسمها الخالق ببراعة , ثلاثة صيادين يتولقفون في حالة جمود بينما هناك أجمة صغيرة كثيفة الأوراق الخضراء تهتز وكأنها تغطي ما يختبئ خلفها , أخيراً تحرك الصياد الأول في بطءٍ وأشار لزميله أن يتحرك كلٌ منهما لاتجاه , شكل الثلاثة مثلثاً متساوي الأضلاع , ضلعٌ من خوف و ضلعٌ من ترقب و ضلعٌ من توتر , و أشار لهما أنه سيفتح الأجمة و عليهما الإمساك بما بداخلها.

أوقنله ا

فتح الأجمة و توقف الثلاثة في ذهول قبل أن تردد الغابة صوت زئير غريب و صوت صراخ !

العام 1799

بلدة قريبة من غابة أفرون

تقف سيدة عجوز , أرملةً ظلمها الزمان فانحنى جسدها احتراماً لقسوته و ارتجف بدنها أمام هيبتته , وقفت أمام أحد الصيادين الثلاثة تبكي و هي تقصّ عليه كيف هرب منها فيكتور ذلك الفئ المنوحش الذي وجدوه في الغابة منذ فترة قليلة , و قد كان يزأروياكل و يمشي مثل الوحوش و الضواري , هرب منها و توجه للغابة مرة أخرى .

ظهر الغضب على وجه الصياد وهو يعدها ان يجد ذلك الوقع وان
يبعث به إلى إحدى المصححات المسؤولة عن مثل حالته .

دخل إلى الغابة وهو ناقم على هذا الفتى الحاقد على النعم التي وقرها
له وقد ركلها الفتى بلا مبالاة , حسناً ستذهب للمصححة ولنرى أيهما
أحن عليك من الآخر...

سيدة عجوز تمثل نبعا لنهر جارف من الحب والحنان أم أطباء لا
يعرفون سوى لغة الأسلاك والتوصيلات الطبية والأهم أنك أخيراً
ستنسى طعم أكل السيدة الشهي وتذكر طعم المشارط الحادة !

أيها الجاحد !!

العام 1799

المعهد الوطني للصمم والبكم

أنفٌ حادٌ يتوسط عينيْن بنيتي اللون تُشعّان ذكاءً حاداً يتوسط الجميع
وجهاً أبيضاً حسن المظهر متوجاً بشعرٍ مموجٍ بني اللون , و الجميع
مزينٌ بابتسامة أفلٍ تكفي لصالح العالم بأسره , كانت هذه هي الملامح
المميزة للطبيب الفرنسي " جون مارك جاسبار إيتارد

عمل " إيتارد " لفترة من الوقت كجراح في الجيش الفرنسي قبل أن
يتخصص في أمراض الأذن وتعليم الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة .

جلس إيتارد وسط زملائه وقد جمعهم ليخبرهم أمراً قرر أنه سيكون مفاجأة لهم ، كان الجميع يحترمه و يقتدر نبوغه و اجتهاده في العمل: بدأ إيتارد حديثه بابتسامة هادئة و هو يشرح لهم حالة فيكتور...

فيكتور الفتى الذي أتى للدنيا مغمض العينين قبل أن تصفعه الطبيعة بعنان ، تأكدت أنه حي يرزق فقررت صفعه بقسوة !

وجد نفسه ملقى في غاية باردة ، بدون طعام ، بدون شراب ، بدون رعاية وبدون مأوى !

كيف استطاع فيكتور النجاة حتى سن الثانية عشر ! هذا أمراً لا يزال لا يعرفه سوى الطبيعة وخالقها !

عندما حوضر فيكتور من الثلاثة صيادين نسي طبيعته البشرية و تحول لوحش مفترس يزأر و يغمش و يصرخ و لكنهم تمكنوا منه ، حملوه لقربة صغيرة و أشرفت عليه سيدة عجوز جميلة ، حنان الأم كاد يحوله لبشري و لكنه عندما يحاول الابتسام ينقض الوحش بداخله على تلك الابتسامة الرقيقة ليمزقها و يذكره بأنه وحش و ليس بشراً !

أراد حرثته فهرب !! بهذه البساطة .

و لكن الصياد قبض عليه و انتهى به الأمر في المعهد الوطني للصم و
البكم , كحالة ميؤوس منها تركوه و لكن إيتارد العالم لم يفقد الأمل
في تلك الحالة , أخبر زملائه انه سياخذه لمزله ليربيه و يعلمه !

دقائق من الصمت ظهرت فيها سحابة غائمة فوق رؤوس زملائه قبل
أن يشقها بردُ المرح فتنفجر باكية ممطرة ضحكاتٍ ساخرة ... تلقاها
إيتارد بدرعٍ خفيٍّ من إصرارٍ و رغبة و هزمها جميعًا و رحل مصبرًا على
تنفيذ قراره

العام 1804

بيت الطبيب الفرنسي " إيتارد "

بعد خمس سنواتٍ يتأمل إيتارد الآن بنفسه ما وصل إليه الأمر
خمس سنواتٍ مرت منذ سخر منه الجميع و الآن فيكتور تعلم العديد
من الإشارات , بعض الكلمات التي يستطيع التعبير بها عن احتياجاته ,
تعلم القليل من المهارات العملية , مهارات الاعتماد على النفس التي
كان أبرزها ما يحدث أمامه الآن , فيكتور يتناول طعامه بالشوكة و
السكين !

مع ذلك لا يعتبر إيتارد الأمر نجاحًا !! ... مسحةً من الحزن ظهرت على
وجهه و هو يتأمل فيكتور الذي لا يزال يواجه صعوبةً شديدةً في
التكيف الاجتماعي , لم يستطع أبدًا أن يستقل بذاته , لم يستطع

التحدث بشكل تام وبطلاقة ، عجز عن نقل المعرفة و التعلم و الخبرة
لشخص آخر!

فيكتور كان اول حالة في التاريخ لمرض التوحد !!

اول الحالات على الإطلاق .

أنهى الطبيب كلامه بابتسامة تسمح لشريف بالتعقيب ، أسمعنا عينا
شريف الذي تمتع وكأنه يحدث نفسه و يردّد الأعراض التي أخبره بها
الطبيب منذ قليل :

" انعزاليةً توحديّةً مفرطة (توقف الطبيب و هو ينظر له بدهشة
بينما الطفل يهرب بعينه من لقاء كأنه يخاف أن تفضحه عيناه)"

" تأخّر وانحرافٌ في اللغة ، ترديد الكلام (كان الطفل يغلق فمه
بعنفٍ بينما ينبع الهدير من داخله ... يصرخ ولكنه مغلق الفم)"

" حساسيةً مفرطةً إزاء المؤثرات الخارجية الرقش الشديد للتغير
... (فتح الطفل عينيه بعنف، و هو يتأمل الجدار الموجود أمامه قبل
أن يفتح فمه عن صرخةٍ مرعبة)"

" تنوّعٌ محدودٌ للنشاط العفوي والتلقائي ... (الأمر المعجيب أنه بتأرجح
بجسمه الصغير للأمام وللخلف في سرعةٍ كبيرة ... يرتجّ بعنف)"

" رياه ا كاتك تصف ما رأيناه للمرة الأولى عندما وجدنا الصبي "

اتسعت انسامة الطبيب و هو يستكمل شرحه للعالة :

" التوحد يعتبر إعاقة في النمو تصاحب الأشخاص المصابين بها لتؤثر على الطريقة التي يتحدث بها المريض و على طريقة تواصله مع من حوله من الأشخاص , الشخص المتوحد عبارة عن كتلة من المواقف و الأماكن و الأصوات , من الممكن أن تقضي وقتاً طويلاً بجواره تستمع لمقطع صوتي يصدره محاولاً فهمه بينما قد يكون يقتل الوقت بإصدار مجموعة من الأصوات التي لا علاقة لها ببعضها , التوحد مرضٌ بلا علاج و لكن مع الرعاية الجيدة و متابعة العلاج المبكر و المكثف قدر الإمكان يمكن أن يحدث تغييرٌ جديٌ و ملحوظٌ في حياة المصابين به , هناك ثالوثٌ يعاني منه كل المصابين بالمرض هل استنتجتة من حديثي ؟ "

ابتسم شريف و قد لاحظ أن الطبيب يغازل فيه الحس الأمني الذي من المفترض أن يقرأ ما بين السطور ... لذلك بصوت هادي واثق بدأ يجيب :

" اللغة أولهم , يليها السلوك ... أما الثالث "

لم يعرفه فتظاهر بشرب الشاي لكي يسرق لنفسه لحظات للتفكير و لكن الخدعة لم تنطلي على الطبيب الذي فضل ألا يخرجه فقال :

" العلاقات الاجتماعية "

ابتسم شريف لللمسة الرقيقة من الطبيب الذي أنهى كلماته قبل ان يتبعها بجملةٍ مرحة :

" أنا محاضرٌ ممل ... لهذا اخترت العمل في المستشفيات ورفضت ان أعين معيداً في الكلية "

أجاب شريف في سرعة :

" بالعكس تماماً ... أنت محاورٌ جيدٌ ومحاضرٌ لبق

" إذاً هيا بنا لنطمئن على الطفل ونعود لاستكمال حديثنا "

قام الإثنين وأصر شريفٌ ألا يخرج من الغرفة إلا بعد أن يغسل الأكواب جيداً ... خرجا من الغرفة وتباطأ شريفٌ قليلاً خلف الطبيب وهو مهمكٌ في تجفيف يديه ... فتح الطبيب الغرفة وقبل أن يدخل فتح فمه في زهول وارتجف جسده بالكامل وهو يقول بصوتٍ منوتر:

" شريف ... يجب أن ترى هذا !! "

أسرع شريف إلى الغرفة قبل أن يتسمر بجوار الطبيب وهو يهتف بصوتٍ مرتجف :

" مستحيل ! "

لموه حظه لم يلقه بهاء الوعي مما أعطى للألم نشوة غريبة . كان يسري في عروقه بجوار دماءه و يسابقها وصولاً لجسده المنهك ليزوره زيارات ملينة بالوجع . كل ذرة ألم تقافزت في مرج لحضور سيدها . أخيراً انتهى إله الألم من فرض سيطرته على جسده المنهك وبدأ يعود للواقع ... بدأ يتأمل المكان . كان بداخل مخزن مهجور أحمر الجدران . غير مرتب . بضع أشياء مبعثرة هنا وهناك تقضي وقتها ملأاً في ثبات لا تغيره . كان جسده مسحى على منضدة معدنية باردة . اعتدل يتأمل كليه الجالس بنوح تحته . أشار له بصفارة خافتة صاحبه ارتفاع إصبعة أمام شفتيه يأمره بالصمت . استجاب له واعتدل وهو يصعد بجواره على المنضدة . تحسس فروه الناعم بيديه وهو يتأمل المكان من حوله حتى توقفت عيناه أمام الباب المعدني لحظات فكرفها حتى وصل لحقيقة أنه لو فتح هذا الباب فسيلفت الأنظار له وهو في غنى عن هذا الأمر . زمجر بصوت منخفض في ضيق محدثاً جروه :

" ماذا الآن؟ ... يبدو أننا في سجن !"

نظر له الكلب بعينين برلتين قبل أن يقفز من فوق المنضدة و يعدو المنتصف المخزن نابشاً في الأرضية للحظات وهو يتابعه بعينه . لم يفهم ما الذي يحدث . لحظات مرت قبل أن يقبض الجرو بأسنانه على قبضة معدنية مثبتة في الأرض . انتفض بهاء وقام متجهاً إليه . حركته السريعة أصابته بالدوار فترنح للحظة قبل أن يستعيد توازنه وهو ينجيه له . جلس على ركبتيه يتأمل القبضة المعدنية المثبتة إلى باب

خشي صغير مربع ، جذب اليد فرفع الباب الصغير ليفتح كوة تسمع
بمروره ، كان المكان بالأسفل منيرًا بمصابيح صغيرة مثبتة على جانبيه ،
نظر لجروه في تساؤل أجاب عنه الجرو عندما اندفع للأسف متقافز
على درجات السلم ، لم يملك إلا أن يتبعه مع مراعاة تركه للباب
مفتوحًا كمخرج خلفي إذا استجد أي جديد نزل للأسفل متأملًا
الجدران المتعرجة التي تظهر بها منحنيات و فراغات كأنها تجاعيد
الزمن ، هبط لبجد بابًا مغلقًا ، وقف أمامه للحظات قبل أن يحسم
أمره ، تحسس جسده الخشي بحثًا عن مقبض يسير به أغوار المكان ،
أمسك المقبض وهو ينظر لكبه نظرة مليئة بالاستعداد والحماس ،
فتح باب الغرفة ليجدها مظلمة تمامًا لا يرى منها شيئًا ، بحث بيده
حتى وجد زر الإضاءة ، نفس عميق ترك العالم و اتخد من صدره
ممسكًا قبل أن تنير الغرفة ، ارتجف جسده بشدة وهو يتأمل الغرفة و
الموجودات بها قبل أن يشعر بصوت خطوات نزل السلم ... لو قتلوه
لن يدخل تلك الغرفة الملعونة ، أغلق الباب وهو يحاول تناسي ما رآه
بالداخل منتظرًا قدره الهابط على السلم في يأس و خوف.

تأمل شريف الغرفة من الداخل بذهول ، مرت لحظات وهناك العديد
من الأفكار تتصارع بداخل رأسه ، تحركت يده تلقائيًا لتفتح الجراب
الخاص بمسدسه قبل أن تتشكل أصابعه على شكل معين استعدادًا
لتحرير المسدس إلا أن قبضة الطبيب أمسكت يده ، التفت ببطء

يتأمل ملامح الطبيب و كأنه يراه لأول مرة . كان منفصلاً بكيانه عن الواقع متأملاً الغرفة .

جميع الموجودات بالغرفة تراصت على شكل دائرة مركزها جسد الطفل :

الوسادة

كتاب صغير

سماعة طبيب كانت موجودة على المنضدة

قلم يبدو أنه كان ضائعاً من أحدهم

كل الموجودات بالكامل شكّلت دائرة نظر الطبيب لشريف و هو يُمسك يده قبل أن يتحدث بصوت هادي واثق :

" من الممكن جداً أن يلجأ المتوحد لفعل أشياء عديدة كمحاولة للفت النظر إليه أو محاولة لتوصيل رسالة ما لا يستطيع إيصالها لنا بسبب افتقاره لأدوات التواصل اللازمة "

" هل ... هل تقصد أنه فعل ذلك ؟؟ "

" لم يدخل غيره الغرفة ... طبعاً هو ... ليست هذه المشكلة التي علينا الوقوف أمامها الآن ... هناك مشكلة أهم "

" ما هي ؟ "

" المشكلة الآن هل فعل الطفل ذلك بهدف لفت الأنظار له ! ... أم أن هناك رسالة معينة يحاول أن يوصلها إلينا من رسمه لتلك الدائرة ؟ "

" دكتور ... هناك أمرًا ما أريد أن أحدثك فيه ولكن علينا أن نخرج من تلك الغرفة "

" حسنًا "

دخل الطبيب للغرفة و هو يضغط زرًا صغيرًا يقبع ساكنًا بجوار الطفل , ضخمة الطبيب أيقظته فأطلق أزيزًا محتجًا قبل أن يعود لسباته مرةً أخرى , ابتسم له الطبيب معتذرًا قبل أن يصحبه خارج الغرفة و يغلق الباب من خلفه برفق كي لا يزعج الطفل النائم في مبات عميق .

ذهبا إلى الاستراحة مرةً أخرى و جلس الطبيب بجوار شريف قبل أن يومئ برأسه إيماءة تعني إشارة البدء ليَقصَّ ما عنده , ابتسم شريفٌ في حرج , و هو يحاول أن يرتب أفكاره لتخرج بشكلٍ منسَّقٍ حسن الهيئة , أخيرًا قرر أن يقصَّ له شكوكه في الأمر :

" في الحقيقة أنا أعتقد أنها ليست حالة توحّد ... و قبل أن تهمني بضيق الأفق أو الجنون أذكرك أنك لم ترى ما رأيت "

- وماذا رأيت أنت ؟ "

صمت شريف للحظاتٍ قبل أن يقصّ عليه :

- سافقتَ عليك كل شيءٍ ولكن فلتعلم أنها أسرار مهنتي ... لن تسرب سرّاً واحداً للخارج مستقضي على مسيرتي المهنية بأكملها "

هز الطبيب رأسه مطمئناً إياه فتابع شريف بتبرةٍ حملت ارتياحاً :

" منذ البداية كانت جريمة القتل بشعة ولا يمكن لبشريٍّ مهما كانت فسوته أن يرتكب مثلاً ، فعلٌ شيطانيّ المصدر وشيطانيّ التنفيذ ... لم يكن هذا فقط ما حَيَّرني ، الطفل نفسه كان يضع يديه على أذنيه و يفلق عينيه بقوةٍ وكأنه يحمي نفسه من شيءٍ ما رآه أو سمعه الضوء انقطع بينما نحن نتحرى الأمر وعاد بمجرد أن خرج الطفل من المشقة ... الأمر محيّرٌ للغاية بحق ! "

" ماذا تريد أن تقول ؟؟ "

" أشك أن الأمر ليس مجرد حالة توحّد ... الأمر خرج من نطاق المرض و دخل حيّزاً آخر أكثر شراً وأشدّ طرّاً "

" لا زلت لا أفهمك ... ماذا تريد أن تقول ؟؟ "

صمت شريفٌ و هو ينظر للأرض ، لاحظ رعشةً خفيةً في يده اليسري ناتجةً عن توتره ، أخفى يده تحت قدمه و هو ينظر للطبيب في عينيه و

هو يخبره , ارتعش جسد الطبيب عندما سمع الكلمة التي نطق بها شريف و دارت عيناه في محجرهما بقلق , ابتلع ريقه بصعوبة و هو يجفف العرق البارد الذي نبت في تربة جبينه الخصبه , دق قلبه بعدة ضربات سريعة و هو يبحث عن كلمات يرد بها عليه , حاول أن يغمض عينيه ليستعيد تركيزه ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه , يشعر كما لو كان لن يستطيع إغماض عينيه الليلة مرة أخرى , قطع حبل مخاوفه و قلقه أربز حاد من غرفة الطفل مع صوت الممرضة التي تناديه بلهفة في المذيع الداخلي الخاص بالمصحة ...خرج يعدو بأرجل هتاك عرضها القلق و من خلفه شريف الذي ندم على تصرّبه , وقفا أمام الغرفة يتأملان الطفل الذي يفعل شيئاً غربياً للغاية , ابتلع الطبيب ريقه بصعوبة مرة أخرى و هو يقول :

" أنت متأكد مما تقول ؟ "

هزّ شريف رأسه ... صمت الطبيب و هو يستعيد كلمات شريف بصوت خافت ...

" استحواذّ شيطاني ! "

صوت طرقات الكعب الذي يتزل السلم ببطء , بالإضافة لحرارة الغرفة , الانتظار وارتفاع درجة الحرارة لو تواجدا فالتوتر ثالهما , أخيراً

ظهر الرجل الأشقر و من خلفه شابٌ أسمرٌ بشع الخلقه و شابٌ آخر عريض الجسد ممتلئ , يحمل أحدهما منشأً كهربائيًا و يحمل الآخر حقيبَةً قماشيةً فارغةً و صاعقًا كهربائيًا , عندما راوه توقفوا , ابتسم الأشقر و الأسمر بينما تحفّز الممتلئ حاول التحرك إلا أن إشارة صارمة بيد الأشقر منعتة من التحرك , ضغط الأسمر على زرّ الصاعق الكهربائي ففرقع بعنف , شعرباء أن الصاعقة الكهربائية الصغيرة التي صدرت من الجهاز تبتسم بشهوة و هي تتذكر ما فعلته به شقيقتها السابقة , فهم بهاء الرسالة فأشار للكلب الذي نام أرضًا و قد مدّ رأسه في استسلام بينما هبط بهاء على ركبتيه و هو يشبك يديه خلف رأسه في استسلام , اتّسعت ابتسامة الرجل و هو يقول بصوتٍ رخيم :

"اعتدل"

اعتدل بهاء في بطءٍ و عيناه تجولان على الثلاثة أجساد تشمشم بأنوفها عن رائحة الغدرو والخيانة إلا أنها لم تجد فعادت إليه مطمئنة مطمئنة

وقف بهاء و هو يزيل الغبار عن ملابسه , مدّ الأشقر يده إليه و هو يطمئنه بابتسامةٍ ودودة , مدّ بهاء إليه يده و بمجرد أن لمست يد بهاء يده حتى جذبته بعنفٍ و هو يدير جسده الصغير و بمجرد أن أصبح ظهر بهاء مواجهًا له حتى جذبته إليه سريعًا و بحركةٍ سريعةٍ أخرج سكينًا حادًا وضعه على رقبة بهاء بعنف و هو يقول بصوتٍ خشن :

" أعطني سببًا واحدًا يجعلني لا أقتلك الآن ؟ "

تحفز الكلب و زار بعنف وكاد يهجم على الأشقر إلا أن بهاء قد أشار له بيده فاستكان منكسرًا يراقب الوضع بعينين دامعتين ... حاول بهاء أن يتحدث إلا أن صوته خرج خافتًا مختنقًا :

" أعطني سببًا واحدًا يجعلك تقتلني ؟ "

ضحك الرجل حتى تحسج صوته من الضحك , بصق على الأرض بعنفٍ وهو يقول :

" سأعطيك أسبابًا عدة أنا في مركز القوة سكتني على شريان حياتك ... ندخلت في عملي بدون إذن ... رأيت ما لا يجب أن ترى "

ضغط طرف السكين وهو يحركه ببطء , خيطٌ رفيعٌ من دماءٍ مضي متبعاً خطوات السكين قبل أن يشعر بهاء بالألم فتبكي رقبته دما من أثر الجرح , شعر بهاء بالدماء الدافئة فهتف بصوتٍ مختنق :

" لالا ... إنتظر ! "

رفع الرجل السكين وإن لم يبعده عن رقبته , وقال بصوت أجش :

" تكلم ! "

شعر بهاء بأن الهواء الذي يتنفسه قد صار أغلى و أئمن , تحدث
بسرعة :

" لم أزشيئا وكنت أبحث عن شادو الذي كان ينام هنا ... بمجرد أن
مببطت لأجد شادو وجدتك خلفي "

نظر الرجل للكلب وله يشارك للحفظات قبل أن يقول :

" ولم تفتح الباب ؟؟ "

أشار بهاء للباب بيده وهو يقول :

" أي باب ؟؟ هذا ؟؟ أقسم لك اني لم أفتحه "

تركه الرجل يسقط أرضًا يتحسس جرح رقبته وهو يسعل بعنف وهو
يقول :

" هل تعلم ... سأضيمك لقائمة رجالي و ستعمل معي ... هل تعلم لماذا؟ "

سأل بهاء بخوف :

" لماذا ؟ "

" لأنك تجيد الكذب ! "

سعل بهاء وهو يعتدل ويقف أمام الرجل ويقول :

" ماذا تعني ؟ "

" أنت دخلت الغرفة ... أنظرا "

أشار الرجل لوريقية صغيرة كان يضعها بين الباب وإطاره و بمجرد أن تفتح الباب تسقط أرضاً ، ابتسم بهاء لحنكة الرجل و حذره: مد الرجل يده إليه مرة أخرى ، ابتسم بهاء و مد يده إليه فكرر الرجل فعلته ، جرحه بالسكين في عنقه مرة أخرى وهو يقول بصوت أجش :

" إذا أردت أن تكون من رجالي لا تثق في أي شخص ... ولا حتى أنا !! "

ثم دفعه و ألقيه أرضاً ، أشار لتابعيه ، أوقفه الأسمر و فتح الرجل باب الغرفة و تبعه الثلاثة ، بمجرد دخول الغرفة و التوغل بداخلها ... تجد أن الهواء النقي يفرّ فزعاً من داخل الغرفة ليترك الروائح الكريهة تحتلها و ترفع عليها علمها الذي يحمل علامة الموت !

عشرات الجثث الأدمية معلقة رأساً على عقب ، جثث رجالي و سيدات أطفال تتدل من سلاسل معدنية مثبتة في السقف تنتهي بخطاف ضخم يضم عرقوبي القدمين ، تتأرجح بشدة نتيجة إبعاد الرجل و رفيقيه ، جثث مفتوحة و تبدو فارغة من الداخل و تحتها دلاء معدنية قذرة و صدئة: الكلب يزوم خارج الغرفة و يننّ بألم ، يرفض دخولها ، تلفّت بهاء حوله و هو يراقب الغرفة بأعين تبكي رعباً ، لم يتحمل بهاء المنظر فانتحى على دلو معدني صغير موضوع أرضاً ، بمجرد أن رأى ما

بقيع بانتظاره داخل الدلو حتى تقيأ فيه بشدةً وهو يسمع ضحكات الرجل ورفيقه تتردد في سخرية عليه ، لم يتحمل فتقيأ مرةً أخرى .

وقف شريف يتأمل المكان أمامه بنهولٍ غير مصدقٍ ، الغرفة الآن مقلوبةً رأساً على عقب ، الهدوء الذي يسود أرجاء المصحة تحول لضوضاءٍ تداخل فيها صراخ الممرضات و صوت الإذاعة الداخلية و صوت أزيز جهازٍ طبيٍّ ما بالإضافة لأتات ألمٍ واضحة ، نظر شريف للطبيب الذي يقف بجواره والذي استبدل هدوءه و ابتسامته بخوفه وتوتره الجليان على وجهه الآن .

هناك ممرضةٌ مسجبةٌ أرضاً تسند جسدها اثنتان من زميلاتها و قد انغرس قلمٌ في كتفها من الخلف ، الدماء تُفرق ملايسها وهي تنئن في ألمٍ ، هناك ممرضةٌ عاجزةٌ تضرب أزرار الجهاز الطبيّ الذي ينن بألمٍ دعماً للمصابة يبدو أن القزع قد أفقدها تركيزها فلم تعد تعلم ماذا تفعل!

تأمل شريف المكان أمامه قبل أن ينظر للطبيب القلق الذي يتأمل الوضع و قد شلّه الخوف ، تخيل لوهلةً أن الخوف يبتسم له ابتسامةً صفراء لأنه أحكم سيطرته على الأمور ، إلا أنه و في لحظاتٍ استعداد جسده الأمفي وارتداه سريعاً : صرخ في الممرضة المرتبكة :

"أنت ... خذي نفثاً عميقاً و استعدي تركيزك و" تلخمي مع الأمر
بهذه "

بالفعل تصرفت الممرضة بناءً على تعليماته و نجحت في جعل الجهاز
يصنف , نظر للمرضتين اللتين تحملان جسد زميلتهما وأمرها بأخذها
إلى قسم الطوارئ لكي يتم عمل اللازم و علاجها , نظر للممرضة التي
أصغت الجهاز ثم أمرها بصوت هادئ أن تأتي بشخص ما ليزيل آثار
تلك الدماء من الغرفة وأن تصعد لتطمئن زميلتها في الإذاعة الداخلية
وأن تجعلها تصمت قليلاً !

الهدوء راحة ولكن لودام !!

بمجرد أن ساد الهدوء اعتدل الصبي فجأةً على الفراش و هو يتحرك
ببطء شديد , رفع يديه و هو مغمض العينين إلى أذنيه و سدّها جيداً.

لحظة صمت مرّت و الطبيب و شريف لا يقويان على أن يتحركا أو
يفارقا بصرهما جسد الفتى الذي انهمك في الاهتزاز بعنفٍ للأمام و
للخلف و هو يهمهم بكلمة ما بداخله تخرج مكتومةً بعنف لا
يستطيعان أن يميزاها , أشار شريف للطبيب بالاقتراب و تساءل بصوت
خافت :

"ماذا يحاول أن يقول ؟؟ "

اقترب الطبيب من الطفل و هو ينصت قبل أن يقول :

" يبدو انه يقول (ناتم) او (طاطم) أوشي؛ ما كهذا ! "

" وماذا تعني هذه الكلمة ؟؟ ولماذا يفعل هذا ؟؟ "

انتهى كلماته عندما دخلت الممرضة الغرفة بصحبة إحدى العاملات
المسؤولات عن النظافة و انهمكت في تنظيف الدماء دون أن تسأل .
يبدو انها ليست المرة الأولى التي ترى فيها دماء في غرفة مريض !

جذبه الطبيب من يده و هو يشير للممرضة أن تفعل اللازم , نظره و
هو يقول بتوتر :

" كلّ منا يجب أن يشرح للأخر أشياء لا يفهمها "

وصلا للاستراحة و جلسا بجوار بعضهما لم يكن لأحدهما شهية
للتناول أيّ مشروب , ما حدث و التوتر الناتج عنه أفقدهما شهية
الطعام و أكسهما شهية الفهم و التعلم !

الفضول الآن يلعب دوره على أكمل وجه !!

تحدث الطبيب أولا :

" هناك في الغرفة لاحظت نظراتك التي فحصت المكان بأكمله قبل أن
تلتصع عيناك بشرارة الفهم ...يجب أن أفهم ما الذي حدث و كيف
أصببت تلك الممرضة !! "

ابتسم شريف ابتسامة هادئة قبل أن يقول :

" سأخبرك ... عندما تمتحن مهنتنا يجب أن تعلم أن مفاتيح الفهم كلها تكمن في التفاصيل ... صيغائر الأمور هي أوضحها , عندما دخلنا في المرة الأولى لاحظتُ أن هناك قلماً في الغرفة و يبدو أيضاً أن تلك الممرضة انشغلت في ترتيب الغرفة بعد حادثة الدائرة , و عندما دخلنا وجدت أن الحامل الصغير سقط أرضاً و محتوياته مبعثرة تلك الممرضة كانت ترجع بظهرها عندما تعثرت في الحامل الذي سقط أرضاً و منه انغرس القلم في كتفها بسبب وقوعها بثقل جسدها عليه "

اتسعت عينا الطبيب في دهشة و هو يقول :

" هل عرفت كل هذا في تلك الثواني القليلة !! "

ابتسم شريف و لم يردّ وإنما تابع في صوّب خافيتُ كأنه يحدث نفسه :

" هناك عدة أشياء لا أفهمها لماذا لجأ الكائن الشيطاني الذي يستحوذ على الطفل لهذا الأسلوب ليبدو الأمر وكأنه حادثٌ بينما قد أعين عن نفسه بفجاجة في أمورٍ أخرى ؟!! ... و أيضاً كيف عمل هذا الراديو بمفرده ؟!! و ما هي الرسالة التي يحاول الطفل أن يوصلها بكلمته المهمة "

' سأخبرك أمراً ما يجب أن تعلمه , تلك الحركة هي ما يسمى بالحركة لنمطية الخاصة بمرضى التوحد تُعرف طبيّاً أنها الإصرار على

النماثل و النمطية في التصرف ذلك الطفل يُخرج طاقته الحركية في تلك الحركة النمطية التي تختلف من طفلٍ لآخر فقد يختار بعضهم مثلاً رفرفة اليدين كالطيور ، الدوران حول نفسه ، القفز ... وغيرها من الحركات النمطية الأخرى هذه الحركات قد تسبب ضعف شعوره بالألم و قد يؤدي نفسه بها !"

" حسناً ... ما فهمته منك أن تلك الحركة النمطية شائعة عند العديد من مرضى التوحد !"

" بالضبط ، أما بالنسبة للكلمة الغامضة ... الطفل المتوحد أو الذاتوي يعاني من خللٍ في القدرات اللفظية أي أن هناك خللاً في القدرة الكلامية ، في بعض الحالات قد يتمكن الطفل من نطق كلماتٍ معينةٍ أو جملٍ ما إلا أنه في الغالب تظهر مشكلاتٌ متنوعةٌ في التخاطب كتكرار ألفاظٍ و كلماتٍ بلا معنى أي أنه و باختصار نحن أمام احتمالين أولهما أن تكون هذه الكلمة عبارةً عن مقطعٍ صوتيٍّ بلا معنى ، أو أن تكون تلك الكلمة لها معنى و مغزى يحاول أن يوصله و بالنظر لما قصصته لي و بوضع احتمال الاستحواذ الشيطاني في الحسبان سأشك أنها رسالةٌ ما !!"

فكر شريف بصوتٍ عالي :

" طاطم !!!"

صمت الطبيب لحظة قبل أن تلتصع عينه وهو يقول بلهفة :

"ولماذا لا يكون يحاول أن يقول أنه نادم !!"

نظر له شريف بدهشة وهو يهز رأسه موافقًا :

"بالفعل !... أنت لم تر المذبحة التي ارتكبتها هذا الطفل أو هذا المسع الذي يكمن بداخله "

في تلك اللحظة رنّ جرس الهاتف الداخلي الخاص بالاستراحة , استأنن الطبيب ورذ , لحظات صمت لا يقطعها سوى هزة رأسي أو مهمة تشير بالمتابعة , دقيقة مزّت ووضع الطبيب سماعة الهاتف وقد تغيرت ملامحه وهو يقول :

"هناك خبرٌ جيد وخبرٌ سيء !"

تغيرت ملامح شريف بدوره وهو يقول :

أ بالجيد "

ابتلع الطبيب ريقه وهو يجبر نفسه على الابتسام :

يبدو أن أحد مهندسي الكهرباء الجدد قد أخطأ في توصيل أحد السلوك مما أدى لوصول تيار كهربائي في ذلك القسم المهجور منذ حين ويبدو أيضًا أن الكهرباء عندما غادرت هذا المبنى غادرته فجأة !

لم تعطِ الفرصة لذلك الراديو القديم أن يلم شتات نفسه ويغفو قبل أن ترحل ... لذا عندما عادت الكهرباء صدح مغنيًا في نشوة قضعته "

ابتسم شريف للغة الطبيب المنمقة قبل أن تتبدل ملامحه للتوتر والقلق :

"والخير السيء ؟؟ "

" الطفل لم يكن يقول نادم !! وإنما كان يقول قادم !!! ابن عم أبيه منا أتى ليصطحبه ليعيش معه ! وليس هناك أي مانع صحي أو قانوني يمنعه من هذا "

أُسعت عينا شريف في ذهول وازداد تأكده أن هناك خطبًا ما في هذا الطفل .

حمله الرجلان من إبطيه وهما يعدلانه , تمالك نفسه وقاوم الدوار و هو يقف أمام الرجل الذي يراقبه بشبح ابتسامة وكأنه ينشئ من صدمته , كان بهاء تاركًا جسده لقيضة الجاذبية , ركله أحد الرجلين في قدميه و هو يقول له بصوت أجش كلمة لم يفهم معناها إلا أنه استوعب إثر الركلة فحاول الوقوف دون مساعدتهما , وقف أخيرًا مستندًا إلى قدميه و هو يشعر من بين دواره بشعور غريب وكأنه يجرب الوقوف للمرة الأولى , مد الرجل يده له بمنديل ورقي فأمسكه و

هم أن يمسح به شفتيه اللتين تلوثتا بالقيء . هزّ الرجل رأسه في إشارة نافية وهو يقول :

" لا ... ! لم أعطيه لك لهذا الغرض !! "

هزّ بهاء رأسه في عدم فهم وهو يحاول أن ينطق إلا أن صورة الجنث المفتوحة والأحشاء التي رآها في ذلك الدلو الصدي لا تفارق خياله ففضّل الصمت بدلًا من أن يقيء مرةً أخرى . تحرك الرجل ببطء وهو يتحدث ، دار حوله في خطواتٍ بطيئةٍ وهو يعطي إشارةً للرجلين أن يتراجعا ، وقف بهاء مترنحًا والرجل يدور حوله قائلاً :

" أنظري جيدًا وافهم ما سأقول ... قدرك قد أوصلك لهذه النقطة و تركك وحيدًا في مواجهتي ، ربما تشفقًا فيك وربما خوفًا عني !! ... أمامك طريقين يجب أن تسلك أحدهما الطريق الأول في نهايته ينتظرك ملاك الموت على أحرّ من جمرٍ ليقبض روحك بعدما أنتهي منك و حسب ما أتذكر أنت رفضت هذا الحل "

هزّ بهاء رأسه موافقًا على كلماته فتابع الرجل :

" الطريق الآخر انتظرك في نهايته حاملًا المجد والراحة والثراء بين يدي ... أنت اخترته اليس كذلك ؟؟ "

أنهى الرجل كلماته و هو يرفع رأسه ، للأعلى ليواجهه منتظراً رده ، هز
بهاء رأسه في موافقة على سؤاله كان الرجل الآن يواجهه تراجع
للخلف خطوة وأعطاه ظهره محدثاً إياه :

يجب أن تتعلم شيئين مهمين ها هنا أولهما أن يموت قلبك و
تموت مشاعرك كيلا تموت أنت ، يجب أن تتغلى عن كل شيء أحببته
... تنسى كل حلم حلمته ... ترمي بكل معارفك عرض العائط ، يجب أن
تعيش وحيداً متفرداً تركل كل نقاط ضعفك و تسحقها تحت
قدميك ... لا يجب أن يكون لك ذراعٌ لكي يلويه أحدهم مهدداً إياك "

هز بهاء رأسه في فهم و قد بدأ يتمالك أعصابه و يستعيد توازنه ، وقف
جيداً دون ترنح و استعداد جزءاً كبيراً من تركيزه و هو يستمع إلى كلماته
باهتمام: قرر بهاء و نوى أن يتعلم جيداً و يخلص لعمله كيلا يموت أو
يقتل ، لقد وضع قدميه على طريق لا رجعة فيه ، فالجحيم من أمامه و
النيران من خلفه فمن أين الهروب من الاحتراق إذا فليحترق
سعيداً!!!

استكمل الرجل :

" الأمر الآخر ... لا أحد يفسد بضاعتي أو يقبي عليها ... هل تفهم أنها
الوعد ؟ "

انهى كلمته و هو يلکم بهاء بقوة ألقت بجسد بهاء أرضاً قبل أن تكي شفتيه دماً و هو ين في ألم مستمعا إلى ضحكات الرجلين قبل أن يصرخ فهما الرجل بعنف :

" صمناً ! "

و كأنه أعطى الأمر لكل مخلوق على قيد الحياة توقف الرجلان عن الضحك و صمت بهاء عن التأوه حتى الكلب الصغير صمت تماماً . مدّ يده لبهاء لكي يعتدل بهاء . أعطاه بهاء يده فلوأها في حركة سريعة و هو يصرخ به :

" يبدو أنك غليظ العقل ... أخبرتك من قبل ألا تثق في أي شخص حتى لو كان أنا "

لحظة صممت مرّت قبل أن تردد الجدران صوت قرقعة عظام يد بهاء و هي تتكسر في عنف . و صوت صرخة حادة أطلقها بهاء من داخله متألماً فيها بإخلاص لا يقبل الشك قبل أن يفقد الوعي تاركا الرجل وأتباعه في عالم مرتعلاً لعالم آخر لا يعرف سوى اللون الأسود فقط !!.

" هناك خطب ما في هذا الطفل . هذا ليس طفلاً طبيعياً ! ... أنت لم تز كيف قتل أهله ! ... لم تر تصرفاته منذ ذلك الحين أؤكد لك أنه خطرٌ عليك ... بل خطرٌ على البشرية ... إسمعي جيداً ! ... هناك كائنٌ

شيطانيّ يستحوذ عليه ... لقد رأيته جلياً ... منذ رأيته أول مرة و شفتاه ملوثتان بالدماء جالساً في براءة مصطنعة متظاهراً بالتوحد، ومنذ أن خرج من الغرفة لتعود الإضاءة و كأنها تنتظر خروجه لتعود، المسجل الذي عمل وحده مطلقاً أغنية غريبة تتحدث عن حكم الشيطان للأرض !! المريضة التي أصيبت و كأنها أول مرة تعمل بالمريض ، الدائرة التي تكوّنت حوله و كأنها تشير لنا إلى مصدر الخطر الذي يجب أن ننبه له ، أخيراً و ليس آخرًا تنبؤه بحضورك قبل أن تأتي بساعات !! صدقني يجب أن تتركه هنا تحت المراقبة ... هذا الطفل خطر ... هل تفهمني ؟؟؟ ... خطراً!"

أنهى شريف كلماته لخالد ، خالد كان ابن عم هاشم ولكن قرابتهم لم تكن شفيقاً لهما لكي يقتريا من بعضهما البعض فكانا مختلفين تمام الاختلاف ، خالد كان نحيلاً حليق الرأس ، ذقنه لم تكن قصيرة و لم تكن طويلة !!

كان وجهه مليئاً بالتجاعيد رغم صغر سنّه ، يرتدي قميصاً أسود اللون مليئاً بالدوائر الحمراء و بنظراً أسود؛ نظر خالد لشريف لدقيقة و هو يتأمل ملامحه قبل أن يدير وجهه للطبيب مرة أخرى و هو يقول :

" من هذا ؟ "

شعر الطبيب بالحرج فتلعثم في ردّه قائلاً :

" هذا شريف ... المسؤول عن التحقيق في جريمة قتل هاشم ابن عمك وزوجته "

" وماذا يفعل هنا ؟؟ "

" كان يراقب الطفل الصغيراً "

" وما هذا الهراء الذي يقوله ؟؟ "

" حسنًا لقد رأيتُ بعض هذه الأشياء لذا حاول أن تصدّقه "

" وأنا لم أر شيئاً لذا حاول أن تصمت قليلاً "

أمسك بالقلم و هو يستكمل ملأ البيانات اللازمة للانهاء من هذا الأمر بينما حاول شريف أن يتحدث مرةً أخرى إلا أن خالد قاطعه صانعاً في الطبيب :

" هذا الأمر غير معقول !! ليصمت هذا الشرطي أو سأتهمه بالبلاهة ! "

انفجر فيه شريف بصوت عالٍ لفت لهما الأنظار :

" إلزم حدودك وإلا سأجرك جزاً إلى القسم و أكتب لك محضراً "

لم يتحمل خالد فانفجر بدوره :

" أي قسم ؟؟ قسم المقتولين ؟؟ "

تدخل الطبيب لهدئ الأمور بينهما قليلاً و أبعد شريف متحدثاً معه بصوت هادئ :

" شريف ! ما بالك ؟؟ إهدأ قليلاً و لا تعطي الفرصة لأي شخصي ان يمسك عليك زلةً ما "

تنفس شريف ببطء و هو يهز رأسه متفهماً , عادا لخالد الذي أنهى الاستمارة واضعاً إياها على المنضدة ناظرًا لشريف بتعجب لم يُعقّب عليه شريف؛ ذهب خالد ليتسلم الطفل الذي علا صوت صرخاته بعض الوقت محتجًا على التغيير الذي سيصيبه , و خرج من المصحّة و هو يُمطر شريف بنظراتٍ غاضبة

بمجرد أن خرج من المصحّة أخرج هاتفه المحمول ناظرًا إليه ضاربًا شاشته التي تعمل بخاصية اللمس باحثًا عن رقم ما قبل أن يضعه على أذنه و يصمت لحظاتٍ منتظرًا الردّ من الجهة الأخرى قبل أن يقول :

" الطفل معي ... أريدك أن تنهي الأوراق الخاصة بالإرث حتى نستحوذ على المبلغ و نعطيك نسبك و نلقي بالطفل "

أغلق الهاتف و وضعه في جيبه و هو ينظر للطفل الذي يقاوم في حركاتٍ عصبيةٍ حادةٍ قبل أن يمتدّ شفّتيه في عدم اهتمام راحلًا عن المصحّة بخطواتٍ سريعة

بعد مرور مدّة من الزمن وفي جنح الليل تحرّك الثلاثة رجال مستترين تحت لحاف الظلام متّقين شرور الضوء وما سيحمله لهم من أثام . خطواتٌ بطيئة رتيبة وأجسادٌ تلتصق بالحوائط ، أنفاسٌ متقطعةٌ تَكَاد لا تُسمع . أزواءٌ سوداء كاملة وأحذيةٌ مطاطية ، أَعَدّوا العَدّة جيّداً كي لا تفشل مهمتهم: كان أحدهم يتأخّر عن الآخرين بمقدار خطوتين ، يبدو الارتباك جليّاً على حركاته وقلة التركيز تُطِلّ بوضوح من بين تصرفاته . حاول استدعاء شيطان التركيز إلا أنه أبى الحضور ، وسط حفيف الرياح تحرّكوا وبين ثنيات الظلام اختفوا ، وصلوا إلى وجهتهم المنشودة ، توقفوا وأشار لهم رجلٌ يبدو أنه قائدهم ، أشار لرجلٍ بيده أن يذهب لناحية اليمين ويبحث عن نافذةٍ يدخل منها ، أشار للآخر أن يفعل مثله ولكن من الجهة اليسرى وسيدخل هو من الباب الرئيسي ... كانوا يقفون أمام منزلٍ يتوسط حديقةً غنّاء زاهية منزلٌ أبيض يتمتع بسقفٍ خشبيٍّ بني يحيطه سورٌ كأنه يحتضنه ويخفي الحديقة عن أنظار العابرين ، نافذةٌ زجاجيةٌ ضخمةٌ تتوسط كل حائطٍ من حوائط المنزل المزدانة بدهانٍ لامعٍ يبدو سائرًا للناظرين ، بابٌ خشبيٌّ ضخمٌ قديم الطراز يتوقف صامداً أمام محاولات الرجل الذي يعبث فيه بقطعةٍ من السلك محاولاً جعله يتراجع عن صموده لحظاتٍ مرّت قبل أن يسمع صوت النّكة المميزة لفتح الباب ليقف مبتسماً في شماتةٍ أمام الباب قبل أن يفتحه ببطءٍ وهو يدخل ومن ثم يغلقه مرّةً أخرى بهدوءٍ من خلفه ، المنزل من الداخل مظلمٌ تماماً إلا من أشعة قمرٍ قد تسللت لتُدنّس هذا الظلام المقدّس ، مثنى بهدوءٍ محاذاً أن يلمس أي

شيء، متجهاً لإحدى النافذتين فاتحاً إياها بهدوء ماداً يده إلى الشخص الذي يقف في انتظاره أسفلها مساعداً إياه على الصعود، صعد الآخر برشاقة مستنداً بديه على الأرض قبل أن يقفز بقدميه ملاصقاً إياهم و الأرض وهو يعتدل لينفض ذرات القبار المحتمل أن تلتصق بيديه . تامل ديكورات المنزل من الداخل قبل أن يطلق صفيراً حاداً يدل على إعجابه بالذوق العام في المكان ، وضع الآخر يديه على شفتيه في إشارة للصمت وهو يشير له أن يفتح النافذة الأخرى ، وقف يتأمل السلم الذي يفضي للدور العلوي وهو ينظر في ساعته بينما فتح الآخر النافذة ومدّ يده يساعد الآخر المرتبك ، ارتفع بجسده وأسند قدمه على حافة النافذة قبل أن ينزل قدمه ليرتطم جسده المتدفع بمنضدة صغيرة تتوسطها مزهريّة ملجأ بورود بيضاء ذات رائحة مميزة ، تراقبت المزهريّة للحظات وهي تفكر في تردد بين أن تقع لتفضح أمرهم أم تتوقف وترك لهم فرصة أخرى لحظات مرت وثلاثة أزواج من العيون تراقبها في هلع وتدعو أن تتوقف ، أخيراً توقفت المزهريّة لتندلع ثلاث زفرات حادة مصحوبة بتهديدات ارتياح من الثلاث صدور ، أعقهم نظرة نارية من القائد للشخص المرتبك ... حاول أن يتجنب النظرة التي أحرقت روحه ببطء وتلذذ وهو يُشيع ببصره بعيداً متأملاً السلم .

صعد الرجلان الأخران السلم ببطء وهما يتأملان باب الغرفة المغلق ، تركا المرتبك بالأسفل ليراقب الأمور ويحمي ظهرهما ، كشف المرتبك عن وجهه عندما اختفيا عن ناظره ، ظهر وجه بهاء محتقناً أحمر اللون ، زائف العينين مرتبكاً؛ راقب الأشقر والأسمر وهما يتبعدان ببطء ،

داخل الغرفة ، وقف يفكر في الفترة التي رقد فيها مكسور الذراع لا يستطيع الهرب وكيف كان كلبه العزيز "شادو" بمثابة الأخ والصديق الوفي . راقبهم يعملون حتى فهم آلهة العمل . كيف يُفرغ الجنة من أحشائها ، كيف يحفظ الأعضاء المهمة وكيف يُجَبِّز الأعضاء المطلوبة ، ما هي الأعضاء الرئيسية التي ينبغي أن تُنزع من كل جسد ، تعلّم انتهاك الأجساد وشعر بفضب الأرواح لم لا وهو يدنّس طهارة أجسادها بمشارطه المعدنية الصلبة لرسم على تلك الأجساد علاماتٍ لن ينساها كما لن ينسوها ، دانثا شعر أنه مخطئ . ولكنه لا يملك رفاهية التراجع قاطع تسلسل أفكاره صوت طليقة خرجت من مسدس كاتم للصوت فلم يلحظها سوى لأنه يعلم وينظرها ، دقيقة مرت في انتظار قبل أن يظهر الرجلان على الباب يحملان جثة رجلٍ في العقد الثالث من عمره ، غطى بهاء وجهه بسرعة بعد نظرة لائمة من الأشقر ، صعد درجات السلم ليساعدهما في حمل الجثة وهم الثلاثة بالخروج من المنزل عندما سمعوا صوت طفلة صغيرة تهتف بقلق :

" أبي ... أريد أن أشرب ... أنا عطشى ! "

تسمّر ثلاثهم في أماكنهم وهم يرفعون أعينهم للطفلة التي تراقبهم من سور السلم وتوجّه كلامها لأبيها الذي يحملونه معتقدة أنه نائم !

تبادلوا النظرات قبل أن يُخرج أحدهم مسدسه من جرابه وهو بعيد تركيب القطعة الكاتمة للصوت لتتصدر المشهد وتتقدم ماسورته في

مُجَاعِبَةٌ قَبْلَ أَنْ يَقِفَ بَهَاءُ أَمَامِهِ وَهُوَ يَنْظُرُ لَهُ نَظْرَةً غَاضِبَةً وَهُوَ يَقُولُ :

"إِنهَا طِفْلةٌ !"

أَجَابَهُ حَامِلُ الْمَسَدِ بِهَمْسٍ غَاضِبٍ وَهُوَ يَضْفِطُ عَلَى حُرُوفِ كَلِمَاتِهِ :

"وَالْمَطْلُوبُ ؟"

"لَنْ نَقْتُلَهَا"

"لَقَدْ رَأَيْنَا !"

"وَهِيَ أَصْغَرُ مَنْ أَنْ تَمَيَّزْنَا وَلَا تَعِي شَيْئًا ... أَلَا تَرَى نَظْرَتَهَا لِأَبِيهَا ... إِنَّمَا لَا تَعِي حَتَّى أَنَّهُ مَيِّتٌ"

أَزَاحَهُ بِيَدِهِ بِقُوَّةٍ مِنْ أَمَامِهِ مِمَّا أَدَّى لِاخْتِلَالِ تَوَازُنِهِ ، سَقَطَ بَهَاءُ أَرْضًا عَلَى ظَهْرِهِ قَبْلَ أَنْ يَحْتَدِلَ بِسُرْعَةٍ وَهُوَ يَقِفُ عَلَى قَدَمَيْهِ مُوَاجِهًا إِيَّاهُ وَ قَدْ تَحَوَّلَتِ النَظْرَةُ فِي عَيْنَيْهِ إِلَى رَجَاءٍ وَلَئِنْ أَسْلُوبَ حَدِيثِهِ :

"أَرْجُوكَ ! ... إِسْمَحْ لَهَا أَنْ تَأْتِيَ مَعَنَا وَ أَنَا سَاقْفَعُ الزَعِيمَ أَنْ تَظَلَّ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ"

تَبَادُلَ الرِّجْلَانِ النِّظَرَاتِ قَبْلَ أَنْ يَمِطَ الْآخِرُ شَفَتَيْهِ مِنْ تَحْتِ الْقِنَاعِ وَ هُوَ يَرْفَعُ كَتِفِيهِ فِي إِشَارَةٍ مِنْهُ لِأَنَّهُ لَا يَهْتِمُ حَقًّا بِمَصِيرِهَا فَقَتَلَهَا أَوْ تَرَكَهَا

على قيد الحياة عنده سواء . لقد أتى في مهمة وانجزها وهذا هو حقا ما يهيمه , لن يهتم أو يكثر سوى بهذا الأمر أما تلك المستجذبات فقد تعود تركها بلا أدنى اهتمام كي لا تعوقه , ففكر الآخر للحظة قبل أن يمد يده إلى كاتم الصوت وهو يفكر عن ماسورة المسدس ويضعه برفق في جيب المعطف الداخلي ويعيد مسدسه يهدوء ويشير لهما ان يأتي بها , ذهب بهاء إليها وجلس بجوارها على السلم وهو يحدها بصوت خفيض و بابتسامة مطمئنة قبل أن تبسم ابتسامة طفولية وهي تقوم من مجلسها وتجه للأعلى , نظر الرجل لهما وهو يكاد يتحدث قبل أن يقاطعه بهاء يهدوء :

" ألم تسمعها تخبر أباها أنها عطشى ؟ ... ستشرب ونرحل جميعا من هنا "

أشار له الرجل على مكان الساعة في معصمه في إشارة واضحة إلى أنهم تأخروا والوقت عامل مهم في مثل تلك المهن: نزلت الفتاة مرة أخرى فأمسك بهاء يدها بحنق وهو يقودها إلى الأسفل حتى وصلوا للرجلين , تقدم أحدهما وفتح الباب وكادوا أن يخرجوا قبل أن تغشى أبصارهم أضواء حمراء وزرقاء منبعا إحدى سيارات الشرطة و التي هذأت كثيرا من سرعتها عندما فتحو الباب ... توقف الجميع حائرين وقد زاغت أعينهم بشدة .

في منزل قديم مهديم في أحد أحياء القاهرة القديمة دخل خالد من باب شقة تقبع وحيدة في الطابق الثاني ، فتح الباب بمفتاحٍ معلّقٍ وحيداً في ميدالية مريضة بمرض الصدا المزمّن قبل أن يضعها على طاولة خشبية كسيجة تقف بخجلٍ إلى جوار باب الشقة ، كان الطفل يحاول مقاومته بقوة وهو لا يبالي بحركاته أو بالأصوات والصراخات القصيرة التي يطلقها الطفل احتجاجاً ، اتجه إلى غرفة صغيرة على يسار الصالة ، فتح بابها بهدوء متعاشياً سماع صريرٍ يصدر منه ، مدّ يده إلى الحائط متحسماً إياه برفقٍ باحثاً عن مفتاح الإضاءة ، ضغط عليه وانتظر لنوائٍ قبل أن تسطع الغرفة بضوءٍ يرتقاليٍّ صادرٍ من مصباحٍ يسبح وحيداً في سقف الغرفة ، نظر إلى السرير الذي يتوسط الغرفة وذهب إليه ، كان كأسرة الأطفال الصغار محاطاً بسورٍ عالٍ يحذوه من الأربعة جوانب ، إلا أن هذا الفراش يتميز عن أقرانه بأنه مزوّدٌ بسقفٍ صغيرٍ يُحبس بداخله الصبي كيلا يتحرك ويسبب مشاكل هو في غنى عنها ، وضع الطفل في فراشه قبل أن يظلل سمانه بالسقف ويغلق باب الغرفة ويخرج غير عابٍ بصرخة اعتراضٍ تصدر باستمرارٍ عن الطفل ، جلس على أريكةٍ ممزّقة الأحشاء في صالة المنزل وهو يُخرج من جيبه هاتفه المحمول و يبحث عن رقمٍ ما قبل أن يضغط على شاشة الهاتف ويضعه على أذنه ؛ مرّت لحظاتٌ قبل أن يسمع صوت جرس الهاتف مزّامناً مع رنينٍ خافتٍ على السلم الخارجي استنبط منه أن محدّثه بالخارج ، أغلق الهاتف ووضعه بجوار المفتاح وهو يفتح الباب ليظهر أمامه شخصٌ بدينٍ يرتدي بدلةً تشبه بدّل الموظفين القديمة

حيث تتكون من قميص و بنطالٍ متشابهي التصميم من نفس خامه القماش ونفس اللون . يضع منديلاً كبيراً بين رقبته من الخلف و ياقة القميص في محاولة لمنع العرق عن مهمته الأثيرة في تلوين ياقات القمصان . و يبدو أن المندبل فشل في مهمته بنجاح منقطع النظير حيث تظهر طبقة من الأوساخ السوداء و تقع بتبعج على تلك الياقة بينما يرسم العرق حدود فائلته الداخلية على قميصه من الخارج بنجاح , دخل و أغلق الباب خلفه قبل أن يجلس على المقعد متحاشياً اختلال توازنه و السقوط و هو يُسند حقيبته قديمة مهلهلة على قدميه و يفتحها و يُخرج منها أوراقاً قانلاً :

" هذه هي أوراق إثبات أهليتك ب "

أجابه خالد بابتسامة عصبية :

" صمناً رجاء ... لا أريد أن أعرف ماذا ستفعل أريدك أن تنتهي من تلك الإجراءات في أسرع وقت أنت تعرف جيداً أنك لست أفضل معام في القاهرة ولكني أتيت بك لهدفٍ ما "

صبيحةً عاليةً من الطفل ترددت في الصالة لتلفت نظر المحامي الذي نظر للباب بتوتر قبل أن ينظر لخالد و هو يقول بتعجب

" إن لم يعجبك عملي تستطيع أن تأتي بمن هو أفضل مني ولكنك تعلم جيداً من هو عاصم الديدوموني

صرخة أخرى من الطفل ساهمت في زيادة التوتر قبل أن يجيب خالد :

" من هو عاصم الديدموني ؟؟ مجرد معام فاشل !! وأنا لم آت بك لكي تفنمني بك وإنما أثبتت بك لأتلك معام فاسد لك طرق تتعاهل بها على القانون وأنا أريد أن أنتهي من هذا الأمر في أسرع وقت ... حتى لو اضطررت لأن أسلك طرقاً خلفية وأزقة مظلمة في القانون "

صرخة من الطفل تبعته حديثه صاح عاصم بغضب وهو يجمع أشلاء حقيقته المفتوحة :

" تنأ لي ! لم أكن أعلم أنني رخيص كذلك ... سيدي إسمع لي أن الخلف عنك عبأ عاصم المحامي الفاشل و أنسحب بالبقية الباقية من كرامتي "

قام عاصم ليقف قبل أن يسمع صرخة من الطفل ، أشار خالد له بالصمت وهو ينصت السمع فلم يسمع شيئاً ... نظر لعاصم بهدوء و ابتسامة خفيفة ترسم على شفتيه ومد يده لجذبه من ملابسه وهو يخرج خارج الشقة و يفلق الباب و بالطبع لم ينس النقاط مفتاحه : تحدث بصوت خافت وهو يقول للمحامي :

" أنعلم ؟ وأنا أحضر الطفل من المصححة كان هناك شريطي ... يبدو أنه المسؤول عن حالة الصبي وحادث مقتل والديه ... كان يصرخ بكلام لم أهتم به ... كلام على غرار أن الصبي ليس طبيعياً و خطرٌ وهناك

شيطانٌ يريد أن يحكم الأرض و أشياء نافهة هكذا لم اهتم لها و لكن
الأمر الغريب الآن أن هذا الصبي يطلق الصرخات بانتظام , كلما أنهى
أحدٌ منا كلماته صرخ ليُزيد توتر الآخر حتى كاد الأمر أن يفشل ... هذا
الطفل يعلم جيدًا ما يدور !! و هذا دليلٌ على أنه ليس طفلًا طبيعيًا
إنه يعلم و يحاول جاهدًا أن يفسد الأمر

مرّ عاصم رأسه مصدقًا على كلماته و هو يقول :

" لقد لاحظت بالفعل أنه بعد صرخاته يزداد غضب كلِّ منا ... و بدون
أي سببٍ مقنع ... شيء غريب و لكن سأنصحك نصيحةً , يجب أن تُتم
الإجراءات سريعًا لأنه بمجرد أن تحصل على الإرث سننتخلص من هذا
الصبي الملعون فورًا "

" طبعًا يا عاصم "

أنهى عاصم كلماته و هو يرحل و يهتف من على درجات السلم بصوته
الخشن :

" لو جدّ جديدٌ سأهاتفك "

دخل خالد إلى الشقة و هو يقول لنفسه :

" بمجرد أن تفتحي الإجراءات و أمسك بالنقود بين يدي سأنتخلص من
هذا الصبي الملعون و من هذا الخنزير البدين و أتمتع بالنقود وحدي!! "

ضحكة هائلة ترددت في فضاء الغرفة الصغيرة و كأن الصبي يسخر منه ... ارتعد جسد خالد في عنف بعد سماعه الضحكة بينما اتسعت عيناه في خوف لا حدود له.

توقفت السيارة و ترجل منها شرطي , تلفت حوله في هدوء قبل أن يثبت نظراته على المنزل , لحسن حظهم أنه لم يلمحهم , سارع أحد الملتزمين بإغلاق الباب مستغلاً الثواني التي أدار فيها الشرطي وجهه بعيداً عن البيت متأملاً ما حوله , اقترب الشرطي بخطوات بسيطة من المنزل , أحد الملتزمين يعيد تركيب كاتم الصوت في توتر و يحكم ربطه , الشرطي يقف و يتأمل واجهة المنزل , الملتزم الآخر يُشهر مسدسه أمامه متبادلاً النظرات مع زميله الشرطي تتجه يده لجراب مسدسه و يتحسسه في بطنه , بهاء يحتضن الفتاة التي بدأت تشعر بالتوتر وبدأت أنفاسها تتسارع و هي تنظر لجثة أبيها متسائلة كيف ينام في جُضم هذا التوتر , الشرطي يقترب من المنزل بشدة , بهاء يضع يده على قم الفتاة كأنها نهنات البكاء التي تفجرت من أبار عينها في خوف , الشرطي يتلفت حوله للمرة الأخيرة قبل أن يمد يده و يحل حزامه مغتصباً خلف شجرة مطلقاً العنان لجسده لكي يلي نداء الطبيعة في هدوء ... تهيدة ارتباج من أحد الملتزمين و هو يعيد حل كاتم الصوت و يخفض سلاح زميله المتوتر قبل أن ينظر نظرة نارية للفتاة الصغيرة جمّدت الدمع في عينها خوفاً قبل أن تجعد الدماء في عروقها , صممت الفتاة بينما

يراقب هو الشرطي الذي يحكم إغلاق ملابسه قبل أن يلقي نظرة
أخيرة على المنزل ليتأكد أن أحداً لم يره ، ركب سيارته وأدارها ورحل
من أمام المنزل قبل أن ينتظر الجميع حوالي دقيقة حتى اطمأن
قلوبهم إلى أنه رحل ولم يعد هناك مصدر للقلق ، أشار الملثم الأول و
الذي يبدو أنه الأشقر من بين ثنيات قناعه ويبدو أنه قائد المجموعة
من تحركاته وتصرفاته للجمع بالتحرك ، خرج الجميع واحداً تلو الآخر ،
الأسمر في البداية و من خلفه بهاء ممسكاً بيد الصغيرة برفقة و هو
يُطمئنها برسائل خفية يحملها قلبه لتجري في عروقها وتصل لقلها
ليرتجف نشوة تلك الرسائل فتبتسم له بالمثل ، ويعصم أخيراً الأشقر
حامل الجثة على كتفه ومسدسه بتقديمه في شجاعة وهو يغلق الباب
من خلفه.

بعد برهة من الوقت وفي مقرهم :

دخلت المجموعة من باب المخزن ليجدوا أن القائد يجلس وحيداً
مُسنداً قدميه على دلي مقلوب ، مرتخي الجسد على كرسيه وأمامه
زجاجة فارغة و كوب ممتلئ حتى نصفه بسائل أحمر اللون باهته ،
محتقن الوجه زائغ العينين ، وقف عندما رأهم ، ترتج لوهلة قبل أن
يُحكّم وقفته كيلا تهتز صورته أمامهم توقف الجميع أمامه وهو
يتجّه لدلي مليء بالماء وشاهدوه يغسل وجهه منه أكثر من مرة : يقال
أن صدمات الماء البارد تزيد من الانتباه كما يقال أيضاً الكثير من
الأشياء ... ويقال أن كل ما يقال لا يصدق.

ظهرت عليه علامات الانتباه ، أشار لهم يكشف وجوهم بحركة سريعة من يده ، كشفوا جميعاً وجوهم ، أشار للأشقر أن يتقدم ليبره فرسته ، أسى جثة الرجل أمامه على المنضدة بعد أن أزاح الكوب والزجاجة ، بيده في حركة عصبية ، اندفعا أرضاً ليتدحرج الكوب بعيداً بينما تهشمت الزجاجاة مسببة انقباضاً في قلب الصغيرة التي تتأمل أباهما نائماً ، تأمل القائد الجثة للحظات قبل أن يبتسم وهو يشير للأشقر أنه أتى بالمطلوب ، نظر للأسمر وبهاء لهنهم بنجاح تلك العملية أو للمزيد من الدقة بنجاح الجزء الأول من العملية ، وفجأة اختفت الابتسامة من على وجهه واسودَّ وجهه واكتسى بظلام الغضب الذي حل عليه وهو يتأمل الصغيرة قبل أن يصرخ فيهم بصوتٍ شرس :

" من هذه ؟؟ "

وكان الأجواء ارتعدت خوفاً من صيحته ، نسمة هواءٍ باردةٍ هاجمتهم فاصططكت الأسنان خوفاً وبرداً حاول بهاء أن يفرد جسده في شجاعةٍ أمام الفتاة إلا أن رجفة الخوف أثبت أن تفارقه لتعبت بجسده وهو يقول بصوتٍ مهتلكٍ من الخوف :

"إنها ابنته ... كانوا يريدون قتلها "

نظر القائد للأشقر بغضب :

"كنت تريد قتلها ؟ "

أجابه الأشقر بصوتٍ واثقٍ وإن شابه بعض التوتّر:

" أجل "

" إذا فلتشرح لي لماذا هي حبةٌ ولماذا أثبت بها لمقرنا ؟؟ "

ارتبك الأشقر وهو يشير ليهاء بيده ويقول :

" لقد طلب منا أن نتركها على قيد الحياة ... وقال أنه سيقنعك بهذا الأمر! "

ابتسم القائد وهو يبعد خصلة شعرٍ من على وجه الأشقر لتظهر عيناه وكأنما يتغذى غضب القائد على الارتباك الموجود في عينيه , صاح به بصوتٍ عنيفٍ وقد تبدّل وجهه من الابتسامة إلى التجهّم في خضمّ ثوانٍ: " هل تتلقى الآن أوامرك من طفل ؟! "

ازداد ارتباك الأشقر قبل أن يقول بصوتٍ خافتٍ وهو يشعر بحُمقٍ ما فعل :

" بالطبع لا ولكن ... "

ناطعه بإشارةٍ من يده فصمتَ تمامًا نظر للأسمر فتراجع للخلف و هو يشير للطفل في حركةٍ مسرحيةٍ يغلي بها مسؤوليته تمامًا عمّا حدث اقترب القائد من بهاء وهو يركع على ركبتيه حتى واجهه , اقترب منه شدةً وهو يلصق جبهته بجبهة بهاء, وفي كلماتٍ تحمل عبق الكحول

اخبره كلمات همسا لم يسمعها سوى بهاء الذي اتسعت عيناه هلقا و
 هو يهز رأسه نفيا ، حاول أن يتراجع برأسه فزعزا بعد ما قيل ولكن
 القائد أمسك رأسه بيديه محافظا على جباههما ملتصقتين : لحظات
 مرت و بهاء يستنشق أنفاسه المعيقة بالكحول قبل أن يشعر بالبدء في
 تمويل كثيف يهاجم مقدمة رأسه يعقبه جيوش و جيوش من الصداق
 التي تفك برأسه ، لا يعرف ما يحدث حقًا ولكنه أخذ يهلوس ، يرى
 كائنات سوداء مهيمة الأشكال تهاجم رأسه و يرى قائده يقودهم
 يحاولون اقتحام رأسه و مع كل محاولة هناك ألم رهيب يقتحم
 جمجمته يشعر أن رأسه يُثَقَّب ابتسامة على وجه القائد الذي
 عاد مرة أخرى أمامه و هو يترك رأسه لتختفي كل هذه الكيانات و يرى
 نفسه في المخزن مرة أخرى ، كان يشعر بالألم و الدوار ... شعر بسائل
 دافئ على شفثيه مد يده ليمسحه قبل أن ينظر ليده ليراها مليئة
 بالدماء ، غامت الدنيا أمام عينيه و كاد يفقد وعيه إلا أن نظرة أخيرة
 لفزع الفتاة و مصيرها من بعده جعله يكرّ على أسنانه بقوة و إرادة ، و
 هو يطرد ذلك الظلام السخيف الذي يحاول السيطرة على عالمه ، قام
 من مكانه و مشى خطوتين قبل أن يسقط على ركبتيه : تجاهل الألم و
 هو يتمالك و يقوم مرة أخرى ، هذه المرة لم يستطع السير سوى خطوة
 قبل أن يسقط مرة أخرى ... تجاهل نظرات الجميع المصوبة إليه
 تجاهل الخط الدافئ من الدماء الذي ينهمر من أنفه و هو يستند بيديه
 أرضا ليعاود الوقوف ، نظرة حائرة من عيني الطفلة بين أنبها المسخى
 على المنضدة و بين بهاء الذي يقاوم و بعنف للوصول إليها ، حسمت

أمرها أخيرًا وفزرت أن تعدو نحو بهاء الذي كاد يسقط أخيرًا ويفقد الأمر إلا أنها تلقت جسده الثقيل نسبيًا عليها وتحملت بشدة ظهرت من بين قسَمات وجهها قبل أن تحتضنه برفق وهو يترك جسده يرتجى بين يديها وقد اطمأن نسبيًا قبل أن يسمع صوت القائد بهف بالرجلين :

" اتركوا هذا الأحق وتعاليا معي ... هناك مهمة لم تُنجز بعد

جلس عاصم الديدموني "المحامي الفاسد" أو "محامي الشيطان" - كما كان يُطلق عليه أمام خالد في الشقة وهو يحمل مجموعة من الأوراق كان العرق يتجمع على جبهته وعلى ذراعيه بشدة بينما بدأت قطرات من العرق تتساقط لتبتل الأوراق التي يحملها في يديه ، قطرات أخرى تسلت لما داخل عينيه لتحرقهما بملح العرق تأمل خالد قطرات العرق التي سقطت لتمتد على الوريقات قبل أن يمد يده ليخطف منه الأوراق باشمئزاز وهو يصرخ به :

" ما بك ؟؟ "

" الجَوْهنا حاز لل غاية ... لماذا لم تأت بمروحة ؟ "

" لا شأن لك بهذا الأمر ... إمسح عرقك هذا لكي تشرح لي ما حدث. "

ينظر له عاصمٌ بدهشةٍ وهو يقول :

"أولم تخبرني أنك لا تريد أن تعرف شيئاً ؟"

ابنسم خالدٌ ابتسامةً مأكرةً وهو يقول :

"عاصم ... عاصم يا صغييري ... برغم أنك محام فاسد، والمفترض أنك
ذكيٌ لكي تستطيع أن تتعايل على القوانين ، إلا أنك تثبت لي كل مدةٍ
أنك عبقرئٌ داخل إطار المعاماة ، غيلاً لا يشقُّ له غبارٌ خارجها."

"كيف هذا ؟"

"الأرنحية ... الأرنحية يا صديقي هي كلمة السر، لو أنك عملت وأنت
تعلم أنني سأعرف كل شيء كنت لتشعر بقيودٍ خفيفةٍ و إن كانت
بسيطةً تسبب لك الضيق ، كل ما فعلت أنا أنني أعطيتك كامل الحرية
شعرت أنت بالأرنحية و عملت على سجيته بالكمال لم تستأثر
لنفسك ببابٍ خفيٍّ لا تريد أن تقتحمه خوفاً من أن أعرف."

ظهر التوتر على وجه عاصم وهو يقول

"لقد وثقت بك !"

أيضاً وثقت بك، والدليل أنني لم أفرض عليك قيوداً وإنما من
حقي أن أفهم ماذا يحدث ، خصوصاً وأنني سأدفع "

تبدلت علامات التوتر على وجه عاصم إلى جشع وهو يُزيل المندبل عن
الباقة الخلفية لقميصه السكري ويمسح به عرقه الغزير ثم يعيده إلى
مكانه دونما اكتراثٍ ببلله أو اصفرار لونه عن الطبيعي تأمله خالدٌ
باشمئزازٍ وهو يتساءل بينه وبين نفسه كيف يطيق هذا الشخص أن
يحيى بمثل تلك الطريقة ... نظر له عاصم وهو يقول :

" هل سمعت من قبل عن شخصٍ يدعى (مهيب الصاوي) ؟ "

تصاعد صوت الموسيقى الهادئة و عاصم يقف على باب المطعم الذي
اختاره رجل الأعمال الشهير (مهيب الصاوي) للقائه هذا اللقاء
الذي استطاع أن يحدده بعد وقتٍ طويلٍ و مجهودٍ أطول ، سلم جسده
لاثنين من الثيران البشرية يتحسّسونه في نهمٍ بحثاً عن سلاحٍ ما
مختفي في أيّ مكانٍ بين ثنيات جسده السمين ، أشار لهم مهيب بيده أن
يتركوا عاصم يمر ، دخل عاصم و وقف باحترامٍ أمام مهيب المنهمك في
تقطيع شريحةٍ سمكيةٍ من اللحم و أكلها دقائق مرّت قبل أن يضع
مهيب الشوكة والسكين بجوار الطبق و عو يشير للجالس بجواره بيده
ليمسك بالأطباق التي لا تزال ممتلئةً حد التخمّة بأنواعٍ مختلفةٍ من
الطعام سال لعاب عاصم عليها إلا أنه حاول تجاهل هذا الأمر و التركيز
في المهمة التي أتى من أجلها ابتلع ريقه بصعوبةٍ و هو يتأمل مهيبا
الذي أخرج من حقيبته بجواره علبةً من الخشب الذي نُجت عليه

بلفج عريز أصيل ... فتحها أمامه و هو يُخرج منها كيماً من أجود
أنواع التبغ و ودقاً من ذلك الذي يُستخدم للّف السجائر و ولاعة و
ماكينة صغيرة للّف السجائر , عدة أدوات يستخدمها للّف سجائره
الخاصة , انهمك في لفّ مجموعة منها , تكاثرت أمامه على المنضدة حتى
عجز عاصم عن أن يعدّها , بدأ عاصم يشعر بالتوتر جراء الصمت
المحبط به , أخيراً قطع الصمت صوت زناد القداحة و هو يعطي الأمر
للسان من اللهب أن يتحرر و يُحرق طرف إحدى السجائر التي
اشتعلت مستسلمة بين يدي مهيب , نظره مهيب قبل أن يفلق عينيه
باستمتاع و هو ينفث عاموداً من الدخان في الهواء و علامات اللذة
تظهر عليه : تحدّث مهيب أخيراً بصوتٍ رخيم واثق :

" لا يوجد أفضل من لفّ سجائرك بنفسك ... بالنسبة لي أقصى متعة
هي لفّ سجايري و التمتع بدخانها و هو يملأ رنّتي و أمرّ آخر ... أتعلم ما
هو؟؟ "

هزّ عاصم رأسه في توترٍ و هو يبتلع ريقه بصعوبة فتابع مهيب بابتسامةٍ
صغيرة :

" تدمير كلّ من تسوّّل له نفسه أن مهيب الصاوي عرضةٌ للنصب أو
السرقة ! "

هزّ عاصم رأسه في توترٍ نافياً تلك التهمة عن نفسه و هو يقول :

"لا ... بالطبع لا ... الأمر بأكمله وببساطة أ"

قاطعه مهيب :

"إختصر"

صمت عاصم للحظة قبل أن يقول و هو يزفر بعمق محاولاً السيطرة على أعصابه :

" هل لك أن تشتري بناية سعرها خمسة ملايين جنيه مصري بثلاثة ملايين فقط ؟؟ "

صمت مهيب و هو ينفض الوجه الرمادي عن مقدمة سيجارته التي تحترق بين شفتيه بإخلاص و هو يقول :

"إشرح"

" هل سمعت من قبل عن شيء يدعى المركز الحسي ؟؟ "

"المركز الحسي !!"

اعتدل عاصم و هو يبدأ بالشرح :

المركز الحسي هو مركز مسؤول عن إدارة تركبات القُصَر و عند وصولهم لسنّ الرشد تسلمهم تلك التركبات أي أن دورهم هو الحفاظ على ممتلكات الصغار كي لا يضيعوها في أشياء لا قيمة لها "

”وما علاقي بهذا الأمر ؟؟“

”هناك طفلٌ قد توفيَ والداه وتركاه تلك البناية و الطفل نُقل لمصحةٍ لبتَمَ ملاحظة حالته الصحية ريثما يظهر أحد أقرانه ليتسلمه ... علمت أنا أن هناك قريباً له و استطعت الوصول له و اقنعتُه أن ينسلم الطفل من المصحة قبل أن يبلغوا المركز الحسي بعالته و بالتالي تضيق علينا تلك البناية الآن هذا القريب الجشع يريد أن يبيع البناية و يستفيد من نقودها لنفسه وهكذا نستطيع أن نمارس عليه الضغط لننتفع نحن بسعرٍ جيدٍ لبناية أكثر من رائعة“

”إستمر“

”حسنًا ... الطفل الآن معنا و تركته لم يُبلَّغ بها المركز الحسي , تبقى الخطوة الأصعب و الأخيرة كيف نتحصل على تركته بمراجعة أملاك والده الفقيد و والدته الراحلة تبين لي الآتي : تلك البناية التي يقطنون بها هي ممتلكه الوحيد , كانوا قد استثمروا كل أموالهم بها , لذا لا يوجد حساباتٌ في البنك أو عقاراتٌ أو أراضي ... البناية فحسب ... يتبقى لنا أمرٌ أخير ... كيف يبيع لك القتيل بنايته قبل أن يتوفى ؟“

”قبل أن يتوفى ؟؟ ولكنه توفي !!“

" أعلم جيدًا لذلك تم تزوير عقد بيع بتاريخ قديم وتم توقيعه بتوقيع مشابه لتوقيع الفقيد و تزييله بتوقيع قريبه و سيتم توثيقه بالشهر العقاري بتاريخ قديم ... وبذلك يكون البيت ملكك "

" ولكن حسب ما فهمت منك أن الفتى له تركة من والده و هي مقدار ما دُفع طبقًا للعقد "

ضحك عاصم وجسده السمين يهتز بشدة :

و هل تعتقد أن مثل تلك الملحوظة الصغيرة قد مرت على تلك البساطة ! ... بالطبع هذا لم يحدث

" هل لي أن أفهم ؟؟ "

حسنًا البناية سعرها يفوق الخمسة ملايين جنيه ستشترها بثلاثة ملايين وهكذا تستطيع توفير مليونين من الجنيهات لتستغلها في أعمالك الأخرى بينما قرب الطفل خالد سيبيعك إياها طبقًا للأوراق بنصف مليون فقط و يتحصل هو على مليونين و نصف المليون بهذا ستكون تركة الصبي نصف مليون جنيه

صمت عاصم بعد أن قصَّ على خالد ما دار بينه وبين مهيبة في كلمات سريعة , ففكر خالد للحظات قبل أن يتساءل في حيرة :

"بهني هنا السؤال الأهم ... كيف سُدْجِل النصف مليون جنيهه إلى
المركز الحسي ؟"

"أنت بنفسك ستذهب إليهم لتقصّ الأمر وكأنك اشتريتها من أبيه و
لكن لم تتوافر معك النقود سوى الآن ولا تنسى أن تزتن حديدك بأمة
ألم ودمعة فراق"

ضحك بشدة و هو يقول :

"هل تعلم يا عاصم ... بالفعل كان اختياري لك صحيحًا ... كنت أعلم
أنك ستفعلها"

أعطى خالد الأوراق لعاصم بعد أن تفحصها , وضعها عاصم بداخل
الحقيبة ووضع الحقيبة على المنضبة الصغيرة و هو يتهاى للانصراف :

"سأترك لك الحقيبة ... وسأمر غداً لتأتي معي ... أمامنا يومٌ طويلٌ في
الشهر العقاري والمحكمة"

نظر خالدٌ للحقيبة بشكٍ و هو يقول :

"حسنًا"

"لا تنظر لها بمثل ذلك الشك !! ... الأمر وما فيه أن الشهر العقاري
أقرب لك مني ... بدلًا من حمل الحقيبة ذهابًا وإيابًا سأتركها عندك ...

ولا تخش شيئا : أثق بك وأعلم أيضا أنك لا تستطيع أن تفعل شيئا
هذه الأوراق فالتصاريف تصاريفي والأمر كله بيدي

ضحك ضحكة هائلة قبل أن يهبط درجات السلم و الفضاء يردد
صدى ضحكته بوحشية مطلقة لا يقطعها سوى صوت طرقات حذائه
الثقيل وهو يهبط ناركًا خالد يقف بمفرده حائفاً قبل أن يسمع صوت
ضحكة سخريّة تصدر من غرفة الطفل لينظر إليها وهو يُغلق الباب
من خلفه بعنفٍ تردد صدها ليعض الوقت .

كان بهاء ينام أرضاً يحاول فهم ما حدث له !!

كيف سبّب له القائد تلك الهلوس التي رآها وشعر بها ؟؟

ما سرّ تلك الكائنات السوداء التي هاجمت رأسه محاولةً الدخول إلى
رأسه مسببةً له ذلك الصداغ الخارّ

أسئلةٌ عديدةٌ دارت في ذهنه المرهق بينما يشعر بأيدي الفتاة الصغيرة
تمرّ برفقٍ على جبهته لتمسح له العرق الذي يفرزه جسده بغزارةٍ و
بيدها التي مسحت الدماء عن وجهه , كان رأسه على قدميها , فتح
عينيه برفقٍ و هو يتأمل عينيها الزرقاوين و هما تلتصعان بالدمع
بسبب عدم فهمها لمصير أبيها أو حتى لمصير الفتى الذي اهتم بها و
رعاها , شعر بشيءٍ يعيث في قدميه , نظر تجاه قدمه بصعوبةٍ فوجد

شادو , كلبه الصغير ينام بجواره في قلق و كل حين يضرب أنفه بقدم بهاء في انتظار صحوة قادمة ... بصوت مرتعش مرهق هتف في حنان :

" شادو ! "

انتفض جسد الكلب و هو يسرع إلى سيده و ينظر له بعينين حزنتين زجاجيتين , ابتسم بهاءً في وجهه فاطمأن قليلاً , اقترب بشدة و هو لا يزال يطالع وجهه قبل أن يُخرج لسانه و يلحق وجه بهاء عدة مرات محاولاً تنظيف وجهه بحنان بالغ قهقهه بهاءً في إرهاق و هو يتابع بعينيه ابتسامة الصغيرة التي ارتجف لها قلبه البكر .

نظر الأسمر لبهاء الذي يقهقه و هو نائم على الأرض بينما اجتمع حوله الفتاة و الجرو يداعبانه و يروحان عنه قبل أن ينظر لقائده في قلقي و هو يقول :

" أنا قلقٌ منك !! "

مني ! "

" نعم منك ... ألم ترَ ما فعلت ؟؟ "

" ماذا فعلت ؟؟ "

" أنت أمسكت برأس الطفل و أنصقت جباهكما معا قبل أن يتشتت
جسده و تزوج عينيه لتطارد أشياء لم نرها ... ظهر الصراع على وجهه
للحظات قبل أن تترك أنفه و تظهر عروق رقبتة و يصيبه الدوار!! "

أجابه القائد بابتسامة غامضة :

" الحقيقة أنني لم أفعل شيئا "

تحدث الأشقر للمرة الأولى منذ جلوسه :

" وهذه هي المشكلة !! أنت لم تفعل شيئا ! "

" وكيف أصابه ما أصابه طالما أنك لم تفعل شيئا ! "

اعتدل على كرسيه و هو يقول :

" الحرب النفسية ! "

هتف الاثنان بصوت واحد في دهشة :

" الحرب النفسية !!! "

" الحرب النفسية , التلاعب بالعقول عن طريق الإيحاء , التحكم عن
طريق الوهم , أن تسود دون أن تفعل شيئا حقا ... سأقص عليكما

قصة ما ثم اشرح لكما ما حدث : في أثناء الحرب العالمية الثانية ...
وعندما خالف ثلاثة ضباط أمر القائد النازي أدولف هتلر ... قرر
حبس كلّ منهم في سجن انفرادي , وقيد كل واحد منهم ووضع أمامه
ماسورة مياه تمسّرب نقاط المياه ببطء شديد في حركة دورية مغلّة ,
وقال لهم أن السجن به تسربّ لغاز سام سيقتلهم خلال ستة ساعات ,
وبالفعل وبعد مرور أربعة ساعات , ذهب هتلر ليتفقدهم فوجد اثنين
منهم قد ماتا والثالث يلفظ أنفاسه الأخيرة ... الحقيقة أن هتلر ابتدع
فكرة الغاز السام ... فلم يكن هناك أيّ تسرب غازي ... إلا أنه استخدم
طريقة الحرب النفسية أو " القتل بالإيحاء " معهم ... فجعل عقولهم
هي التي تقتلهم ... وذلك بسبب اقتناعهم التام باستنشاقهم غازًا سامًا
مما جعل أجسامهم تُفرز هرمونًا معينًا أثر سلبيًا على القلب وأدى إلى
توقف أجهزة الجسم والموت "

تبادل الإثنان النظرات في دهشة فابتسم وهو يقول :

" أنا لم أكن طفل شوارعٍ مثلكما وقررت أن أصبح مجرمًا !! لقد
تخرجت من أشهر كلية طب في العالم واستهواني كثيرًا الجسد البشري
وتشرّبه "

لمعت أعينهما بالفهم للحظة قيل أن يستكمل كلماته وهو يتحرك
ليدخل إلى الغرفة الصغيرة التي تُستخدم كئلاجية والتي يرقد بداخلها
جسد الأب , أغلق الباب خلفه بعد أن تبعه الإثنان ووقف أمام الجثة

و هو يفتح درجًا صغيرًا ملحقًا بالمنضدة المعدنية الباردة ويتناول منها قفازًا يغطي به يديه. وكانما يحافظ على عذريتهما أمام الدماء وهو يتناول المشروط ويبدأ في غمره في منتصف الصدر جاذبًا إياه للأسفل، قبل أن يظهر خيطٌ من الدماء وهو يطارد المشروط في رحلته ، تأمل الدماء قبل أن يغرس إصبهه فيها وهو يتأملها للحظة ويضع إصبهه في فمه ليمتص الدم بهم ونشوة . نظر الإثنان لبعضهما البعض قبل أن يتحدث القائد أخيرًا :

" كل ما فعلته انني أوجبت إليه انني سأعاقبه بشكل ما ، وعقله تولى باقي المهمة عني ... أنا لم أفعل أي شيء ولا أدري أيضًا بم شعروا ماذا رأى ولكنني أهتم حقًا بأنني حققتُ مرادي

كان يمسك شيئًا ما بيده بينما الدماء تتساقط منه وهو ينظر للأشقر ويقول برجاء :

" هل من الممكن أن تعطيني دلوًا ؟؟ "

أعطاه دلوًا معدنيًا فأشار له أن يضعه تحت قدمه قبل أن يحركه بقدمه بعض الشيء وهو يُفرغ فيه ما بيده ... تحدث الأسمر أخيرًا وهو يقول :

" سيدي ... سأعترف لك ... أنا حقًا أخشاك "

ضحك القائد بشدة و ترددت ضحكاته بين جدران الغرفة ... و في الخارج سمع بهاء صوت الضحكة وقد بدأت سحابة من صفاء الذهن تطفو على جسده و عقله و بدأ يستعيد تركيزه و يسيطر على أفكاره :
نظر للصغيرة في حنان و هو يقول :

" يجب أن أخبرك شيئاً مهماً ... لقد سافر أباك و لن يعود قريباً "

ظهر الخوف في عيونها التي اغرورقت بالدموع في وهن فأمسك يدها برقة و هو يقول :

" لقد أخبرني قبل أن يرحل أن أهتم بك "

نظرت له بدون أي تعبير على وجهها , وقف أمامها لحظة قبل أن ينحني في حركة مسرحية و هو يقول في احترام:

" هل تسمح لي أميرتي الصغيرة أن أتصيح ملكة على حياتي و أرحامها كخادم وفي ؟ "

ضحكت و صققت يديها كثيراً في جذب طفولي , شادو الجرو الصغير هو الآخر انحنى تحت قدمها و كأنما يقدم فروض الولاء للأميرة الجديدة , اختفت الدموع من عينيها لوهلة قبل أن يعود الحزن ليسترد مملكته الأثيرة , القلوب!

سألته في حزن :

" لن يعود ؟ "

" سيعود "

في تلك اللحظة خرج القائد من الغرفة وهو يحمل في يده ثلاثة صغيرة من النوع الذي يستخدم في نقل الأعضاء . أشار ليهاء في صفارة حادة اخترقت حصون قلبه ليرتجش وهو يتذكر ما أصابه . التفت له بخوف فأشار له القائد :

" هيا معنا لتتعلم كيف تدبر زمام الأمور ... أريدك أن تتعرف على هذا العميل وأن تكسب ثقته "

ثم بنظرة حادة للفتاة :

" يبدو أننا سنعمل على توسيع النشاط قريباً "

نظرة حائرة من الفتاة محملة بعيق خوف دفين زماها بها بهاء . لتلتقها بعينين لامعتين قبل أن توندها بداخل روح متوترة تحمل رفات أمان قد زال ، نظرة وداع هي آخر ما رآه وهو يخرج من باب المخزن .

في الصباح استيقظ خالد من نومه المنقطع شاعرًا بثقل رأسه ، لم ينعم بساعة كاملة من النوم بسبب ذلك الصبي ، صرخات استهجان .

أهات ألم ضحكات هستيرية أصوات غريبة كلمة يرددها
باستمرار وكأنه يغنيها بلحن سوداويّ جنائزيّ حزين

"طار"

"طار"

"طار"

شعورٌ بالإرهاق مصحوبٌ بلعنة تكسير العظام يغزو جسداً بلله العرق
في معركةٍ محسومة النتائج ، شعراً خفيفاً متطايراً يقف على جانبي
الرأس احتراماً للألم، الرفيق المقدس لقلّة النوم عينان زائغتان
مرهقتان تدوران في محجرها في عدم تركيز ، خطواتٌ بطيئةٌ متوترةٌ
مشى بها نحو الباب الذي يُطرق خشبه بإلحاحٍ وكأنه طارقه يدعو
الألم لبذل مجهودٍ مضاعفٍ في جنبات جسد خالد...مد يده يتحسّس
بها جسد الباب الخشبيّ قبل أن يصل لمزلاجهِ و هو يفتحه و يترك
الباب و يرحل متجهاً إلى المطبخ: دخل عاصم من الباب صانحاً في
حماس :

"يبدو أنك كنت تغطّ في نوم عميق !"

وضع خالد يده على شفتيه في إشارة لعاصم بالصمت قبل أن يشير له
على أذنه و على باب غرفه الطفل وكأنما يدعوه للمشاركة معه في هذا
اللغز

"طار"

"طار"

"طار"

ابتسم عاصم ابتسامة سخرية وهو يقول :

"يبدو أنه يقصد أن إرثه من أبيه قد طار"

أنهى كلماته مرفقاً بها ضحكة صاخبة امتزجت لها أركان رأس خاليد الذي أشار له بعصبية هذه المرة ليصمت وهو يشير له إلى الكرسي الذي ملّ وحده في يومئذٍ كبير ليجلس عليه مؤنساً إياه ريثما يفتحي من بعض الأشغال , تركه خالد ودلف إلى المطبخ , قيلةً ساخنةً بين الغاز والنار أشعلت إحدى شعلات الموقد لتكفل تلك القبلة بنجاح تام , أمسك ببراد صغير وملاه بالماء قبل أن يضعه على الموقد ويتركه ليمارس هوايته المفضلة في الغليان وهو ينهمك في تحضير كوبٍ من القهوة الثقيلة قبل أن يُشبعها بالماء المغلي ليصنع المشروب السحري والمختلر الوحيد المسموح به حول العالم ... القهوة ... ذلك الكائن البهي الذي يحمل بين قطراته إكسير الحياة ليبيته في العروق عندما يجري بها ليعيد حماسها ويزيدها نشاطاً.

بضع رشقاتٍ سريعةٍ من كوب النشاط الذائب وبدأ الصداع في الفرار من أمام جيوش القهوة العاتية النشاط محملاً بأذيال الخيبة وأعداً

بالانتقام في يوم عصيبٍ آخر ، ألقى الكوب في الحوض بلا اهتمام وهو
يخرج لعاصم المتهمك في البحث بعينيه عن شيء ما ، ابتسم خالد بمكرٍ
وهو يسأله بذبرةٍ تحمل معنىً غامض :

"هل تبحث عن شيء ما ؟ "

كفَّ عاصمٌ عن البحث و هو يراقب ردود فعل خالد متسائلاً : " أين
الحقيقة ؟؟ "

"الحقيقة في أمان ولكن هناك شيءٌ ما جدٌ في الأمر "

"شيءٌ جدٌ؟؟ ... هذا لم يكن ضمن الاتفاق !"

"عاصم ... شروط الاتفاق نُحدّد بناءً على ظلي وليس شيئاً آخر "

"طار "

"طار "

"طار "

" هذا القى بدأ يستفزّني يا خالد فمن فضلك لا تتلاعب بأعصابي أكثر
من ذلك "

استند خالد على الحائط بكتفه و هو يراقب عاصم مرسلاً له رسالةً
مفادها أن آخر ما عنده قد قيل .

أخرج عاصم هاتفه المحمول من جيبه و هو يضبط أذنيه بعصبية
قبل أن يضعه على أذنه وينصت قليلاً منتظراً أن يأتيه الرد من الجهة
الأخرى :

" أستاذ مهيب ... معك عاصم "

" نعم . أعلم سيدي أنه هاتفك الشخصي و أعلم أنك طلبت مني ألا
أحدثك عليه "

" سامحك الله يا سيدي ... الناس مقامات و أنت مقامك عالٍ لذا قلن
أرد عليك "

" آسف ... آسفٌ للغاية "

" أرد أن أراك اليوم ... هناك أمرٌ طارئٌ قد حدث "

«اعلم ولكنني في حاجة ضرورية لأن أقابلك اليوم»

«حسنًا ... حسنًا في الثالثة تمامًا سأكون أمامك»

«اعلمه جيدًا ... حسنًا ... شكرًا لك وأسف للمرة الأخيرة»

«حسنًا ... مع السلامة»

أغلق الهاتف ونظر لغاليليو بحقد، متأملًا ابتسامته الواسعة التي تملأ وجهه قبل أن يدخل للغرفة غير عابئ بصرخات الاحتجاج التي تأتي من غرفة الطفل.

مطعم "دولامينا" للمأكولات البحرية

القاهرة - الزمالك

الساعة الثالثة عصرًا

للمرة الثانية يقف عاصم أمام مهيب إجلالا وهو يتناول طعامه يراقبه بعينين تملأهما الشهوة التي يحرص عاصم أن يداريها جيدًا. كان يقف

جوار خالد مزدانين بحلاب فقيرة الهيئة رخيصة السعر ، تضاءلت
اناقتهما أمام لمعة حذاء مهيب !!

كان منهمكاً في تقطيع شريحة من لحم سمك التونة لقطع صغيرة قبل
أن يضع السكين بجوار الطبق مبدلاً الشوكة ليده اليمنى متناولاً
طعامه بهدوء قاتل ، دقائق قليلة مرّت قبل أن يشير للنادل الذي حضر
سريعاً وتوقف أمام منصدته منحنيًا في احترامٍ وهو يرفع الطبق راحلاً
أشار مهيب لعاصم و خالد بالجلوس جلسا متجاورين وشعورٌ
بالخجل والضالة يجمعهما ، ملتصقين ببعضهما كتلميذين ينتظران
عقاباً ، أتى نادلٌ آخر في سرعةٍ وهو يضع أمام مهيب طبقاً صغيراً
ممتلئاً حتى حافته بكراتٍ صغيرة عرف فيها خالد الكافيار وإن لم
يحدد نوعه ، تناول مهيب بضغ كراتٍ بطرف ملعقته قبل أن يضعها
في فمه ويتذوقها وهو يغمض عينيه في نشوة احتراماً وتقديرًا لجودة
الطعام ولذة مذاقه...

فتح عينيه وهو يعتدل ويشير لمحتويات الطبق قبل أن يشير إلى أذنيه
محرّكاً رأسه بهدوء مع اللّحن الرائع المنبعث من بين مسامات ال
sound system الخاص بالمطعم

أخيراً تحدّث مهيب بصوتٍ هاديٍ واثقٍ مخيف :

" أنعلم ... أنا في انتظار هذا الطبق الصغير منذ أربعة سنوات ... أنت
الآن تنظر لشيءٍ يقدر عمره بحوالي 120 مليون عاماً ... هذا النوع

الفاخر من الكافيار يسمى بالكافيار الماسي لا يوجد سوى بإيران و
يقال أنه ينتمي لفصيلة معينة من الأسماك عاشت و عاشرت
الديناصورات لا يُقدّم عادةً إلا في إنجلترا ولكن مهيب الصاوي لا
يُرفض له طلب ... حُضِرَ على طائفة خاصة بأقصى سرعة إلى هنا
أتعلم هذا الطبق الصغير كم تكلفته ؟؟ "

مرّ الإثنان رأسهما في دلالة على غياب تلك المعلومة عن رأسهما ،
ابتسم وهو يتناول ملعقة أخرى من الطبق مستمتعاً بنشوة تفوق أي
نشوة أجب و هو يهتز برأسه طرباً بين طبقات صوت الرائحة "
Christina Perri " التي تصدح برانعتها مذهلة الجمال A Thousand
Years :

سنة عشر ألف دولار أمريكي أي ما يقارب الربع مليون جنها
مصرياً"

ضحك وهو يتأمل اتساع عيونهما مصحوباً برقصة جنون من بؤبؤين
دُجعا من قسوة الدهشة قبل أن يقول وهو يشير للنادل الذي أتى و
حمل الطبق الفارغ :

" خير ؟ "

تنحج عاصمٌ وهو يجيب بصوت خافت :

" لا أعلم ... خالد هو من أصرّ على مقابلتك "

ابتسم مهيب في وجه خالد و هو يقول :

" جرّة من القلوب "

" لا اهتم "

حدثه مهيبّ بإنجليزية سليمة :

" Jar Of Hearts ... أعشق تلك الأغنية شيء عبقريّ سواءً على

مستوى الكلمات أو على مستوى الموسيقى "

ابتسم خالد قبل أن يحدثه مهيب الذي بدت عليه علامات الرضا

عندما لمح بعينه الفادل القادم يحمل كأساً من النبيذ :

" ها قد أتى نبيذي المفضل ... تحدث يا خالد "

ترك خالد يتحدث و هو يرشف أولى رشفاته من الكأس الكريستالي .

أناه صوت خالد قوئاً و هو يقول :

" لقد غيرت رأيي ... لا أريد النقود "

كاد يختنق و هو يعمل بعنف متأملاً خالد الذي حان دوره ليبتسم

للمرة الأولى منذ حضر .

انسعت عينا مهيب و هو محمر الوجه مختنق من أثر السعلة العادة
التي سعلها و هو منهك في شرايه , نظر لخالد و هو يتناول منديلًا
يمسح به عن وجهه آثار معركة خسرها على يد الدهشة , وضع منديله
المبتل بقطرات تبيّن ثائرة على المنضدة و هو يشير بإصبعه دون أن
ينظر لنادل يحاول فهم المطلوب , في لحظات كان قد بدّل الكوب و أتى
بآخر جديد وضعه على المنضدة مستسلمًا لاسترسال النبيذ المتساقط
من فوهة زجاجية حمراء اللون , انتهى النادل فصرفه مهيب بإشارة
من يده , تجاهل صوت الموسيقى بعصبية وبدأ يشعر أن الهواء قد زاد
سخونته , أشار لأحد العاملين أن يخفض درجة حرارة المكيف , لحظات
مرت قبل أن يهاجمه جيش عاب من النسمات الثلجة التي نفخها
التكييف من بين شفتيه ليلطف الأجواء قليلًا , كان مهيب الصاوي
غاضباً بشدة , محمر الخدين و شحمتي الأذن , يطرق بأصابعه بعصبية
على المنضدة الزجاجية المستديرة , راقب مهيب بعينين تشتعلان غضبًا
ابتسامه خالد المتسعة قبل أن يُغمض عينيه للحظات و هو يتنفس
بعمق محاولاً السيطرة على بركان الغضب الذي يحاول أن يثور
بداخله , لأنه يعلم جيدًا أن ذاك البركان لو ثار فسيحرق بحممه
أشخاصًا كثيرين قبل أن تخمد تلك الثورة , فتح عينيه فجأة و هو
يتأمل خالد قبل أن يقول :

"لِمَ تبتسم ؟؟"

ارتبك خالد الذي لم يتوقع السؤال فاختفت ابتسامته للحظات قبل
أن يستعيد رباطة جأشه وهو يحاول رسم ابتسامة باهتة مرة أخرى
هناك:

"اعتقد أنك تعرف ...

كان عاصم يجلس مراقبًا المباراة النفسية التي تتم صامتًا، لا يريد أن
يخسر مهيب الصاوي الذي أثقل كاهله بتهديدات يعلم جيدًا أنه
يستطيع أن ينقذها ولا يريد أن يخسر خالد لكي لا تضع نسبته من
إرث الصغير، سمع صوت مهيب يأتي واثقًا ساخرًا

"أعلم أنك فرح لأنك فاجأتني ... أعترف لك أنني تفاجئت "

"ظهر عليك الأمر "

"هل تعلم أنني لم أتفاجأ منذ حين؟؟ "

"لهذه الدرجة؟"

هل تعلم أن هذا الكون بعشي وفق تخطيطات و تعليمات مهيب
الصاوي

"غرور؟؟ "

"ثقة! "

"زائدة ؟؟"

نظر مهيبٌ له لبرهةٍ و هو يمتص شفّته دلالَةً على محاولةٍ لكبت
الغضب . للحظاتٍ من أنفه وكأنه يطمئن على وجودها و هو يقول
بخالد ناظرًا لعذائه الذي فقد لمعته :

"أتعلم ... يبدو أنك حسن الحظ "

"هل لي أن أعلم لماذا ؟؟"

"يقولون أن الموسيقى تهدئ البشر... إشكر كريستينا فهي السبب أنك
ستعيش ليوم آخر"

"هل لي أن أشرح ؟؟"

"هل لك أن تختصر ؟؟"

"حسنًا يجب أن تعرف أن معرفة حضرتك تساوي عندي كنوز الكون
كله "

"إختصريا خالد "

"لا أريد النقود ... أريدك أن تستثمرها في أحد مشروعاتك وتجعلني
مساهمًا فيها ... عملي معك شرفٌ كبيرٌ لي

أشار مهيّب لعاصم إشارةً معناها أن الوقت انتهى ، في صمب شعر
خالد بيد تقبض على مرفقه برفق ، استدار ليجد شخصاً يبدو من
مظهره أنه الحارس الشخصي لمهيّب ، مفتول العضلات حليق الرأس و
الوجه ، سماعةً إلكترونيةً في أذنه ، شفتان غليظتان تتناسقان مع وجهه
ظهرت عظامه بضراوة لتعلن عن أصله المصري الخالص ، حتى جلّته
السوداء اللامعة شعر خالد بجوارها بالضالة ، لم يُقاوم وإنما جنب
ذراعه من يد الحارس وراضاه بابتسامة لطيفة ، لا يريد أن يحتد الأمر
، مشى وأمامه عاصم يهتر بدنه من الانفعال ؛ خرجا لتصفعهما نسمة
هواء حارّة تختلف كلّ الاختلاف عن درجة حرارة جسديهما و كأنها
تعاقبهما على تهوّر خالد ، نظر له عاصم بجنونٍ و جسده يرتجف
بانفعالٍ لا يخفى على أحد ، هناك زلزلٌ و براكينٌ و أعاصيرٌ تتصارع
اخله و لكنه يمسك بزمام أموره كيلا ينفجر أمام أو بجوار مهيّب ،
أمسك بيد خالد كأنما يجذب طفلاً صغيراً و مشى به ، تركه خالد
يقوده و هو يفكر في الأمر الذي لم يدرس جنبااته جيداً قبل أن يتفوّه به
، بفكر في القنبلة التي أمسكها بيده قبل أن يكتشف أن قتلها قد
جذب منذ حين ، ستنفجر فيه لا شك ، وصل عاصمٌ به لشارعٍ جانبيٍّ
بعيدٍ عن الأعين ، بمجرد أن دخلاه ترك عاصم يده و هو يدفعه بعنفٍ
للحائط و يلصق ظهره فيه و هو يضغط على عنقه بيده و يقول
بصوتٍ مبحوحٍ خافتٍ و بؤبؤاً عينيّه يرقصان في جنونٍ :

"محبب الصاوي لا يلعب ... أنا عندي أطفال أريد أن أحيا لأربهم ...
من الآن أنت لوحدهك"

"إسمعي"

كتعبان يبصق سته في وجه ضحيته وضع عاصم كلماته في إطار حازم
ثم قذف بها في وجه خالد :

"إسمعي أنت ... من الآن أنت بمفردك ... سنذهب الآن إلى الشقة و
سنحضر حقيبتني ... انتهت علاقتنا"

لم يردّ عليه خالد وقد يلس من جنونه وقلّة صبره , رفع كتفيه قليلاً
هو يمحّ شفتيه في إشارة لعدم الاكتراث جذبه خالدّ من ياقلة
قميصه بعنفٍ وهو يصرخ به :

"هيا"

وصلا الشارع الذي تقبع به العمارة وقبل أن يصعدا السلم لاحظا
شيئاً غريباً من النافذة التي تطلّ على سلم الشقة , هناك ضوء برتقاليّ
يتراقص بعنف, وهذا دليلٌ على شيءٍ واحدٍ فقط ... الزهرة البرتقالية
هنا ... النار!

خرج بهاء من باب المخزن ماشيًا ببطء، يرغب لو يعود بالزمن للحظة لقائه بهذا الرجل وأن يرفض منه الشطيرة التي كانت السبب في كل ما يحدث له، توترت مع عصابة قاتلة تناجر في الأعضاء البشرية من أجل حفنة من النقود منظمّة أباحت حرمة الجسد البشري من أجل أوراقي ملوثة !!

قطع تفكيره صوت خطوات تعدو خلفه، انتفض جسده وهو يشعر بالخوف، عرق بارد أفرزه جسده ليغطيه، لحظة واحدة أمامه وهو يسمع صوت الأقدام تقترب منه، يده تقبض على الحقيبة التي تحمل شعار أحد أهم مطاعم البيئزا في المدينة والمدينة بالثلج الذي يحفظ هذا العضو من التحلل، قدماء تتوتران ويسمع صغيرًا مُزعجًا في أذنه ... يركض أم يقف ؟؟

الوقت يمر ... فليركض !!

قبل أم يتحرك خطوة من مكانه أمسكت يد قوية بكتفه، تسمر مكانه وكأنما توقف الزمن، التفت برأسه للخلف ببطء فوجد الأشقر والأسمر يقفان خلفه مبتسمين ابتسامة سخرية تحمل بين ضففتها الكثير من الشر والغضب، توترت ملامحه وانقبضت عضلات وجهه وهو يراقبهم للحظة قبل أن يسألهم بلهجة جافة وإن شابهها رعب متوتر:

" لماذا أنيتم ؟؟ "

بأدبه الأشقر بالسؤال وهو يصفعه برفق على مؤخرة رأسه :
" أين ستذهب يا عبقريّ زمانك ؟؟ "

أجابه بحدّة وهو يتحسس رأسه مكان الصفحة :
" سأذهب لتسليم تلك الطلبية للعميل الذي يرغب سيدي في ان
أتعرف عليه "

أجابه الأسمر وهو يحرك رقبته بعنف ليستمع بهاءً لصوت قرقرة
عظامها تنفض في نشاط :

أين العنوان ؟؟

أعلن رفع راياته فوق سكونه و	احتلّ ملك الصمم
أنه اهمك في أفكاره الكثيرة متناسلاً	وجومه أمام
تناول منه الأشقر الحقيبة القماشية وقد	السؤال عن العنوان
السخرية موجودة وكأنها ركنٌ أساسيٌّ	ظهر في لهجته الجنو
من أركان تعاملاتهما معه	

" يا بهاء يا صغيري , أنت الآن من رجالنا بغضّ النظر عن بلامتك أو
صغرك , يجب أن تركز ... قلّة التركيز في مهنتنا تعني الموت ... والموت
فقط "

هز بهاء رأسه في خوف متوقفا صفعة أو ضربة ولكن هذا لم يحدث ،
تناول الأسمر طرف الحديث برفق فقال له :

" هذا العمل مهم جدًا أهميته تكمن في أنه يتعامل مع الصفوة .
وزراء ... نجوم مجتمع ... أدباء ... سينيمائيون "

قاطعه الأشقر :

" يتعامل مع كل من لا نستطيع الوصول إليهم

فكر بهاء بصمت للحظات قبل أن يسأل :

و لماذا
م مباشرة بدلًا من الوساطة ؟؟ ففي تعاملنا

معهم فاندتين

سأل الأسمر وقد بدأت علامات التفكير تظهر على وجهه :

" الفائدة الأولى هي الأموال سنحصل على أموالنا كاملة دون أن
نُخصم منها نسبة الوسيط أتفق معك فيها تمامًا ولكنني لا أعرف
ما هي الثانية ؟؟ "

ابتسم بهاء وقد شعر أنه ملك زمام الحديث لأول مرة :

" الأخرى في النفوذ إذا كنت المؤرد الوحيد لسلعتك عند صفوة
المجتمع فسوف يحمونك بنفوذهم كي تظل سلعتك متاحة وبالتالي لن

نضطر لأن تعمل في الظلام و إنما سننقل عملك إلى النور معتمداً
بظلمهم هم "

انيسم الأشقر و هو يقول في لهجة خلت منها المسخرة و لأول مرة :

" يبدو أن المعلم لم يكن مخطئاً عندما اختارك برشم صغر سنك ...
فكرتك جيدة جداً و سأعمل على توصيلها للزعماء عند عودتنا "

رفع يده في الهواء على طريقة التحية الأمريكية الشهيرة (Hi five)
ليصدم بهاء كفيهما برقق دون أن يلاحظ أيّ منهما نظرات الأسمر التي
تكاد تأكلهما أكلاً , استمر الجميع في المشي بين الألفة الغالية و الشوارع
المظلمة الميادين رة و البنايات المهتمة حتى وصلوا إلى بناية
مهدمة خربة ص أشار لهم الأشقر بالصمت و هو يعطي
الحقيبة للأسمر خطواته إلى بهو البناية المهجورة , وقف
بداخلها و هو أغنية حزينة , لحظات صمت ثقيل
مرت عليه قبل الجميع صوت صفير شخصي يستكمل لعن
الأغنية , لم يتوقف استمر في التصفيق للحظات قبل أن
يرى الجميع شخصا يظهر من خلف أحد الحوائط المهتمة , جسد
رياضي مشوق القوام , حليق الشعر و الوجه كثيف الشارب الذي
ينسقه بطريقة تُذكرك بالأمراء الأتراك , على عكس العادة يرتدي
قميصاً ضيقاً بعض الشيء و إن كان هذا الأمر يبدو مقصوداً من أجل
إبراز بعض العضلات التي وضعت من خلاله , بنظراً من خامه الجبتر

الشهيرة بميل للون الأزرق الفاتح و عليه حزام من الجلد الطبيعي
أسود اللون ينتهي بإبزيم فضي , حذاء رياضي أبيض اللون تحيطه من
الجانين خطوط جلدية سوداء تنتهي عند الكعب الذي يتوسطه اسم
الشركة المصنعة في علامتها التجارية الشهيرة , تحرك بخطوات واثقة ,
الغريب أنه عندما اعتدل لمح مسدسه الذي يقبع تحت إبطه مستكيناً
في جرابه دون حراك , لم يحاول إخفائه أو أنه كان يرندي فوقه جاك ,
إذاً هو ليس بمفرده و يبدو أن هناك سيارة قريبة كان هذا آخر ما
فكر به بهاء قبل أن يشعر بحركة خافتة من خلفه , و شعر بكبي
قماشي يوضع على رأسه ليمنع عنه الرؤية و إن كان مصنعاً بطريقة لا
تمنع دخول الهواء , حاول أن يقاوم إلا أنه سمع صوت الأشقر يأمره
بالاستسلام , هكذا شروط المقاتلة و هكذا يقتضي اللقاء , ترك نفسه
يتحرك طبقاً لتعليمات يصدرها له مرافقه بدفعات صغيرة تحدّد له
الاتجاه الذي سيمشي فيه , جذبة صغيرة من ملابسه أمرته بالتوقف ,
لحظات مرت قبل أن يسمع صوتاً خافتاً لياب سيارة يُفتح في رفق ,
دُفع بعنف ليركب السيارة فاصطدمت رأسه بالإطار المعدني للباب
فتأوه باحتجاج , لم يلتفت له أحدٌ و هو يعتدل على كرسي السيارة و
يشعر باثنين من المرافقين يحيطانه من الجهتين , عرفهما من إحساسه
بأجسادهما الضخمة و رائحتهما الممزجة بعرق مكتوم: سارت السيارة
ببطء مبرّز من صوت هدير محركها الناعم , دقائق طويلة مرت قبل أن
يسمع صوت ضوضاء ظهرت للحظات و اختفت , دقائق أخرى و ساد

مدة نائم و توقفت السيارة ، تجرّل منها بناءً على زجرة من مرافقه ،
ولف يشعر بنسمات الهواء البارد قبل أن يميّز صوت ماء !!

هناك أمواج تصطبدم بالعائط برفق ، يعلم جيداً مثل هذا الصوت ،
أخيراً رُفع عن رأسه الغطاء ، تأمل الأضواء التي أغشت عينيه قبل أن
يتأمل المكان ببصره ، ابتسم عندما رأى الماء وشعر بالموج الذي يدغدغ
العائط الصخري ليندلع الصوت المحبّب له ، صوت قهقهة الماء عندما
يتكسر فوق العائط ، تأمل الحضور أمامه للحظات قبل أن يسمع
صوت الرجل الذي رآه من قبل وهو يخاطبهم بلهجة واثقة :

" أندرو قادّم خلال لحظات "

شعر الجميع بالأجواء تنوتر ، جميع الحرس يعتدل في احترام و هيبة ،
السجائر المشتعلة دُفنت تحت الأقدام وتمّ وأدما سريعاً ... و ظهر
أندرو أمام الجميع .

في خطوات سريعة مجنونة قطع خالد المسافة القليلة التي تفصله عن
مدخل المنزل المهتمّم ، و كأن الحلقّ الخشبي للباب يشاركه ذعره ،
اصطبدم به خالد ليترنّف مُسقطاً بضع ذرات غبار كانت متراكمة تنام
بهدوء بين ثنياته ، التفت للخلف نصف التفاتة يراقب بطرف عينه من
بين تعجله عاصمًا الذي يجري خلفه بسرعة تتناسب مع جسده
البدين الذي كان يهتز ، تركه خالد وهو يصعد درجات السلم في قفزات

غير منتظمة ، يأكل بقدميه درجات السلم مثنى وثلاث في كل قفزة ،
استند بيده على الحائط عندما هاجمته إحدى الدرجات التي انهارت
مقدمتها مما جعل قدمه تكاد تنزل ، رفع يده ليرى قليلاً من الحجر
المدھونة به الحوائط يتعلق بيده ، نقضها سريعاً في ملابسه وهو ينظر
خلفه و يكاد يحذر عاصم منها و هو يصعد بسرعة لم يستطع أن
يحذره ، راقب عاصم و هو يزل ليقع على وجهه على درجات السلم ،
انزلق جسده درجتين أو ثلاثة للأسفل قبل أن يتمالك نفسه و يستند
بيديه إلى السلم رافعاً جسده للأعلى: بأنف أدمته السقطة و عينين
تقاومان الألم خاطب خالداً الذي فهم رسالته بلا حروف ، أكمل خالد
طريقه متجاهلاً درجات سلم معوقة تحاول اعتراضه و أجزاء من سور
سلم تعيقه عن رحلته ، وصل أخيراً إلى
توقف للحظة
قبل أن يقرر أن يستكمل طريقه
به النار بضرر ،
درجة بدرجة كانت المسافة بينه
انتهى السلم و
التفت جهة اليسار متوقفاً أ
توقع أن يرى باب
الشقة و قد انهارت تحت وطأة النيران
نفسه وحيداً أمام
باب الشقة المغلق بإحكام ، للحظة ز
النيران داخل الشقة ولكن
صوت الهدوء أثناه عن فكرته ، لا صوت لقرقعة نيران ، أيضاً لو كانت
بداخل الشقة فلم يكن ليراها من مكانه بالأسفل بيدي مرتجفة من
اندفاع الأدرينالين بعث في جيبه عن المفتاح المعدني الذي مده إلى
الباب ليفك شفرة صموده و يتراجع أمامه مفسخاً له طريق الدخول ،
تأمل الشقة بعينيه و تأكد من وجود الطفل في مكانه ، كان يجلس في

فراشه متأملًا العائط ممسكًا بيديه مجتمعتين , ترك خالد جسده يهبط على الكرسي محاولًا تمالك أعصابه , ارتجاف جسده , صدره الذي يصعد و يهبط بعنف , أنفاسه المتلاحقة , عرقه الذي غطى جسده , جلس للحظاتٍ ينهج محاولًا استعادة انتظام أنفاسه , ظهر عاصم مترنحًا على السلم , يبدو أنه كان يعرج جراء سقطته , منديله اليتيم يغطي أنفه الذي أصابه بعدوى اللون الأحمر , نظرله وهو يهتز ويحاول التقاط أنفاسه وسأله بصوتٍ مكتوم :

"هل أطفأتها ؟"

ارتجف خالد غضبًا وهو يرد :

"طبعًا أطفأتها وواريت أثار الخراب وجففت الماء الذي استخدمته في عملية الإطفاء !! ... ماذا ترى ؟"

أجاب عاصم وهو يكظم غيظه :

"لا أفهم !!"

"كما ترى ... صعدتُ إلى هنا لأجد ما ترى ... لا نيران ... لا حرائق ... لا شيء والطفل يجلس وكأن شيئًا لم يحدث"

"إذًا تخيلت الأمر ؟؟"

"هل سمعت من قبل عن حالة تعقّل ثنائية II ... هناك شيء خاطئ لا أعرفه ولكن هل تذكر ما قلته لك عن كلمات الشرطي المفضل في المصحة "

"ماذا قال ؟؟ "

"قال شيئاً يشبه أن هذا الطفل مستحوذٌ عليه من قبل شيطانٍ وأنه خطرٌ وغير طبيعيّ و كاد يرجوني ألا أخرجهُ من المصحة لكنني لم أصدقهُ حينها "

"والآن هل تصدّقه ؟ "

"منذ البداية أصبّقه و صدّقني سأكشف الستار عن هذا الغموض قريباً "

"أعطني حقيبيتي ... سأرحل بلا عودة ... إبحث لك عن محامي آخر "

"تعقّل يا عاصم لقد بدأنا هذا الطريق سوياً و إن نتراجع أمام بضعة مشاكل "

خالد ... أخبرتك من قبل ... عندي أطف.....

"هل تعتقد أنك الوحيد الذي أنجب في مصر !! ... يا سيدي الفاضل أتمّ الأمر و ارحل و ستبيت معي اليوم و غداً في الصباح الباكر سنتحرك إلى الشهر العقاري لنوثق الأوراق و ينتهي الشقّ الخاص بك في العملية

مادمت مصممًا على الرحيل وانا سأنتظر إشارة من مهيب لننم الأمر
بأكمله "

" مهيب ! هل جُئِلت ... مهيب لن يحدثك ... مهيب سينتقم "
" لن ينتقم ! "

" كما يحلو لك ... لتعرف فقط شيئًا واحدًا ... عندما سيأتي الطوفان
لن أشارك قمة الجبل وسأقفز في السفينة وأتركك بمفردك "

" ثم يا عاصم ... ثم وغداً نتحدث ... هل ستبدل ملابسك؟ "

شعر عاصم بالإحراج فهو يعرف أن مقاس خالد لن يناسبه وقرر ألا
يُخرج نفسه أكثر من هذا وازدرد لعبابه في خجلٍ وهو يقول :

" لا سأنام بملابسي ... النهار قريب "

نظر له خالد لبرهةٍ بوجهٍ جامدٍ لا يحتوي بين ثناياه على أي تعبير قبل
أن يهز رأسه متفهمًا :

" كما تحب ... نم أنت على الفراش في الغرفة وأنا سأنام أرضًا في غرفة
الطفل "

تردد عاصمٌ للحظاتٍ قبل أن تُذكِّره آلام جسده بسقطته بالأسفل و
تننّ عظامه إحتجاجًا على محاولة التفكير التي يفكر فيها . نظر للحمام ،
سيغسل وجهه و يستحم قبل أن ينام بملابسه الداخلية علّ اليوم

ينقضّي على خير ، دخل عاصم إلى الحمام و فتح المياه مستمعًا
لهديرها بصمت مفكرًا قبل أن يضمّ راحتي يديه و يملأهما بالمياه و
يرمي المياه على وجهه بقوة لتصطدم بوجهه قبل أن يغسل وجهه
بيديه جيدًا و من بين قطرات المياه لمح ظلًا يتحرك في خَفّة خلفه ،
توقف للحظة وهو ينادي : " خالد ! "

لم يسمع ردًا ، قرر أن يتم عملية التنظيف قبل أن يتحرى عن حركة
خالد الغامضة ، في هدوءٍ لمح نفس الحركة وإن كانت في اتجاهٍ معاكسٍ
لما سبق ، لم يلق بالًا وإنما غسل وجهه و مشى متجهًا للصالة و هو
يخلع ملابسه بتمهل ، وقف أمام غرفة الطفل يتأمل خالدًا المسحّي
أرضًا يوليه ظهره ، قرر أن ينادي عليه لغرضٍ ما في نفسه :

" خالد !! ... خالد ! "

لم يلق ردًا من الجسد المسحّي أرضًا و استنتج نومه من الحركة
المنتظمة لتنفسه ، مطّ شفتيه ورحل دون أن يفكر ، قرر أن الأمر لا
يتعدى التهيؤات بسبب الصدمة ، وقف في الغرفة متأملًا إياها قبل أن
يفتح النافذة متمتعًا بنسيمٍ من الهواء البارد ، أسحى جسده على
السريّر مغمضًا عينيه ، تاركًا الارهاق يرحل من جسده على هيئة
موجاتٍ يشعر بها تتسلل من جسده متجاهلًا الألم الحارق في أنفه
المصاب ، لم يدرب نفسه مرة أخرى .

متجاهلاً الارتفاع الغارق لدرجة الحرارة ، و صوت القرعقة الذي يبدو
كأنه لأمواج تتلوى في الهواء بحثاً عن أجساد تسد جوعها السادي ،
متجاهلاً الرائحة الخائقة التي ملأت الغرفة ، تقلب عاصم على الفراش
قبل أن يفتح عينيه ليراقب المشهد أمامه بأعين طردت النعاس ذملاً ،
اعتدل على الفراش المعدني الصغير قبل أن تزل يده لتمس الهيكل
المعدني الخاص بالفراش ، صرخ في ألم لا يقاوم وهو ينتفض ، ترجل
من عليه متعاشياً لمسه و شق طريقه وسط طيات الضباب و الدخان
التي تجاهد لاحتلال فراغ الغرفة ... سعل مرتين قبل أن يتنبه لأنه كان
يمتص كمية كبيرة من الدخان لتلوّث براءة رنتيه كتم أنفاسه
متحسّساً طريقه بأعين أحرقها الدخان فأبكاه ، وصل إلى باب الغرفة ،
قبل أن يرحل حانت منه التفاتة لنافذة الغرفة ... كانت مغلقة !

ألم يفتحها قبل أن ينام ؟؟

لم يستغرق وقتاً طويلاً في التساؤل وسط الدخان و النيران التي تفرقع
بعنف ملتهمة الدولاب الخشبي الصغير ، النيران ، الوحش الأبدي الذي
فشل الإنسان في ترويضه و لم يسلم أي مخلوق من زلات غدره ، الزائر
الذي يأتي أن يرحل دون ترك علامة مؤلمة جسدياً و نفسياً وكأنه يمهر
الجسد بتوقيعه ، كانت الشقة بأكملها تحترق و كأن النيران تقيم
احتفالاً هنا ، تخيل أنه يحلم أو يتخيل كما تخيل هو و خالد النيران
التي اندلعت في الشقة و عندما صعدا لم يجدا شيئاً ، لكن وخرالأم
للعين و صراخ الخلايا التي تحتضر في كفه أنبأه أنه لا يحلم و لا

بيضاء قبل أن يحتلها اللون الأحمر القاني فارضاً عليها سلطانه , يبدو
إن القاتل استخدمهما لكي يجفّف الدماء ... لماذا !!؟

تراجع للخلف يراقب عيني خالد اللتين فقدتا كل معالم الحياة , لم
يستمرّ في المزيد من التراجع قبل أن تلعقه النيران من خلفه ليفاجأ
بالدولاب الصغير يشتعل و من فوق تحتل الحقيبة التي تحتوي على
الأوراق فمته في نشوة مستمتعة بالنيران وهي تلتهمها بلا أدنى مبالاة ,
نظر لفراش الصغير الذي يحترق هو الآخر دون أن يجد أي أثر للصغير ,
صرخ بعنف فزع :

" يبدو أن خالد كان محقاً أنت لست طفلاً طبيعياً أنت لست
طبيعياً عليك اللعنة "

خرج يعدو من الغرفة متجاهلاً النيران التي تمد له بالسنة من لهب
محاولة أن تطاله لتحرقه ولكنه كان أسرع منها , خرج من الباب
المفتوح وهو يعدو على السلم , يحاول ألا يتعثر فيسقط , مازال أنفه
يؤلمه وإن انضمت لها يده في سيمفونية الألم الحارق , مستنداً بيده
على العائط الدافئ الذي تشبع بحرارة النيران متجاهلاً ترتيب درجات
السلم التي عبطها في سرعة و عنف , وصل أخيراً للشارع الهادئ
مرتحمياً أرضاً شاهقاً بعنف سامحاً لموجات من الهواء النظيف أن
تدخل لرنثيه في مهمة تنظيف سريع , لاحظ أن هناك بضع أيادٍ امتدت
له نعيه على الوقوف وهناك ذرات مياه يشعر بها على شفثيه , لا تزال

عينه مصابة بحالة من الاحتراق مسببة له انعدامًا مؤقتًا في الرؤية .
فتح شففيه مستسلمًا للماء الذي أخذ دوره سريعًا مساعدًا للهواء
النقي بدأ يشعر بالدوار والاختناق يتقهقران سريعًا ... وضعت
الرؤية أمامه وإن كانت لا تزال مهتزة هناك تجمهر و يبسو من
نظراتهم أنهم لم يكونوا يعرفون أن هناك أشخاص مقيمين في هذا
المنزل المهجور رغم صعوده ونزوله أمام أهل و سكان الشارع أكثر من
مرة , شعر بمن يضع تحته كرسيًا و يساعده على الجلوس , جلس
ملتقطًا أنفاسه قبل أن يسمع صوتًا يقول له

" هل كنت بمفردك ! "

نظر على يساره ليجد امرأة عجوز تحمل علامات الطيبة والعنوين
قسمات وجهها الصبوح , ابتسم لابتسامتها و هو يقول

" نعم يا أمي ... أنا بمفردك "

ربتت على كتفه مطمئنة إياه :

" حمدًا لله على سلامتك يا بني "

" سلمك الله يا أمي "

لاحظ بدء تجمع الناس حوله وسمع صوت سيارات الإطفاء من بعيد ,
قَرَّر أن لا مكان له هنا , سيكتشفون جسد خالد و ربما يكتشفون

عملية الذبح ، وقف ببطء و هو يتابع وصول أول سيارات الإطفاء
الحمراء الضخمة و هبوط ثلاثة من رجالها قبل أن تتوقف حاملين
حارطوما مطاطيا باحثين عن أي مصدر للمياه متجاهلين قدومهم
متأخرين حوالي نصف الساعة وكأنه كان أمرا طبيعيا ، بدأت أنظار
الناس تتجه تلقائيا لرجال الإطفاء يتابعون حركاتهم بإعجاب و داعين
لهم بتمتماتٍ تحمل رائحة الطيبة و الحب ، بخطواتٍ بطيئةٍ من قدمين
أعياهما المجهود تحملان جسداً ليس خفيفاً بدأ يتحرك بطريقةٍ
بسيطةٍ كي لا يلتفت إليه الأنظار ، ابتعد عن محيط الحريق بنجاح و
دلف إلى شارع جانبي: استغرق لحظاتٍ لهندمة ملابسه التي اسودّت
معظمها ، تلقّت حوله متأكداً أنه وحيد رحل بخطواتٍ تخففي في
الظلام ، و لم يلحظ الشخص المتشع بالسواد الذي يراقبه عن كُتبٍ
منذ خروجه من البناية عاداً خطواته و حاسبا أنفاسه لم يلحظ
اللّمة التي التمعت في عينيه بنشوة غريبة !.

نظر بهاء إلى أندرو وهو يتأمله ببطء ، كانت ابتسامةً واثقةً تحتل شفتي
أندرو في ثقةٍ زائدة ، مدّ يده للرجل الذي قابلهم و أتى بهم إلى هذا
المكان ليتناول منه الحقيبة و هو يفتحها و ينظر بداخلها للحظاتٍ قبل
أن ينظر في ساعته و هو يسأل الأسقر :

"كم مرّ من الوقت ؟ "

نظر الأشقر في ساعته بدوره قبل أن يجيب بصوتٍ متشكك :

"حوالي الساعتين !"

اتّسعت ابتسامة أندرو وهو يجيب في حماس :

"حسنًا ... مازال هناك متسعٌ من الوقت "

نظر لمساعدته الذي أتى ليُحكم إغلاق الحقيبة مناوئًا إياها لاهلّ الواقفين في ثباتٍ قبل أن يميل بجسده عليه ليمس له ببضع كلماتٍ في أذنه ، هز الأخير رأسه متفهمًا و هو يتحرك بسرعةٍ قابضًا على الحقيبة ، وصل لإحدى السيارات و خاضع السائق بلفةٍ لم يفهماها ، سرعان ما كانت السيارة تنطلق بسرعةٍ مصحوبةً بصرير احتكاك الإطارات بالطريق: نظر أندرو للأشقر و هو يقول له :

"إذهب الآن وأخبر سيدك أن أندرو سيحضر له النقود فيما بعد "

تردّد الأشقر للحظاتٍ و هو يتبادل النظرات مع الأشمر الذي مطّ شفتيه بترّيمٍ وبدت علامات عدم الرضا على وجهه ... نظر الأشقر مرةً أخرى لأندرو و هو يقول :

"ولكن ... !"

تجهّم وجه أندرو و هو يسأله بغضب :

"أتعلم منذ متى لم أسمع كلمة ولكن !"

تردد الأشقر وهو يسأل في خوف :

"منذ متى ؟"

"منذ هذا الصباح ... كانت زوجتي تهددني وكدت أعترض"

ضج المكان بضحكاتٍ ساخرةٍ من الأشقر الذي احمر وجهه وهو يعبث في شعره الناعم محاولاً إخفاء خصلةٍ شاردةٍ خلف أذنه في ارتباك , نظر للأسمر الذي بادله نظراتٍ باردةٍ دون أن يتحدث , بهاء كان يتابع الموقف برهبة لا يدري هل هذا الأمر طبيعي , جذب يد الأسمر الذي تنبه له ففقط سيل النظرات المرسلة للأشقر تاركاً إياه وحيداً على جزيرة تسبح وسط بحار عدم الفهم , انحنى الأسمر نصف انحناءٍ ليواجه بهاء الذي شد قامته وهو يسأل :

"هل هذا الأمر طبيعي !"

رد الأسمر بصوت باهت :

"لا ... في العادة يتسلم الرجل الأول السلعة ويعطينا النقود لنعود بها للزعيم ... تلك هي المرة الأولى التي نقابل أندرو فيها وجهنا لوجه"

نظر بهاء لأندرو مرةً أخرى يتأمله , ذقنه المرسومة بعناية لثف وجهه في إطارٍ من وسامة , شعره الأسود الذي يختلط به بضع شعيرات

بوضاء ، عيناه الرماديتان وقامته المنصوبة ، التفت أعين بهاء و أندرو
للحظات ارتجف بهاء فيها من برودة نظرتة ، أعاد أندرو نظراته للأشقر
مرة أخرى وهو يسأله في غلظة : "

لماذا تنف هنا ؟؟ ... ألم أمرك بالرحيل !"

نظر له الأشقر قبل أن يستجمع شتات نفسه وهو يقول بصوت حاول
أن يجعله قاسيًا :

" نعم ولكي لن أرحل سوى بنقودي "

ابتسم أندرو وهو يردّد بصوت ساخر :

" نقودك ! ... كنت أحسب أنك مجرد عامل توصيل عند زعيمك "

" أقصد نقوده "

" حسنًا ... لك ما أردت يا فتى "

مد أندرو يده إلى جيب جاكيت البدلة الداخلي في بطة ، و أخرج يده
بسرعة وهي تحمل مسدسًا رمادي اللون التمع وكأنه قرح بخروجه
للحرية ، مدّ يده التي تنتهي بالمسدس ليصوبه إلى جبين الأشقر الذي
ارتعد وهو يحاول التراجع للخلف إلا أن دفعة غادرة أعادته مرة أخرى
للأمام ، أنظاره معلقة بالمسدس ، اه ترتجفان: رفع أندرو يده للأعلى
مصوبًا المسدس إلى قمة رأسه ، شعر بالمعدن البارد يُقبِل جهته و

يُجبره على الركوع أمام أندرو ، ركع على ركبتيه و هو مبتلع ريقه الجاف ،
يشعر أن قلبه يكاد يتوقف توتراً ، هناك رجة لا يستطيع التخلص منها
تسري في جسده ، الحرق البارد يغزوه ، ركع منكساً رأسه ... سمع صوت
أندرو يأتيه ببطء و كأنه يأتي من هوةٍ سحيقة :

" أطلب ما أتيت من أجله "

حاول أن يتكلم :

" الر... الرحمة "

" هل أتيت بعثاً عن الرحمة ؟؟ "

" لا ... آسف ! "

سمع أندرو صوت خطوات تقترب منه و صوت جلبة بين الرجال
فالتفت ليجد بهاء يقاوم أحد الرجال بعنفٍ مُنْشِباً أسنانه في يديه
بوحشيةٍ مدميةٍ إياها و راكلاً الرجل بين قدميه قبل أن ينسلّ من بين
يديه ليذهب و يقف بجوار الأشقر و هو ينظر لأندرو بثقةٍ لا تتناسب مع
سنّه الصغير :

" أرجو أن يكون مسدسك محشوفاً ... فنحن ثلاثة "

اتسعت أعين أندرو بدهشةٍ للحظاتٍ قبل أن يصوب المسدس إلى رأس
بهاء ... بمجرد أن لامس المعدن البارد رأس بهاء انتفض للحظةٍ قبل أن

بتمالك أعصابه و هو يرفع يده إلى فوهة المسدس ويسحبها ببطء و يضعها بين عينيه و هو ينظر لأندرو قائلاً في ثقة :

" اعتقد أن هذا المكان أفضل "

اتسعت أعين أندرو في دهشة للحظات قبل أن يظهر الغضب جلياً في عينيه و هو يجذب أجزاء مسدسه , و يعيد التصويب بين عيني بهاء الذي أغمض عينيه في هلع حاول إخفاءه و عض بقوة على لسانه مدمياً إياه , لحظات مرت قبل أن يشعر أن المسدس يبتعد عنه , نظر فوجد أن أندرو يعيد مسدسه إلى جيبه مرة أخرى بينما الأشقر ينظر له مشدوهاً , مد يده خلفه و بفرقة من أصابعه ظهر شخص من أنباعه يحمل حقيبة جلدية من طراز (سمسونيت) ... وضعها أمام بهاء و هو يعالج أقفالها المعدنية الصغيرة لتفتح أمام عينيه ليراقب الأوراق المالية ترتص بجانب بعضها البعض في نظام , أغلقها بعد برهة و عيث في أقفالها ليزيل أي آثار لأرقامها السرية , لَهَا حول نفسها في حركة استعراضية و هو يعطيها لها الذي حملها بحرص خائفاً متردداً إلا أن ربة خفيفة على كتفه أزالت كل تلك الشكوك , حملها و هو يعطيها للأشقر في احترام , فمهما حدث لا يزال أكبر منه سناً و شائناً في منظمته الصغيرة , ابتسم أندرو و هو يتابعهما يرحلان ليقتفا بجوار الأسمر الذي لم يتحرك من مكانه : تبادل بهاء و أندرو النظرات للحظة قبل أن يبتسم له بهاء ابتسامة عرفانٍ بالجميل و هو يوليه ظهره و يرحل , سمع بهاء صوت أندرو يأتيه من الخلف منادياً :

"أيها الفتى

توقف بهاء مكانه للحظة قبل أن يستدير بهدوء ليجابه نظرات أندرو إليه. تحدث أندرو بصوت عالٍ مليء بالفخر: "أخبر زعيمك أنه يحتاج للرجال من أمثالك وليس من أمثال هؤلاء"

ابتسم بهاء وهز رأسه متفهماً وهو يرحل مع زميليه الصامتين، بمجرد أن تواريا عن المكان وتابعا خطواتهما في محاولة لاستكشاف أين هم حتى ظهرت على الأسمر علامات الإدراك، قال متفهماً

أعرف هذا المكان جيداً ... نحن قريبون من المخزن

قال بهاء بصوت متردد :

"لماذا فعل هذا ؟؟"

أجابه الأشقر بصوت مرتعد :

"لا أحد يعرف يا بهاء ... لا أحد يعرف"

وتابعوا رحلتهم بصمتٍ يجهلون دوافعه أو أسبابه .

اعتدل شريف على الشيزلونج ، نظر لها وهي تبسّم ابتسامة رقيقة زادت شفتها شهوة ، نظر لها بتساؤل ... لماذا تبسّمين؟ ... أجابته وهي

ترفع منظارها الطليّ لتضعه على الطاولة الصغيرة أمامها وتضغط زرّاً صغيراً يفتحني أسفل الطاولة ، الغرض منه ألا يلاحظه أحد لكن عين ضابط الشرطة حماساً تعودت أن تلاحظ كل الأشياء مهما بلغ صغرهما أو قلّة أهميتها ؛ الشيطان يكمن في التفاصيل ... هكذا يؤمن شريف ، ابتسم هو الآخر ، رفعت أحد حاجبيها بدهشة وإن لم تنفخ عن ابتسامتها ، سألته بصوتٍ حنون :

" لم تبتمس يا شريف ... لقد وصلت لجزء كبير جداً من الموضوع .. أحسنت ... لو استمر الأمر بنفس الطريقة فأعتقد أنك اليوم سنال مرادك "

أجابها شريف بصوتٍ واثق :

" سرّك الصغير ... الزرّ الخفي بالطبع الآن سيدخل الساعي لتطلي منه أن يحضر لنا كوبين من القهوة أو العصير البارد ... تستغلّين عامل المفاجأة لتحكّمي سيطرتك على مريضك

أسمعت ابتسامتها ولم ترد : استغلّ وجوده في مركز القوة ليستعرض قوته ، رفع يده وهو يعد بصوتٍ عالٍ :

" ثلاثة ... إثنين ... واحد ... الآن

مع آخر حروف كلماته فُتح الباب فهزّت الطيبة رأسها في إعجاب ,
دخل الساعي فعلاً فانسعت ابتسامة الثقة لتفمر وجهه , نظرت له
نظرة أخيرة وهي تكتم ضحكة تجاهد للهروب من سجن شفتها

" عم ابراهيم , من فضلك اعتذر لكل المرضى بالخارج و حدّد معهم
مواعيد جديدة ... و لتعلم أننا اليوم سنسهر حتى وقت متأخر , أخبر
سواء أن ترحل في موعدها و ستسهر أنت معي تستطيع استخدام
الهاتف لتطمئن زوجتك

مرّ عم ابراهيم رأسه بتفهم و بدا كما لو أنها ليست المرة الأولى التي
يسمع فيها هذه الكلمات , بدأت ابتسامة الثقة تفرّ من بين شفطي
شريف الذي تجهم وجهه و تبدلت ملامح الثقة لتتوارى خلف ستار من
الغجل خرج عم ابراهيم و أغلق الباب خلفه قبل أن تناديه مرة
أخرى بصوت مرح :

" وأحضر كوين من الليمون يا عم ابراهيم من فضلك حتى لا يحزن
ضابطنا الهمام "

خرج عم ابراهيم وأحكم غلق الباب خلفه قبل أن يسألها شريف :

" هل من أصول الطب النفسي أن تسخري من مرضاك !! "

" المفروضين منهم فقط "

احتقن وجهه و هو يعود لينام مرةً أخرى على الشيزلونج متجاهلاً
الساعي الذي حمل كوبين من العصير المثلج و وضعهما على الطاولة و
رحل بعد أن حمل كلمة شكرٍ رقيقةٍ منها ، بمجرد أن أغلق الباب بدأ
يستكمل حكايته مرةً أخرى .

فتح عاصم عينيه بالأم و هو يمد يده بإرهاقٍ ليتحسّس رأسه ، آخر ما
يتذكره هو فراره من مكان الحريق و دخوله لأحد الأُرقة ليعدل هندامه
قبل أن يستكمل طريقه ، قرب نهاية الزقاق المظلم شعر بخطواتٍ
بطيئةٍ تقترب منه في صمت و قبل أن يلتفت ليرى ما يحدث هناك
فوجئ بضربةٍ قويةٍ على رأسه ليسود الظلام .

وجد نفسه ملقى أرضاً في مكانٍ واسع ، استند مرفقه على الأرض و هو
يعتدل و يتحسّس رأسه متأوِّماً ، وقف و هو يستند للحائط المجاور له
بهدهوء ... تأمل المكان من حوله ... مكانٌ واسعٌ ، خالٍ من أي معدات ،
الجدران مغطاةٌ بطبقةٍ سمكيةٍ من مادةٍ تشبه المطاط ، هناك منضدةٌ
تتوسط الغرفة وجهها خالٍ من أي شيء ، لم يميّز المكان و لم يعرف ما
الذي أتى به إلى هنا ، قرّر أن ينادي بصوتٍ عالٍ علّ أحداً يستجيب له :

" هل من أحد هنا ؟؟ "

لم يسمع أي ردّ ، قرر أن يصيح بصوتٍ أعلى :

"هل من أحد هنا ... النجدة"

سمع صوتًا معدنيًا يأتي من سماعةٍ معلقةٍ بالسقف :

"كفاك ضجيجًا ... صوتك مزعجٌ أها البدين

نظر للأعلى فلاحظ كاميرا صغيرة و سماعةً تجاورها , اهتزَّ صوته و هو يقول :

" من من أنت ؟؟ لماذا تحتجزني هنا ؟ "

ضحكةٌ ساخرةٌ ترددت للحظاتٍ قبل أن يصمت الصوت تمامًا , دقيقةٌ مرتت و عاصم يقف في صمبٍ يتلفت حوله , يكاد يجنّ دون أن يعرف أين هو قبل أن يسمع صوت نكّة قفلي صغيرة تأتي من خلفه , التفت بسرعة ليجد جزءًا من الحائط يُفتح يبدو أنه بابٌ سري , حاول أن يعدو إليه إلا أن فوهة مسدسٍ ظهرت مجبرةً إياه على التراجع للخلف , نظر للوجه الذي يقف خلف الفوهة قبل أن يركع على ركبتيه أمامه باكئًا , ضامًا يديه أمامه متوسلاً بصوت خاشع:

" مهيب باشا ... الرحمة ... لقد احترق المنزل و اختفى الطفل "

أشار له مهيب بالصمت قبل أن يدخل شخصان من الباب و يُخرج مهيب من جبه جهاز تحكم إلكتروني ليفلق الباب بصوت هادي , تأمل عاصم الثلاثة أشخاص بأعينٍ دامعةٍ و هو يُراقب مهيب يضع الجهاز في

جيبه بعد أن ضغط زرًا صغيرًا ليفتح أحد الحوائط و يبدو من خلفه
دولابٌ خشبيٌّ صغيرٌ يحمل تصميمًا غربيًا و يُفتح لأعلى ، يشبه كثيرًا
الأماكن التي تُحفظ فيها الأسلحة كما يراها عاصم في الأفلام الغربية ،
ترك الأمر برقته وهو يسأل مهيب برجاء :

" ابن نحن؟ ... سيدي ... الرحمة !"

تجاهله مهيبٌ و هو يعطي المسدس إلى أحد الشخصين الذي تناوله
منه باحترافيةٍ دلّت على أنها ليست أول مرة يحمل فيها سلاحًا ، مَدَّ يده
إلى الشخص الآخر الذي تناوله سيجارًا كوبيّ الأصل فاخر المظهر ،
وضعه مهيب بين شفتيه و دون أن يلتفت له شعر بشعلة نارٍ تنطلق
من قذاحة فضية اللون ذات تصميم رافع اشتعل السيجار بين
شفتيه فسحب منه نفسًا عميقًا تآججت له مقدّمة السيجار بنشوة :
نظر لعاصم الراكع أمامه وهو يُطلق سحابة دخانية في وجهه و هو
يسأله باهتمام :

عاصم يا صديقي هل سمعت من قبل عن مصطلح (بيت
القتل)؟"

ردّد عاصم الكلمة بصوتٍ مُنهم :

... بيت القتل !"

"نعم ... إنه مصطلحٌ غريبٌ يعني وجود شقةٍ أو قبوٍ مرفقٍ بفيلا كبيرة ...
هذا المكان يكون مجهزاً بأدواتٍ منها الحديثة و منها القديمة ... يؤتى
إليه بالشخص المراد تعذيبه ليتم تعذيبه قدر الإمكان هذا المكان
يتميز بوسع المساحة ... مبطنٌ لكي يكون عازلاً للأصوات"
"تعذيب !! ... ليس أنا بالطبع ... أليس كذلك"

"أنت !! ولماذا أعذبك؟؟ هل وعدتني بشيءٍ ولم تكمله؟؟ هل أتيت
بأشخاصٍ غرباء إلى مكاني المفضل لتفسدوا طعامي؟؟ هل لعبت
بي؟"

توحش صوته في السؤال الأخير مما أدى لزيادة خوف عاصم , ارتعد
صوته وهو يقول بخوف :

"كنت أنوي أن أعوضك ... أقسم لك "

" لا شيء قادرٌ على تعويضني سوى رؤيتك تتألم الألم فقط هو ما
يُشبعني"

"وماذا ستستفيد من ألمي؟؟"

سأرضي غروري سأشبع شهوتي سأثبت لي و لك أن مهيب
الصاوي لا يُستهان به "

" سيدي أنت بالفعل لا يُستهان بك و انا أعلم هذا جيدًا ... إرحمني أرجوك "

" أرحمك !! ... لا أعلم معنى تلك الكلمة !! لا وجود لها في قاموسي .

" ولكن الله غفورٌ رحيم وأنت عبدٌ من عباده ... ألا تكون رحيماً ؟

" لا أعلم لما لا تصدّقني ... لا أعلم معنى تلك الجملة "

شعر عاصمٌ باليأس , قرّر أن يحاول التبيّج عندما علم بأن التوسل و الاستجداء لا نتيجة منه ؛ وقف أمام عاصم و هو ينفخ صدره و يصيح به بصوتٍ عالٍ و إن كان مرتعداً

" من تعتقد نفسك ... مهيب الصاوي !! تبّاً لك ... بل ألف تبّاً أيها الأحمد

صوت عيارٍ نارٍ سمعه لمرةٍ واحدةٍ قبل أن تنن أذناه بصفيرٍ حادٍ ناتج عن قرب مكان إطلاق الرصاصة منه , تأمل قدمه بألمٍ قبل أن يُطلق صرخةً وحشيةً و هو يرتمي أرضاً ممسكاً بقدمه في ألم , تلوى أرضاً و هو يتابع الصراخ و يتأمل ركبته الدامية , أطلق عليه أحد الأوغاد رصاصةً استقرت في عظام ركبته , اتسعت عيناه ذعراً و هو يراقب مهيب يضع إصبعه على شفتيه , حاول كتم صراخه و آثاته و هو يكتنم أنفاسه هي الأخرى , كان ينهج بألمٍ و هو يحاول الصمت ... مُمسكاً

بركبته متأملاً مهبباً المبتسم الذي قال له بصوتٍ سمعه بغير وضوح
نتيجةً للصغير اللعين الذي لا يفارق أذنيه :

" من الجيد أنك تلصقت للكلام وتنفذ الأمر ... يبدو أننا سنستمع
سويًا "

كتم عاصمٌ أماته بصعوبة وهو ينظر لمهببٍ الذي اقترب من أحد
رجاله وهمس في أذنه بكلماتٍ لم يسمعها عاصم ، هز رأسه ووقف
أمام الباب منتظرًا تمام انفراجه ، بمجرد أن فتح الباب خرج الرجل و
غاب في الخارج لمدة تجاوزت الدقائق الثلاث ، دخل مرةً أخرى يحمل
مرطبًا زجاجيًا لم يميّز عاصم محتوياته ، وقف بجوار مهببٍ الذي
ابتسم وهو يشير للرجل الآخر الذي خرج منذ قليل من مجال رؤية
عاصم ، ظهر الرجل وهو يحمل في يده فأسًا حادًا تلتمع بلطته في
شهوة غريبة ، رفعه الرجل قبل أن يهبط به في حدةٍ على قدم عاصم ، لا
يستطيع أي مخلوق حي أن يتخيل حجم الألم الذي شعر به عاصم ، لا
وصف له ولا كلمات تعطيه حقه ... فقد عاصمٌ النطق ، القدرة على
التفكير ، قدرته على الصراخ صوته وعقله فقد كل شيء وهو
يتأمل قدمه التي تركت جسده ورحلت نافورة الدّم الأحمر التي
انطلقت لتملأ المكان ، وجه مهببٍ الذي يضحك بتلذذٍ والدّم يغطي
وجهه الدوار يكتنف رأسه ولكن يبدو أن الرحمة ليست ضمن
القاموس الخاص بمهبب ، شعر عاصم بالهم حادٍ مرةً أخرى فوجد
الرجل الأخرى كوي قدمه ليوقف نزيف الدماء ، استمر في كتبها واستمر

عاصم في محاولة إخراج أي صوت ، الصدمة العصبية أفقدته القدرة على النطق انتهى الرجل وأعطى الإشارة لزميله الذي اقترب في صمبتُ منهم ملفوفًا بابتسامة شريرة محاطة بإطارٍ من غموضٍ قاسٍ ، رفع فأسه للمرة الثانية و عيناه تضحكان في جنونٍ ماجن هبط بالفأس ليعلن انفصال قدمه الأخرى ، لم يتحمل عاصم أكثر من هذا ... فقد الوعي وترك الظلام ينتشر في خلايا روحه المنهكة .



فتح عاصم عينيه في تناقلٍ و هو يتأمل مهيب الواقف أمامه ، كان يشعر بال ألم لا يوصف ، جسده بأكمله يئن : تأوّه وهو ينظر لقدميه ، لم تعودا هناك ، تغلّتا عن جسده ورحلنا ، نظر للجرح الذي كوي بإهمال ، حاول أن يحرك يديه إلا أنه شعر بالألم غريب هناك إحساسٌ لا يوصف يشعر به ، نظر بحرصٍ إلى يديه لتفجعه الصدمة ذراعاه تنهيان عند الكوع ، أطرافه بالكامل ذهبت في رحلة ذهابٍ بلا عودة هو شعورٌ يُخسّن ولا يوصف ، نظريديه بجزعٍ قبل أن يبكي وهو ينظر لمهيبٍ الذي يجلس أمامه متجاهلاً الدماء التي تناثرت على قميصه و على وجهه و على رجاله ، نظره مهيب بسخرية قبل أن يقول :

مرحبًا كنت سأحزن للغاية لو توفيت قبل أن أستطيع العبث
معك "

حاول أن يتحدث إلا أن صوته خرج كهيمهاتٍ ضعيفةٍ لم يسمعه
مهيّبٌ الذي وضع يده على أذنه في إشارةٍ لأنه لا يسمعه جيدًا ، قبل أن
يشير له بالصمت والكفّ عن محاولة التحدث بلا فائدة قائلاً :

" أعتقد أنك ستسأل لماذا أو ماذا بعد أو غيرها من الأسئلة التافهة
التي لا يعني أن أسمعها ، ولكن من حقك عليّ قبل أن ترحل أن تسمع
مني شيئاً يربحك "

نظر ليمينه و هو يتناول المرطبان الصغير و يبلّغ به أمام أعين عاصم
المرهقة و يهزّه في رفقٍ ويقول له :

" سأخبرك شيئاً واحداً ... سأخفّسك !!!! "

لم يفهم بهاء ما يريد أن يقوله !!! نظر له و مازال لا يصدق ما هو
فيه : أخبره مهيّب بصوت مرح :

" لقد كويت الجروح كي لا تموت من فقد الدماء الغزير و لكنك
ستموت ، أريد أن أعبت معك أطول فترةٍ ممكنةٍ قبل أن تموت ، أريد
أن أشفي ساديتي ... بالمناسبة ، كنت سأفعل هذا بك سواء تمت المهمة
أم لم تتم ، أنا لم أحبيك و أنت لست أول من يزور هذا البيت ، مجنونٌ
أنا أو ساديتي ، لا يعني رأيك في ... ما يعني هو قدر النشوة و اللذة التي
أشعر بها و أنا أراك تتعذب ، و أنا أرى روحك تنازع جسدك في رحلة
الخلاص ... نشوةٌ تفوق نشوة الجنس بمراحل ، نشوةٌ تعادل كل

نشوات العالم مجتمعة : ربما أكون مجنوناً , ربما أكون سادياً ... ألف
ربما وربما ... لكن الأكيد أنني سأستمتع ... سأستمتع جيداً للغاية "

لم يستطع عاصم الرّد , أشار مهيبٌ لأحد الرجلين فخرج من مجال
رؤية عاصم الذي لا يستطيع الحركة , سمع عاصم أزيزاً خافتاً من
خلفه , توقّع أن يكون مثقاباً و سيخترق رأسه إلا أنه شعر بماكينه
حلاقة تُزيل شعره , أزال الرجل شعره بأكمله وترك رأسه عارية إلا من
بضع خصيلاتٍ تناثرت هنا أو هناك ابتسم مهيب وهو يمسك بيده
طاسة معدنية مقعّرة , فتح البرطمان ببطءٍ ووضع ما فيه على رأس
عاصم , غطى رأسه بالطاسة وهو يعود ليجلس مكانه , ابتسم وهو
يراقب علامات القلق على وجه عاصم , قال له

من حقلك عليّ أن تضمّ قبل أن ترحل ما سيحدث الآن يدعى
الخنفسة , وهي وسيلة تعذيب قديمة , هذا نوعٌ نادرٌ من الخنافس
سيبدأ الآن في استكشاف البيئة الموضوع فيها وإدراك حدودها , و
عندما يدرك أنه لا مفرّ سيُشعر بالجوع ... في البداية ستشعر به يأكل
فروة رأسك ... ألمٌ خفيفٌ غير موجه بالدرجة الكافية , ثم تأتي المرحلة
الثانية وهي أكثر وجعاً من سابقتها ستبدأ الخنافس في اختراق
جميعتك بفكوكها الحادة , ستحاول جاهدة حتى تثقب جميعتك و
عندما تتمكن من ثقها ستبدأ المرحلة الثالثة والأكثر ألماً سيلتهمون
مخك ... ستشعر بكل قضيمة وكل حركة لهم وهم يلتهمون مخك
ستشعر بذبذبات كهربائية وستشعر بالألم الذي لا يوصف ... ستشعر

بكل شيء : إذا كان القدر رحيماً بك ستموت قبلها ... أما لو كان القدر
مثلي سادياً فستموت بعد أن تنتهي الخنافس من مهمتها ... أتمنى لك
خَنَفَةً سعيدة , أما أنا فسأصعد لمكتبي لأسجل تفاصيل كل شيء ...
سأحب حقاً أن أشاهدها مرةً أخرى في أوقات فراغي سلام و
ليشملك الله برحمته "

تركه و صعد لمكتبه و قبل أن يفلق الباب انطلقت صرخات عاصم
تعمل ألقاً لا يوصف وقهراً لا مثيل له , ترددت الصرخات للحظات قبل
أن يفلق الباب ليسود الصمت وكأنه حزينٌ على مصير عاصم .

كان يوماً بارداً , الرياح كانت تزارر في عنفٍ محاولةً إخافة القلة القليلة
من المارة التي جازفت ونزلت في مثل هذا الوقت الباكر من صباح هذا
اليوم البارد , هناك سَبَتْ مصنوعٌ من الخوص يرقد أرضاً في استسلام,
يحتوي طفلاً يجلس داخله متجاهلاً البرد القارس الذي يحيط به
متجاهلاً الزرقة التي تمتد بلا رحمةٍ إلى أطرافه الصغيرة , متجاهلاً
سُحْبَ البخار التي تنطلق من بين شفتيه مع تنفسه , متجاهلاً ندى
الصباح المثلج الذي يهبط من السماء غير عابئٍ بأي شيء سوى أداء
مهمته الأزلية ... السقوط !

كان الطفل يجلس جلسته المعتادة , إحدى ساقية مثنيةً بأسفله و
الأخرى تمتد أمامه بلا حراك , يجلس و قد وضع يديه على أذنيه

ليسدّهما و إن كانت عيناه مفتوحتان تصرخان أشياء عديدة ... برؤ
قارس وحده مخيفة و كلمات لا يستطيع أن يعبر عنها ولا يفهما
سواه , يجلس منذ حوالي الربع ساعة ؛ صوت خطوات شخص يرتدي
حذاء ثقيلًا , توقفت الخطوات خلفه , لا يزال يكتّم أذنيه و يعتري
تلقائية مريبة , صوت خافت يدلّ على الاستسلام اندلع من بين شفتين
قبلهما البرد , يدّ تختبئ من قسوة البرد بداخل قفاز صوتيّ يحتويهما في
حنان انقضّت على أيدي السلة و حملتها من أذنها ... لم يمض سوى
ثلاثة خطوات و توقف أمام باب زجاجيّ ضخيم يحتوي على شعار ضخم
و بأسفله اسم طبيب نفسي شهير , طرق بقبضته الباب و تعدد أن
يطرق الزجاج و ليس الإطار المعدني الذي يغلفه , انتظر لحظات قليلة
قبل أن يطرق الباب بغضب , كاد الزجاج أن يستجير لحدّة غضبه و
ينكسر , لكن من حسن الحظ فقد فتح الباب قبلها , تأمل الشخص
الذي يرتدي ثيابًا بيضاء تدل على أنه ينتمي لطاخم التمريض في هذه
المصلحة النفسية , قال له باستسلام :

" هل تعرفني ؟؟ "

تلثم الممرض الشاب قبل أن يقرر أن يخمن الإجابة :

" هل أنت الضابط الذي أتى مع الطفل ! "

أجابه شريف بسخرية :

"حسناً ... يبدو أن لدينا رابع"

رفع أمامه السلة التي يجلس بها الطفل الصغير . صمت الطفل متأملاً
جدار المشفى في اهتمام , نظر شريف إلى الجدار في يأسٍ قبل أن تتبدل
ملاح اليأس لتختفي فجلاً خلف جدارٍ من برودٍ وقسوةٍ رسمهما على
ملامحه في حزم :

"هل تميّز هذا الطفل ؟"

للمرة الثانية يجيب الممرض في تلثم :

"هذا الطفل الذي أتيت أنت معه"

بسخريةٍ لاذعةٍ هذه المرة أجابه شريف :

"عبقريّ ... يبدو أنك عبقريّ المصحة"

احمرّ وجه الممرض الشاب في خليطٍ من الخجل والغضب فأجابه
بصوتٍ خافتٍ تكسوه الحدة :

"ألم يرحل الفتى ورحل خلفه ... لماذا أتيتما مرةً أخرى"

غضب شريفٌ من جدّة الممرض فأجابه منفجراً :

"لأن الطفل يقبع في الغارج منذ ربع ساعةٍ أو يزيد , وأنتم هنا تنامون
أو تتكاسلون أو تلعبون أو لا أعلم ما الشيء الذي تقبضون رواتبيكم

من أجله , أخبرني هل تقبض راتيك لتترك مرضاك في الشارع يتجمعون

وكيف لي أن أعرف أنه يقبع بالخارج !!"

حسنًا ... هذه هي المرة الثانية التي تحدثني بها بأسلوب غير لائق ...
هل تعلم ماذا يعني هذا الأمر ؟؟"

"لا ... لا أعلم"

"يعني أن لديك مرة أخرى تخاطبي فيها بتبعج و سأعتقلك بهمة
التقصير في أداء مهامك الوظيفية والإهمال في رعاية مريض عندك
مما أدى لاقترابه من الموت"

تأمله الشاب بأعين مفتوحة دهشة قبل أن يشير لإحدى الممرضات
اللاتي تتابعن المشهد من بعيد , حضرت لتتناول السلة من يد شريف
الذي أخبرها بصوت لا يفتاسب مع طريقة حديثه الجافة مع الفتى :

"من فضلك أطعميه وأدفيه ... شكرًا لك"

بدل نظراته للشاب وسأله برفق هذه المرة :

"ألا تعمل الكاميرات المثبتة بالخارج ؟؟"

"نعمل ولكننا فعلاً لم نزال الحقيبة يا سيدي"

" حسنًا ... لقد وصلت لي رسالة نصيئة على هاتفي المحمول من رامي خاصي تخبرني بمكان الفتى ... من حسن الحظ أنني كنت قريبًا منه و إلا فالله وحده يعلم ما كان سيحدث له ! "

" حمدًا لله "

" ساذب في زيارة سريعة لمديري وسوف أحضر مرة أخرى لأتابع حالة الطفل ... من فضلك اهتم به ريثما أعود "

" حسنًا يا سيدي "

بطرقاب خفيفة طرق شريف باب مديره العقيد كامل منتظرًا إشارة الدخول لتأتيه أذن له العقيد بالدخول فدخل للمكتب وأغلق الباب خلفه وقف أمام مكتب المدير وشد قامته بقوة وهو يؤدي النجدة العسكرية بصرامة مما أدى لابتسام العقيد :

" صباح الخير يا شريف "

" صباح الخير يا سيدي "

" أي رباح طيبة أنت بك إلى هنا في مثل هذا الصباح البارد ؟ "

تنحج شريفٌ وهو يسعل بخجلٍ متفادياً نظرات مديره إليه ، تأمل ما خلف مكتب مديره ، تأمل علم مصر المرفوع على عمود معدني ، تأمل صورة الرئيس الحالي و الصورة المحاطة بإطارٍ ذهبيٍّ تحمل آيتان من الذكر الحكيم قراهما في سره فاطمان قلبه بصوتٍ خافتٍ وقورٍ أخبره:

"سيدي الأمر بخصوص الطفل أعلم أنني قد أخبرت سيادتكم بأن الأمر انتهى بتسليمه لقريبه ... ولكن الحقيقة أن قريبه قد احترق حتى الموت و إن كانت التقارير المبدئية القادمة من الطب الشرعي تنبئنا بأنه دُبح أولاً قبل الاحتراق و الطفل اختفى من تلك الشقة ، الأمر الغامض أنه حتى الآن رجال البحث الجنائي ورجال الطب الشرعي لم يعثروا على سبب الحريق!!"

صمت مديره مفكراً قبل أن يشير له بيده في صمتٍ أن يستكمل ، استكمل شريفٌ حكايته بصوتٍ خافت :

" هناك عدة ألغازٍ تواجهنا ، كيف دُبح قريبه و من ذبحه و أين سلاح الجريمة !! ... كيف رحل الطفل من الشقة ووصل إلى المصحة بمفرده الشهود أخبرونا أن هناك محامياً قد هبط من البناية لحظة احتراقها و أنه اختفى على الفور و يعمل بعض التحريات ثبت اختفاء المحامي نهائياً وكأنه تبخر!! ... الرسالة التي وصلت لي من رقم مجهول عجز حتى رجال الأمن الوطني عن تتبعه ، و آخرهم تلك الوريقة التي

وجدتها بجوار الطفل في السلة ... مذ يده بورقة تجعدت وابتلت ولكن
الخط واضح فيها والكلمات المخطوطة بخط قوي وجميل تظهر:

(السادة المختصون)

برجاء الحفاظ على الفتى هذه المرة فليس كل مرة يسلم الأمر.

(فاعل خير)

قرأ العقيد كامل الكلمات ببطء وهو يقول.

" هذا يجعل الأمر جلياً و يضعنا أمام خيار واحد ... هناك من يساعد
الفتى وبالطبع هو القاتل و المتسبب في الحريق إبحث عن هذا
المحامي جيداً "

"بعثنا يا سيدي ... والحقيقة أن لي رأياً في هذا الأمر

"تكلم يا شريف "

هل سمعت عن ظاهرة الاحتراق الذاتي !"

ماذا تقصد بهذا ... أوضح كلماتك "

أخرج شريف ورقة أخرى مكتوبة بخطه و يبدو أنها كُتبت في سرعة و تعجل ، أحكم فردها أمام عينيه و هو يقرأ منها بصوت واضح وإن شابه قليل من التردد و الخوف :

" الاحتراق الذاتي يا سيدي هي ظاهرة حيرت الكثير من العلماء على مر الزمان ، تعددت النظريات التي توضّح أسبابها ك (تناول كميات كبيرة من الخمور مما يؤدي لتشبع الجسد بالكحول و بالتالي يصبح أكثر عرضة للاحتراق) و (احتواء الجسد على نسبة عالية من الدهون) أو (محاولة الربط بين كهرباء الجسد الساكنة و حدوث نوع من توليد الطاقة الداخلية الكبيرة) و كلها نظريات تم رفضها و إثبات خطئها ، لدرجة أن السير آرثر سي كلارك الروائي و المخترع البريطاني الشهير علّق على تلك الظاهرة قائلاً : (هناك لغز واحد أسأل عنه أكثر من أي شيء آخر ، إنه الاحتراق الذاتي الذي يبدو في بعض الحالات تحدياً للواقع و تفسيره غير منطقي و يترك شعوراً مخيفاً) ، من المعروف أيضاً يا سيدي أن حالات الاحتراق الذاتي لا تصيب الأشخاص في حالات السكون أو الكمون و إنما في حالات الحركة فقط : هناك العديد من الحالات طفلة في لندن سكّير في فرنسا على مدار 300 سنة حدثت أكثر من مائتي حالة احتراق ذاتي ، بعضها تحول لرماد أمام أعين الشهود ، هناك كتاب شهير كتبه الكاتب الفرنسي يوناكس دوبونت يتحدث فيه بالتفصيل عن بعض حالات تلك الظاهرة "

قال العقيد بخموت :

"هل تريد ان تخبرني أن قريب الطفل احترق ذاتيًا الا وهل دُبح ذاتيًا و
بعث لك بالرسالة النصية و أرسل الطفل للمصحة ذاتيًا و أخفى
المحامي أيضًا ؟؟"

"بالطبع لا يا سيدي"

تهد العقيد بارتياح و هو يقول :

"اعتقدت أنك قد جننت"

"الطفل هو من فعل الباقي"

"تأكدت الآن من أنك قد جننت يا سيادة الرائد"

"إسمعتي فقط يا سيدي"

أمسك العقيد بقلم كان ينام على المكتب و تناول ورقة صغيرة وضعها
أمامه و أخذ يعبث بها القلم , استكمل شريف حديثه :

"أنت تعلم مثلي أن هذا الطفل شيطاني و أنا الآن أؤكد لك على حالة
الاستعواذ الشيطاني تلك ... سنفترض أنه مريضٌ بالتوحد , ربما كل
مرضى التوحد مستعوذٌ عليهم هذا الشيطان قد تحرر بناءً على
أوامر الطفل الذي أمره بذبح الرجل و ربما حرقه , حمل الطفل إلى
المصحة , أرسل لي تلك الرسالة , خطَّ الوريقة بخطه و عاد مرةً أخرى
لِيَتِمَّ استعواذه على ذلك الطفل أو أيًا كان ما يفعله"

"سنفترض معًا بشكلٍ جدليٍّ لا يحتمل الصِّعَة أن ما تقول صعبٌ -
أين المحامي ؟؟"

"المحامي هو الشيطان"

انفجر فيه العقيد

محامٍ شهير فاسد موجود على الكوكب منذ ثلاثين عامًا -
اختفى وأنت تخبرني أنه شيطان !

"لا أقصد هذا الأمر وإنما أقصد أن هذا المحامي استخدمه الشيطان
لغرضٍ ما و عندما انتهى من غرضه أخفاه أو أرسله إلى الجحيم أو
أحرقه أو أيًا كان"

"شريف كفاك هراء عمرو اقرب من التوصل لحقائق هامة في
قضية الزوجين الراحلين ، أمامك ثلاثة خيارات : أن تساعد عمرو ، أن
تتابع الطفل كما طلبت ، أن تأخذ أجازةً لترح أعصابك المرهقة"

وقف شريف يؤدي الخدمة العسكرية قبل أن يدور على كعبيه ويرحل
في صمت ، سأله العقيد بصوت عالٍ :

" إلى أين أيها الرائد ! "

" إلى المصحة "

خرج شريف من الغرفة و أغلق بابها خلفه و هو يرحل و لم ينتبه
للوريقة الصغيرة الموضوعة على مكتب العقيد و قد خطُ فيها بقلمه
جملتين متجاورتين لا يفصل بينهما سوى علامة ترقيم صغيرة :

(الاحتراق الذاتي - الاستحواذ الشيطاني)

أدرك بهاء من الباب المعدني للمخزن و أغلقه خلفه في سرعة بعد أن
تسللت بضغ كريات من الثلج لداخل المخزن كان يحمل حقيبة
جلدية في يده تحتى بردًا داخل قفاز صوفي. يغطي نصف وجهه ورقبته
بشال صوفي ثقيل و يرتدي قلنسوة تقيه شر البرد , مشى حتى نصف
المخزن و وضع الحقيبة من يده و خلع قفازه , وضعهما بجوار الحقيبة
و فرك يديه ببعضهما البعض مناجاة للدفع , لمح شادو كلبه العزيز
يأتي إليه كبر شادو و لم يعد مجرد جرو صغير و كبر بهاء و لم يعد
طفلًا , أصبح شابًا على حافة العشرين من عمره , بجسد قوي و قامه
مشدودة , منكبين عريضين و معدة صلبة , شارب سميكة يزيد وسامته
يعلو شفتيه , شعر طويل أملس و عينان بنيتان , مرت السنوات على
بهاء لتعيد تربيته : أتى شادو إليه ركضًا و وقف على قامتيه الخلفيتين
و هو يحتضنه و يلحق وجهه للحظات قبل أن يهبط و يتكور على نفسه
أسفل قدميه , انحنى بهاء جالسًا على ركبته و هو يُمشي يده برفق و
حنان على جسد شادو و هو يخاطبه بصوت لتي حنون :

" اعلم أنك غاضبٌ مني ... ولكي لم أستطع أن أخذك معي وأنز
مرضى ... الجوّ في الخارج صقيع ! "

سمع صوت باب القبو يُفتح ، لم تمر لحظاتٍ حتى ظهر الزعيم ومن
خلفه رجلاه ، ابتسم الجميع عندما رأوا بهاء ، صفّق له الأشقر في مر
بينما ابتسم الأسمر و التمعت عينا القائد في رضا ، تناول الحقيبة وهو
يُبعد القفاز للخلف قليلاً و يفتح الحقيبة تأمل العملات الورقية
المتراصة بجانب بعضها البعض قبل أن يتناول منها رزمتين و يعطيها
ليها ، تناولهما بهاء و برضا و قنوع قبل أن يشير القائد للأسمر الذي فهم
إشارته فأحضر كرسيين و زجاجةً من الخمر ، اعتنر بهاء عن الشرب
بينما صبّ القائد لنفسه كوباً صغيراً جلسا متقابلين ابتسم
القائد وتحدّث بصوتٍ فخور :

" اليوم أعلنك رسمياً رجلاً لا يستهان به ، اليوم كانت مهمتك الفردية
الأولى و أنتمتها بنجاح ... اليوم أعلن أنك رجلٌ تستحق الاحترام ... منذ
عرفتك لم تخطئ سوى مرة واحدة ... أتذكركم ؟؟ "

احمرّ وجه بهاء بخجلٍ و نكس رأسه يتأمل حذاءه الجلديّ الأسود ، تابع
القائد كلماته :

" الفتاة الصغيرة ... التي صبغت أن نُحضرها ... تتذكرها بالطبع ... هل
تتذكر ما فعلت بنا ؟؟ بك تحديداً "

مزجها رأسه دلالةً على تذكره ولكن القائد تابع :

"أخبرتكَ منذ اليوم الأول ألا تتعلّق بأحد ولكنك تعلّقتَ بها , أحضرتها
هنا واهتممتَ بها ورعيتها وأطعمتها وماذا كانت مكافأتكَ ؟؟
تستيقظ في الصباح لتجدها قد سرقت أموالك وطعامك ومهرت "
أجاب بهاء بصوتٍ خافت :

" ومن يومها تعلّمت ألا أثق في أحدٍ حتى أنت "

أنهى كلماته وهو يمدّ يده بحركةٍ سريعةٍ لينتزع سكينًا كان يحمله
القائد ويقربه منه بخفّةٍ من أسفل المنضدة , قهقه القائد بقوةٍ وهو
يقول :

" أحسنت يا صغيري ... أحسنت "

تساءل بهاء بصوتٍ خافت :

" ألا ترى أن تذكيري بعثرتي الوحيدة يوم نجاحي الأول أمرٌ غريب "

" بالعكس ... تذكيرك بأخطائك وزلاتك في خضمّ نجاحك أمرٌ مهم
كي لا يتلبسك النجاح لتظن أنك الذي لا يقهر وهذه هي بداية النهاية
ظالمًا فشلك أمام عينيك لم تنسه ستنجح إذا وضعت نجاحك
نصب عينيك ستسقط "

هز بهاء رأسه متفهّماً , شرب القائد كأسه الثالث و احمر وجهه نتيجة جريان الكحول في دمانه , حمل القائد حقيبته و هبط للقبو وحيداً , تبادل الثلاثة رجال النظرات فهم يعلمون جيداً أنه سيهبط لكي يضع النقود في الخزانة المعدنية الصغيرة ذات الرتاج الإلكتروني الحديث الذي يقول الخبراء أنه لا يُقهر؛ مرّت دقائق و صعد القائد ليجلس وسطهم , سعل بقوة ليلفت انتباههم التام , تحوّلت النظرات لتحيط به و التفتّ حوله الأعين , حتى شادو وقف بنأهٍ و هو ينظر تجاهه , خجل بهاء أن يكون جالساً و زميله واقفان , حاول الوقوف إلا أن الأشقر وضع يده على كتفه في إشارة أنه لا داعٍ لذلك , انتبه الجميع بينما بدأ القائد كلماته :

اليوم سنبدأ التخطيط لعمليةٍ مهمّة ربما تكون أهمّ و أكبر عملياتنا ... لن تكون في تجارة الأعضاء ... الأمر مختلفٌ تماماً ... بالطبع تعلمون أن هنري - مشيراً بيده للأسمر - هو من اقترح علينا تلك المهمة و أقنعتني بربحها الضخم ... قررت المجازفة - متجاهلاً ابتسامة هنري - المهمة هذه المرة تدور في مجال المخدرات ذلك المخدر الجديد (الذبابة المجنونة) حباتٌ حمراء نارية صغيرة تُضيع العقل و ترفع مستوى الأدرينالين في الدم ... تجعلك تعيش مغامرةً في خيالك ... ربما في جسدك ... ربما في جسدٍ آخر ... ربما في جسد كائنٍ آخر غير البشر ... سنتولى توزيعها هنا في تلك الدولة ... لن أخفيكم

سرًا أنني سأضع كافة نقودي في تلك المهمة لذلك أخبركم بهاء . هنري و
ماثيو إذا فشلت المهمة لأي سبب من الأفضل ألا أراكم "

تحدث بهاء بصوت خجول :

"مأصطحب شادو معنا "

" للمرة الثانية يا بهاء تتعلق بكاتب ما ... بهاء من فضلك

" من فضلك سيدي ... شادو هو صديقي وأخي ولا اعتبره حيوانًا أليفًا
وأنت تعلم أنه الآن في شيخوخته وأفضل ألا أتركه وحيدًا "

مطّ القائد شفّتيه في عدم اقتناع وهو يهزّ رأسه في إشارة أن الأمر لا
يعنيه , فلتصطحب معك من أردت طالما ستتم المهمة على خير وجه :
نظر بهاء لشادو الذي بادله النظر في امتنان كما لو أنه يقهم ما حدث ,
ارتفع صوت القائد وهو يقول :

" هل فهم الجميع ؟؟ "

هزّ الجميع رأسهم بفهم , نظر لهم برضا وهو يقول بصوت حنون كما
لو أنهم أبناءه :

" بهاء و هنري سيعملان النقود ... ماثيو أنت المسؤول عن التفاوض "

رفع هنري يده وهو يقول :

"سيدي ... هل لي أن اقترح اقتراحاً "

"تكلم يا هنري ... كلّي أذان صاغية "

"من الأفضل أن يظلّ ماثيو مسؤولاً عن التفاوض بينما أكون أنا مسؤولاً عن النقود وبهاء مسؤولاً عن تأميننا دخولاً وخروجاً "

نظر له القائد بنمكالٍ للحظةٍ قبل أن يهزّ رأسه موافقاً و قد بدأ الخمر يعثب بيدٍ فوضويةٍ في عقله , هزّ الجميع رؤوسهم في اتفاقٍ قبل أن يعطيم القائد إشارة الرحيل , ذهب الجميع للنوم استعداداً ليوم صعبٍ و طويلٍ في الغد , أشار بهاء لشادو بيده فتبعه إلى ركنه الدافئ ليناما سونيا

وقف شريفٌ في المصحّة يتابع بعينيه إجراءات تسليم الطفل للأسرة الصغيرة التي حضرت لاستلامه أسرةٌ يبدو من مظهر أفرادها أنهم ينتمون للطبقة التي تكاد تنقرض , الطبقة المتوسطة

رجلٌ أربعينيٌّ بدينٌ أصلع الرأس يطوّق رأسه من الجانبين بواقٍ شعرٍ خفيفٍ أشعث , يحمل وجهًا مألوفًا و ملامح عادية , وجهٌ مصريٌّ تقابله يوميًا أثناء حركتك فلا تتذكره , صفرةٌ أسنانه عقابًا له على جريمة التدخين تظهر جليلة , بجواره سيدةٌ يغلب عليها طابع البدانة , تختفي بداخا عباءةٌ سوداء اللون واسعة تخفي تضاريسها , و ترتدي حجابًا

بسيطاً تعرض على ألا تخرج منه شعيراتها التي تظهر فيها حمرة الحناء
تخضب الشعيرات التي فرت من سواد الشقاء لايبيضاض اليأس ،
وجهاً بسيطاً لا يحمل أثاراً لجمال زائل ولا تغطي ثناياه ممتعضرات
تجميلية ، فتاةً عشرينيةً مهمكةً في العبث بهاتف جوال تصدر منه
أصوات الرسائل الجديدة التي تصل لها على تطبيق التواصل الشهير "
واتس أ " تارةً تضحك وتارةً تبتسم في ولّه وتارةً تالفة تنجهم
ملاحها وهي لا تفارق السطور الإلكترونية محبوسةً في سجن
إلكتروني ، تظن أنها حرة إلا أن قيوده تكبلها وبعنف لتفرقها بين مياه
التكنولوجيا بعيداً عن جزر الحياة الطبيعية ، فتى صغير لا يتجاوز
السنوات العشر يقف بجوار أمه بأنف سائل ، لا يلبث أن يسمح أنفه
بكم قميصه الذي أنت به أمه أوسع من مقاسه كي يعيش معه أطول
فترة ممكنة ، وباليد الأخرى يتشبث في ملابس أمه وكأنه يخشى عليها
أن تضع ظهره على وجه الرجل الضيق عندما انتهى من الإمضاء
الأخير وحمل الطفل الذي صرخ بقوة لافئاً نظراً المصحة بأكملها
للضيف الجديد وأسرت المتواضعة ، اقترب شريف من الأسرة وهو
يجذب الهاتف من يد الفتاة التي احتجّت بصوت مكتوم عندما رأت
نظراته الصارمة بينما أعطى الصغير منديلاً يرحم كفه قليلاً وأعطى
الهاتف لأمها التي تأملت لبرهة قبل أن تفتح حقيبتها وتضع الهاتف
بداخلها ، احتجّت الفتاة :

" أمي !! "

أجابها أمها بصرامة :

" أصمتي ! "

مد شريف يده للرجل المنهمك في الحدّ من حركة الطفل و معاولة السيطرة على صراخه ولكنه لم يزد الأمر إلا سوءاً , مدّ شريف يده , تناول الطفل ووضع بهجواره على منصة الاستقبال بجوار الأوراق التي انتهى الرجل من تذييلها بتوقيعه فصمت الطفل و انهمك في النظر للحائط بلا هدف محدّد , مدّ شريف يده مرّة أخرى وهو يصافح الرجل معرّفاً إياه بنفسه :

" الرائد شريف ... المسؤول عن حالة الطفل ... هناك عدة ملحوظات يجب أن تعلمها "

أجاب الرجل بكثير من الضيق و هو يتأمل الحائط الذي ينظر له الطفل محاولاً اكتشاف سرّ اهتمامه بهذا الحائط :

" أعلم ... الطفل متوحد , تشكّون في حالة استغلال شيطاني أظنّ و هناك الكثير من التكهّنات الحمقاء تدور حوله بلا أدلة منطقية , الشخص الذي رعاه قبلي توفيّ محترقاً مذبوخاً , لا أخفيك سرّاً أنا لا أرغب به و إذا حدث أي شيء يثير الريبة و الشكّ عندي فسأعيده إلى هنا ... أنا تسلّمتته كي لا تطاردني صحوة الضمير , فعلت ما عليّ عليه على ضميري "

أجابهُ شريف :

"استحواذ وليس استغلال"

"لا يهمني المهم أنني سأحضره عند أول بادرة جنون. و سأخلي مسؤوليتي التامة عنه"

هزّ شريف رأسه و هو يعطيه كارتًا شخصيًا يحمل رتبته و اسمه الثلاثي ورقم هاتفه الشخصي :

"أرجو أن تشرفني بمكالمةٍ إذا جدّ أي جديد"

هزّ رأسه بالموافقة و همّ بالرحيل استدار شريف ورحل حتى أوقفه اء صغيرٌ من السيدة :

"سيادة الرائد ... لي شقيقةٌ تريد أن نحج على نفقة الدولة أنت تعلم ضيق اليد و قلة النقود ... ألا

قاطعها شريف برفق و هو يخرج وريقة صغيرة و قلم من جيبه :

"أعطني اسمها يا سيدتي و سأرى ما يمكن فعله"

أثقلت اسمها و هي تمطره بوابلٍ من دعواتٍ بصوتٍ فرح و ما إن استدارت و رحلت حتى ألقى بالورقة في أقرب سلة مهملاتٍ باستهتار و

هو يراقب الطفل الصارخ المهكم في الحركة المعترضة و هو يبتعد مع أسرته الجديدة.

~~~~~

أدار الرجل مفتاح شقته في قفلها وهو يفتح الباب الذي احتج بصريه خافت ، دخل إلى الشقة متجاهلاً صراخ الطفل ، دخل أفراد أسرته الصغيرة من خلفه أغلقوا الباب و هو يضغط بيده على قابس الإضاءة لتتألق الشقة بضوء أبيض واضح يكشف الموجودات ، شقة صغيرة الحجم ، كثيرة الأثاث مزدحمة بأشياء لا نفع لها ولكن وجودها في البيوت أصبح ضرورة ، كراسي ضخمة تجلس متجاورة أمام باب الشقة عليها بضع قطع ملابس يبدو أنها مستعملة : نظرت الأم لابنتها و هي تقول :

" من فضلك يا لمياء ... أزيل تلك الملابس وضعها في الحمام

صاغرة أجابت لمياء نداءها فهاتفها لا يزال أسيراً عندها ، خرجت من الحمام تمد يدها أمامها فهيمت أمها الأمر ، أعطتها هاتفها وهي تقول لها :

"كالعادة سأعتبر أن لا ابنة لي وسأجهز طعام العشاء بمفردي

لم ترد الفتاة فقد كانت منهمكة في متابعة ما فاتها صمت الطفل قليلاً عندما وضعه الرجل على أحد المقاعد بدّل الرجل ملابسه

بسرعة و خرج يجلس أمام الطفل الذي هرب بعينه اتقاء لشر لقاء  
أعين لا يريد أن يتم ، ابتسم الرجل و هو يقرب يده من شعر الطفل  
بابتسامة خافته ، بمجرد أن لمس شعره احتجّ الطفل بخفوت و هو  
مستمرّ في عض إصبعه ، بصوت عالٍ نادى الرجل على زوجته :

"عفاف ... من فضلك جهّزي طعامًا للطفل يبدو أنه جائع "

ابتسمت أثناء عملها في المطبخ و لم ترد ، الطفل الصغير جلس أمام  
شاشة التلفاز متجاهلاً ما يحدث حوله أسيرًا لأحد أفلام الأطفال التي  
تغلب لبه دائمًا : خاطب الرجل الطفل بصوتٍ حنون :

" أعلم أنك تعاني من مرض التوحد و على حد معلوماتي هو مرضٌ لا  
علاج له حتى الآن ... لن أخفيك سرًا لا أستطيع أن أحتفظ بك هنا  
كثيرًا ... الإرث يا صغيري هو السبب في الاحتفاظ بك ... لئلا قد شبت و  
أصبحت عروسًا و أنا لا أقوى على مصاريف زواجها لا تعزني يا  
صغيري فإن فرج الله قريب

أنهى كلماته متابعًا الصغير الذي استمرّ في النظر للجهة الأخرى  
سرعان ما التّم شمل الأسرة على منضدة الطعام ، تناول الجميع طعام  
العشاء بسرعة و كلٌّ منهما يفكر في أمرٍ بعيدٍ عن تفكير الآخرين : انتهت  
عفاف من إتمام أسرتها و تأكدت أنهم يأكلون في نهم و ذهبت لكي  
تُطعم الطفل ، كان الطفل يبدو عليه الجوع الشديد ، وسط صرخاتٍ و  
حركاتٍ مضطربة و محاولاتٍ منه للهجوم على أطباق الطعام بشهية

مفتوحة ، استمرت في رد هجماته بهدوء وهي تلاحظ أن وجهه أَسْخ و يدها وملايمه فقدت نظافتها ، لم تياس ، قاومت وسط الصرخات وهي تحاول مرة تلو الأخرى ألا تفقد أعصابها ، تأكدت عفاف من أن الطفل التهم طعامه برغم المجهود الشاق الذي بذلته ، تأكدت من نظافته الشخصية وسط حركته المضطربة ، وضعته في فراش صغير جهزته له على عجل بهدوء و تأكدت من تدفنته بغطاء صغير ودلفت إلى غرفتها بعد أن تأكدت أن أضواء الشقة كلها مطفأة ، كان الطفل متعباً للغاية فسقط في دوامة من نوم عميق على الفور ، غرقت الشقة في ظلام دامس و ساد الصمت ، سويحات قليلة مرت و ارتفع صوت تنفس أعضاء الأسرة دلالة على ذهابهم في رحلة خيالية بين ضفاف النوم .

استيقظ الطفل في نشاط غير مبرر ، يبدو أن طعامه احتوى على قدر كافٍ من السكريات ، هبط من فراشه متجاهلاً الغطاء الذي وقع أرضاً ، تحرّز منه في حركة سريعة وهو يمشي ببطء في الممر الصغير الذي يصل الصالة بالمطبخ لفت نظره الصوت الخافت الذي تُصدره الثلاجة ، زحف بجوارها فوجد مجموعة من القدور ترقد أرضاً بلا حراك ، زحف إليها وبصوت خافت أصدر صيحة فرحة . أمسك بأولها و وضعه أرضاً برقي أمسك بالقدر الثاني محاولاً وضعه فوق الأول إلا أنه كان أصغر منه ، وضعه أرضاً و أمسك الأول و وضعه فوقه فغطاه تماماً ، صفق بجذلي وهو يتناول الثالث إلا أن كان أكبر من قدرته على حمله ، حاول مرة تلو الأخرى بلا يأس ظهر فجأة على باب المطبخ و

كأنما نبتت من العدم ... طيفٌ أسود اللون بطن الحركة بشكلٍ ملفتٍ ،  
 ببطءٍ تحرك الطيف الأسود حتى وصل إلى الطفل تأمله لفترةٍ في  
 صمتٍ ، يبدو أن الطفل شعر به فاعتدل بهدوءٍ وهو يهرب بعينه ، بدأ  
 الطفل يهتز في توترٍ ولكن بدون صوتٍ ، للحظةٍ توقف الزمن بين هزات  
 الطفل المتكررة و صمت الطيف ، سوادٌ يغطيه من رأسه لأخمص  
 قدميه : مذ الطيف يده يهدوء حتى لمس بها رأس الطفل متوقعاً أن  
 يصيبه الهياج وسط نوبةٍ من البكاء أو أن يصمت الطفل و يتجاهله  
 تماماً ، أمسك الطفل بيده و حركها نحو القدر الثالث يريد أن يحمله  
 عنه ، أمسك الطيف القدر و ساعد الطفل في وضعه فوق شقيقه  
 ليعطيهما و كأنه يحيطهما بحمايته ، للمرة الأولى يوجه الطفل نظراته  
 لشيءٍ يحمله الطيف بين يديه ، التمتع عينا الطفل بحماسٍ ، تحرك  
 الطيف ببطءٍ و هدوءٍ فتبعه الطفل في مشيةٍ متعثرةٍ ، وصلاً إلى فراش  
 الطفل ، رفع الطيف يده و هو يشير للفراش ، وقف الطفل و هو يرفع  
 جسده و يحاول تسلق الفراش الصغير مرةً تلو الأخرى ، تكللت جهوده  
 بنجاحٍ ، جلس الطفل محافظاً على حركته النمطية التي لا يتغلى عنها ،  
 يهتز بجسده بقوةٍ للأمام و الخلف بلا كلل ، وضع الطيف شيئاً ما بجوار  
 الطفل ، ظهرت علامات الفرحه على وجه الطفل الذي حرك جسده  
 سعادةً و كأنه يقفز فرحاً ، انهمك الطفل في نشاطٍ حردس ذلك الطيف  
 لى إخفائه : في صمتٍ انتهى الطفل فمدّ الطيف يده ليمتناول شيئاً ما  
 شعر بحركةٍ خافتةٍ من خلفه ، نظر فوجد الصغير يقف على باب

غرفته يرتدي ملابس نومه و يضغط على عينيه و هو يتأهب قبل أن تنلأق اعينهما . سأله الصغير بخوف :

" من أنت ؟؟ و ماذا تفعل هنا ؟؟ "

تجاهله الطيف تمامًا و هو يمشي بهدوء تجاه باب الشقة . فتح بابها و خرج متجاهلاً نداءات الصبي لأبيه في خوف تاركاً الباب مفتوحاً في استهتار . استجاب الأب لنداءات ابنه و وقف يستمع له باهتمام قبل أن يدخل غرفته متناولاً عصا خشبية ضخمة و راکضاً إلى السلم . هبط درجات السلم في وثبات صغيرة قبل أن يصل لباب العقار المغلق بإحكام . نظر له بدهشة قبل أن يصعد مراجعاً كل النوافذ المغلقة بإحكام . اختفى ذلك الطيف ... اختفى تمامًا !!

صعد للشقة مرة أخرى و دخل إليها مغلقاً بابها في إحكام . فتح ضوء الشقة ليغمرها الضوء الأبيض للحظات قبل أن تردد جدران الشقة صرخته التي تغلّت عن كثير من ذكوريها و هو يصرخ برعب لا مثيل له!

\*\*\*\*\*

دخل شريف إلى المصحة في سرعة و نوترو هو يرتجف من شدة البرد . توقف للحظة و هو يتجول بعينيه بتابع الحركة الغريبة التي تحدث في المصحة . أمام منصة الاستقبال يضع الطفل يديه على أذنيه في قوة و

هو عذر بعنقب كأول مرة وجده شريف ، يغلّق عينيه و يهتز بسرعة  
نفوق أيّ مرة رآه فيها الرجل يذبل بعض وريقات بتوقيعه بيد  
يفتنسها الارتجاف بمجرد أن رأى الرجل شريف ترك كل الأوراق و  
ذهب إليه ، قال له بصوت مرتعش متوتر :

"الطفل عندكم ... أخلي مسؤوليتي من هذا الأمر تمامًا ... اعتبر أنه  
ليس له أقرباء "

طمأنه شريف ببرقة حانية على كتفه و هو يقول :

" ما الأمر ... إهدأ ! "

أدار الرجل وجهه في قوة و هو يجذبه بعيدًا عن مرأى زوجته التي  
جلست على مقعد تحتضن صغيرها المجيش في بكاء لا يستطيع إسكاته  
أي شيء ، حتى لو كان حضن أمه و الفتاة الشابة صفراء الوجه زائغة  
العينين ، هناك أمر جللٌ سطا على تركيزهم ، تبعه بخدلات متمهلة و  
هو يراقب الفرع الذي يتقافز بين محاجر العيون ، وقف ، كلاهما خلف  
حائط يخفضهما عن الأعين قبل أن ينحني الرجل على يد شريف و  
يقبلها و هو يبكي :

" من فضلك ... من فضلك خلصنا منه "

مسحب شريف بده في عنف، وكان كهراة ممتهأ وهو يمسخ دمعآت  
الرجل الة تسآقطت من خريف عينة في ملآبسه وهو برئت عليه مرة  
أخرى :

" إهدأ يا رجل ... إهدأ "

أرتجف جسد الرجل بقوة وهو يقص على شريف كل مآ حدث بصوت  
متهدج تقاطعه عواصف من دمع وأعاصير قهر لتغزو روحه ، وصل  
بعدينه حتى صعد لشقته :

" و صعدت إلى الشقة أرتجف وأنا أمسك العصآ الخشبية بإحكام ...  
لأن ذبآة ظهرت لمزقتها ... آاولت أ أخفي خوفي عن أعين أسرتي و  
لكن كيف لي !! الشبح آخفي يا سيدي الباب مغلق والنوافذ  
محكمة الإغلاق وضعت العصآ برفقي أرضآ و أنا آأمل طفلي  
المرتجف ذو الأعين المحمرة بكآء وزوجتي الة نحتضنآ ، بعدم فهم  
ضغطت زر الإضاءة فأنى الضوء لينير الغرفة "

تهذج صوته بقوة و سعل مرتين ، تركه شريف يستجمع شتآت نفسه و  
خرج للغرفة من الخارج ، ملآكوب مآء بارد من مزء ميه يقف بصمت  
يرآقب مآ يحدث ، عاد إليه و نآوله الكوب ، شرب الرجل و سعل مرة  
آخيرة . أ يتحدث مرة أخرى :

"بمجرد أن أضاءت الغرفة لفنت نظري حركة الطفل الغير منتظمة  
عكس العادة بمجرد أن نظرت له حتى وجدت .... وجدت وجهه و  
أسنانه بل وبديه أيضاً مليئةً بالدماء ... قالت زوجتي أنها مريى فراولة  
ولكن هل تتخيل صدمتي ... حتى لو اكتشفت أنها مريى فراولة ... هل  
كنت لأعيش معه مرةً أخرى بعد ذلك ... ثم من أين أتى بتلك المريى و  
البيت كله لا يوجد فيه قطرة مريى من أي نوع"

نظر له شريف بصمتٍ مشجعاً إياه أن يستمر :

"الآن يا سيدي أنا لا أعرف من أين أتى بالمريى التي حتى لم أجد قِدرًا  
فارغاً لها ... من هو ذلك الشبح ؟؟ كيف دخل وكيف رحل ولماذا  
يهتم بالصبي الأمر الآخر أنني دخلت للمطبخ لأحضّر كوبًا من الماء  
فوجدت قدور المطبخ المعدنية تتراص فوق بعضها البعض وقد ابتلع  
كل منهم القدر الأصغر منه ... بلا تفسير ... بلا سبب ... سيدي ا"

أجابه شريف : "ماذا بك يا رجل ... تماسك !"

"سيدي ... أنا أخشى هذا الفتى ... كنت تشك أنه مستحوذٌ عليه وها  
أنا أؤكد لك تلك المعلومة ... هذا الطفل غير طبيعي"

نظر شريف للطفل نظرةً طويلةً لا تحمل سوى معنى واحد ... ماذا  
بعدا

\*\*\*\*\*



أسر التوتر نفوسهم و هم يقتربون من المكان الذي ستتم فيه عملية التبادل , بهاء كان يتقدمهم بشجاعة مخفياً توتره خلف ستار من الجسارة و هنري يمسك جيداً بحقيبتي النقود أما ماثيو الأشقر فكان يمشي محاولاً إخفاء رجفة تنتابه من حين لآخر , عميلٌ جديد في مكان جديد و سلعةٌ جديدة !

وصلوا للمكان و دلفوا إليه , الغرب في الأمر أن المكان كان يشبه لعبٍ كبير جدّاً مقرهم , مخزّنٌ كبيرٌ ذو جدرانٍ معدنيةٍ حمراء اللون , أرضيةٌ خالية , سقفه مغطى بشبكةٍ من المواسير التي لا فائدة منها يقف بجوارها مصباحان أو ثلاثة بلا فائدةٍ ترحى منهم سوى إضاءة نوعٍ من الضوء الصناعي على المكان , كانت الإشارة هذه المرة تقتضي أن يقف ماثيو وحيداً في وسط المكان فيما يتراجع بهاء و هنري للخلف قليلاً بينما يتحدث ماثيو بكلماتٍ قد تبدو لسامعها أنها كلماتٌ عاديةٌ بينما هي شفرةٌ من نوعٍ خاص :

" ها أنا ذا ! قد حضرتُ طالباً عفوك و غفرانك !! "

الصمت يفرض بدأً من حديدٍ على المكان , للمرة الثانية وقف ماثيو و قد ارتفع صوته :

" ها أنا ذا ! قد حضرتُ طالباً عفوك و غفرانك !! "

لحظات قليلة مرت وانتبه الجميع إلى صوت خافت ، ظهر رجلان أبيضاً  
البشرة طولاً الشعر منسقيهم ، أحدهما يرتدي نظارة طبية وساعة  
يبدو أنها باهظة الثمن يبدو أن الزعيم ها هنا بينما الآخر تظهر  
عضلاته جليئة من تحت بذته جيدة الصنع ففهم الجميع أنه تابعه ،  
سمعت ماثيو بينما تهللت أسارير هنري لمراه ، تحدث الرجل ذو النظارة  
الطبية وهو يلمسها في هدوء :

" الغفران ليس لنا بل للإله ... قد حضرت طالباً عفوك ورضاك هي  
كلمة السر المنشودة "

ابتسم ماثيو في إحراج ، يبدو أنه نسي كلمة السر بسبب التوتر الذي  
تلبسه ، مد يده ليصافح الرجل إلا أن الرجل نظر له لبرهة قبل أن يمد  
يده مصافحاً إياه ، لم يهتم ماثيو فالأمر لا يهمه بالشكل الكافي ، تقدم  
الرجل ليراقب هنري وبهاء اللذان كانا يقفان بصمت ، وقف أمام بهاء و  
هو يقول :

" أنا الآن أعرف هنري وأعرف ذلك المتلعثم هناك ... من تكون ؟ "

تحدث بهاء بصوت واثق وهو ينظر في عينيه :

" أنا بهاء ! "

ردّد الرجل الاسم بهدوء :

" بهاء !! يبدو أنك فتى صُلب

ابتسم بهاء و لم يردّ. حتّى الرجل هنري برأسه في تودّج وهو يقول له :

" كيف حالك هنري "

" على خير ما يرام سيدي "

عاد الرجل بخطوات سريعة ليقف جوار تابعه قبل أن يمدّ يديه إلى ماثيو طالبًا حقائب النقود , أشار ماثيو لأنهم لا يحملون حقيبة ا

ابتسم الرجل وقال :

" إنه أول تعاملٍ عزيزي ... بالطبع لن ترى سلعتنا قبل أن نرى نقودك ... تذكّر أنك من نحتاجنا "

كظم ماثيو غيظه وهو ينظر للخلف تجاه هنري و بهاء و رأى الرقص في عينيهما , نظر للرجل مرّة أخرى وهو يقول له

" سيدي ... سامحتي ... ليس هكذا تتمّ الأمور

هزّ الرجل رأسه في تفهّم و مَدّ يده إلى ظهره لينتزع مسدسًا قد أخفاه بعناية بين بنطاله و ظهره , رفعه في وجه ماثيو , توتّرت الأجواء تمامًا , شياطين الغضب تلبّست جسد بهاء و هنري و لكنهما كانا غير مسلّحين , الوحيد المسلّح بينهم هو ماثيو , رفع ماثيو يديه في بطءٍ للأعلى في إشارة

للاستسلام ... فجأةً أبتعد ماثيو عن مسار المسدس وهو ينحني بسرعة  
ويتدحرج بجسده أرضاً ليُخرج مسدساً صغيراً كان يخفيه في جوربه ,  
وقف وهو يضع المسدس في جانب رأس الرجل ويترك الفوهة المعدنية  
تنبّله بشبق , ابتسم الرجل وهو يقول :

" أعجبني فيك سرعتك ... يبدو أنك مدربٌ على نحوٍ جيد "

لم يدرك ماثيو وهنري سبب ابتسامة الرجل لوهلةٍ قبل أن يلاحظا  
المسدس الذي أخرجه تابعه ليضعه على رأس ماثيو الذي رفع يديه في  
استسلام وهو يلقي مسدسه أرضاً حافظ الرجل على ابتسامته وهو  
يقول بصوت مُشجّع :

" حسناً فعلت ... من فضلك الآن فلتذهب لزملائك لتحضّر لنا تلك  
العقائب ... نريد أن نرحل

نظر ماثيو فرأى الفرع في أعين هنري الذي أحكم قبضته على  
العقائب , غمز له ماثيو بعينه دون أن يراه أحد ففهم أنه لا يزال في  
جعبته أمراً أخيراً , اقترب ماثيو بخطواتٍ بطيئةٍ وهو يرفع يديه للأعلى و  
لدهشتم تحرك خلفه التابع الضخم وهو يحافظ على فوهة المسدس  
قريبةً من رأسه , وصل ماثيو أمامهما و أنزل يديه في حقّة ليتناول  
الحقيبة بينما يده الأخرى تتسلل بخفةٍ قطعاً إلى صدره لتختطف  
بسرعة البرق مسدساً صغيراً كان قد أخفاه بعناية , رفع المسدس وهو  
يلتف بسرعةٍ ليوافجه التابع الذي يادله النظرات للحظة , نظر ماثيو

إلى هنري و بهاء ، ابتساماً ساخرة ترتسم على وجهه و هو يعتدل مسار  
مسدسه ليواجه رأس بهاء بينما التابع صوب فوهته إلى هنري  
تحدث ماثيو بصوتٍ مرح

"سامعاني !"

اتسعت أعين بهاء و هنري في فزعٍ بينما تغلى هنري عن حقائبه و هو  
ينظر لـماثيو بدهشةٍ مصحوبةٍ برجفةٍ خفيفةٍ من الانفعال ، أخيراً تحدث  
بهاء :

"أنت يا ماثيو !"

"نعم أنا يا صغير

تحدث هنري بصوتٍ أجشٍ مكتوم

"لماذا ؟؟"

"لماذا !! ... أنا في خدمة القائد منذ عشرين عامًا ... عشرون عامًا أنا  
فيها ذراعه اليمنى و الآن يأتي فتي لا نعلم أصله ليصبح ذراعه اليمنى و  
أنا مجرد تابع له !! ... هل يرضيك الأمر ؟؟ ... بل هل يرضي أي شخصٍ  
طبيعي ... أفني عمري في خدمة شخصٍ ما ليلقيني كمزديل و رقي انتهى  
من استعماله ... شعورٌ سقيمٌ أن تشعر أنك بلا فائدةٍ في حياة شخصٍ  
ما "

احمزه بهاء و صاخ بغضب :

"ربما لو أنك جيد بما فيه الكفاية لما تم إلقاؤك تحت الأقدام"

صرخ ماثيو بغضبٍ وقد بدأت عيناه تدمعان من شدة ما يعمل في نفسه :

"إحذرا إحذرا!ها الوغد وراقب من منّا يحمل السلاح

صمت بهاء في غضبٍ و هو لا يقوى على النطق بكلمة , وقف ماثيو مصوبًا مسدسه إلى رأس بهاء بينما أعطاه التابع المسدس الآخر لبصوبه لرأس هنري , حمل الحقيبتين و مشى ببطءٍ إلى سيده الجديد ليفتحنهما أمامه , تأمل سيده النقود بشراهةٍ قبل أن يسأل ماثيو بصوتٍ عالي: "هل هذه كل ما يملك يا ماثيو ؟؟ "

"أجل يا سيدي"

تحدث هنري بتساؤل :

"ولكن لماذا ؟؟ لماذا تعرف علي"

"فانذكم ليس غيبًا عزيزي هنري ... لو أتى الأمر من ناحيتي أنا لشكّ في الأمر ... كان يجب أن يأتي الأمر من ناحيتك و لهذا جلست معك و اقترحت عليك أن تكون مسؤولًا عن الحقائق لدراء أيّ شبهةٍ تحوم حولي

أعطاه القائد إشارة فقال لهما بصوت منخفض :

" سامعاني "

مضى بظهره حتى وصل للرجلين و هو لا يزال يحافظ على قوهمته مصوبةً لهما يطل منها شبح الموت الجائع لحصاد الأرواح , تحدث معه الرجلان بهمسٍ و هما ينتعدان لخطواتٍ للخلف , ابتسم ماثيو بصرارة و هو يقول لهما بصوت عالٍ :

" أسف يا رفاق ... لقد صدر حكم الإعدام "

\*\*\*\*\*

جلس شريفٌ في مكتب مدير المصلحة يتأمل الفتاة التي تجلس أمامه بهدوء , عيناه تتفحصها برفق , يبحث عن إشارة أو دلالةٍ تنبهه لأمر غاب عنه , فتاةٌ شابةٌ ثلاثينية , بيضاء الوجه تنسحب منها أي آثار للجمال ... ليست قبيحةً ولكنها لا تمت للجمال بصلة , يعتلي رأسها حجابٌ بسيطٌ تم ربطه بطريقة تبدو شعبيةً بعض الشيء , وجهها خالٍ من أي نوع من أنواع مستحضرات التجميل , عينان زجاجيتان ترى فيهما سنوات الشقاء تمتزج جيدًا مع عمرٍ كاملٍ من الحزن , أنفٌ أظفانٌ و شفتان رفيعتان أمسك بالأوراق الموضوعية على المكتب أمامه , قرأ منها بصوتٍ خافت :

" سنية ! ... أليس كذلك "

إجابته بصوتٍ خافتٍ وهي تحافظ على نظراتها أرضاً في خوفٍ منكسر:

"أجل ... أجل يا سيدي"

"أين كنتِ طوال هذه المدة يا سنية"

"موجودةٌ يا سيدي و أتابع أخبار الطفل من بعيد، وعندما علمت أنه عاد للمرة الثانية قررت أن أتى لاصطحابه"

"تتابعين أخباره ؟؟ كيف هذا !"

نظرت لهما بأعينٍ زائغةٍ من القلق وهي لا تنتوي الإجابة . قالت بصوتٍ منخفض :

"سامحي سيدي ... لن أستطيع أن أجيب"

نظر لها شريف بغضبٍ و هو يطرق الزجاج براحته المفرودة بعنف . صدر صوتٌ كالقنبلة ارتجف له قلبها الصغير بين ضلوعها بينما صرخ شريف بغضبٍ وحشي :

"إنطلقى"

...رباب الممرضة جارتى وكنت أتتبع الأمر من خلالها"

نظر شريف لمدير المصحة لثواني قبل أن يضغط مدير المصحة على زر الديكتافون الموجود في مكتبه ، لحظاتٍ من صمتٍ قبل أن يأتي إليه

صوت مكثرتته مغلفاً بحزمة معدنية جراء تحدثها عبر الجهاز  
أوامرك سيدي "

" رباب الممرضة ... موقوفة عن العمل و محولة للتحقيق "

" حسناً يا سيدي "

ارتجفت الفتاة وبدأت دموعها تهطل على وجهها بينما خفت صوتها و  
هي تنشج من بين دموعها :

" سيدي ... سيدي أرجوك "

أشار لها شريف بفضبط فتابعته :

" أنا من الفرع الفقير للعائلة أعمل كعاملية في إحدى العضانات  
الخاصة بالأطفال و بالطبع الفئات الذي تلقى لنا إدارة المدرسة لا  
يكفيها للعيش , مصابة بنوع من السرطان أعتد على فاعلي الغير  
ليوفروا لي كل حين ثمن جلسة العلاج الكيميائي الذي يساعدني على  
الاستمرار في رحلتي القمينة في مضمار الحياة العفن ... السيدة مرفت  
أم الطفل كانت تساعدني من حين لآخر رحمها الله و أسكنها فسيح  
جناته , هذا الطفل يا سيدي مريض كطفل يدعى صالح في مدرستنا و  
أنا أراقب إحدى المعلمات و هي تعامله و أستطيع أن أنعامل معه ...  
أؤكد لك يا سيدي الطفل مريض فقط و ليس ممرضاً "

"الأوراق في هذا الملف تثبت أنك بالفعل من الغرباءهم ... ساسالك  
سؤالاً واحداً "

"تفضل يا سيدي "

"فناء لا تقوى على العيش ... كيف لها أن تنبئ طفلاً؟ "

"الأزاق بيد الله "

" ونعم بالله ولتعلمي يا سيدتي أن إرث الطفل لن يُصرف لك أبداً  
حتى تثبتي أنك قادرةٌ على تحسين حالته كما تدعين "

سألته بأعين تتسع دهشةً : " هل للطفل إرث ؟؟ "

أجابها بصوتٍ ملول " أجل للطفل إرث و لن تره حتى تثبتي أنك  
قادرةٌ على رعايته "

أجابها مدير المصلحة بصوته الأجش :

" بعد إذنك سيد شريف ستخرجين إلى منصة الاستقبال لتتري  
اسمك وعنوانك و بياناتك و تملئي استمارات الحصول على الطفل من  
المصلحة , لن نسجلها في النيابة الحسبية حتى نتأكد من عدم حدوث  
مشاكل مرةً أخرى كل بياناتك اتركها في الخارج أطلعي رقمي  
الشخصي من السكرتارية بالخارج كي نبقي على اتصال "

أجابته بصوتٍ مرتجف :

" حسناً ... سأفعل كل هذا "

طاردها شريفٌ بنظراته بين خطواتها المتهملة ، رداؤها البسيط الذي يغلب عليه اللون الأسود يزد أناقها ، ربما هي فتاةٌ ليست جميلة و لكنها تعلم جيداً كيف تُظهر القلة القليلة الموجودة من جمالها ، مشت حتى وصلت للطفل الذي يجلس على المنصة متأملاً الحائط في انفصالٍ تامٍ عن الواقع ، مدت يدها في حقيبتها و عالجت سعالها لتفتحه في هدوء و هي تُخرج منها قاعدةً خشبيةً تحتوي على ثمان فتحات منحوتةٍ في قالبها مثلثان دائرتان مربعان و نجمتان ، وضعتها أمامه و أخرجت من حقيبتها الأشكال التي تناسب تلك المنحوتات. وضعتها يدهو إلى جواره و رجعت خطوةً إلى الخلف ، أدارت وجهها عنه و كأنها لا تتابعه و لكن كل ذرةٍ في كيانها كانت تتابعه جيداً ، ربما لا تحمل شهادةً معتمدةً عن كيفية التعامل مع الطفل المتوحد و لكنها تعلم جيداً كيف تعامله أ الطفل ينتبه لما وضعته ، تأمله بعينه لوهلةٍ قبل أن يمد يداً صغيرة يتفحص بها الأشكال في فضول ، أمسك بأحد الأشكال و بلا أي اهتمام ألقاه أرضاً ، قد بدا عليه الغضب ، نظر بعيداً و لكن الفضول غلبه فأمسك بإثني الأشكال ، حاول وضعها في منحوتة المثلث فلم تناسبها ، «سرخ معجباً في غضب و ألقاها أرضاً ، حرك يديه حوله في غضب و هو يشيح بوجهه للجهة الأخرى ، استمر على وضعه لمدة خمس دقائق ... يزوم في غضب

حتى اذار وجهه ليتأمل باقي الأشكال , اقتربت منه بابتسامة لطيفة ,  
مذت يدها إليه , تمنع في بداية الأمر دافعاً جسمه للابتعاد عنها ... مرّ  
وقتٌ قليلٌ قبل أن يُمسك بيدها في حرص و هو يجذبها لشكلٍ من  
الأشكال , تركت له يدها يحركها كما يشاء , وضع يدها بجوار النجمة و  
دفعها إليه فأمسكت بها بهدوء , ظهر الارتياح على وجهه و إن كان  
النوتر لا يزال حاضراً بداخله وبقوة , حرك يدها التي تمسك بالشكل  
بهدوء و هو يتأمل الأشكال قبل أن يقرب يدها من منحوتة النجمة ,  
وضعها بحرصٍ لتناسب الشكل فاستكان الشكل بداخل منحوته ,  
صرخت في فرحة كالأطفال الصغار و هي تصفق بيدها في جذبٍ مُقنع ,  
احتضنته في حنانٍ دافئٍ إياه في صدرها ليعلم عن احتجاجه و يدفعها  
بعيداً بيديه الصغيرتين مزمجرًا في غضب , حاولت أن تقترب منه مرةً  
أخرى إلا أنه رفض و زمجر بغضبٍ دافعاً يديه إليها ليدهها , أخرجت  
من حقيبتها قطعةً صغيرةً من الشيكولاتة و فضت غلافها برفق و هي  
تقرّبها من فمه , تمنع أول الأمر قبل أن تنفج شفّته و تطعمه إياها  
ليمضغها في شهيةٍ و علامات الفرح تبدو عليه , للمرة الثانية أمسك  
بيدها برفقٍ حذرٍ و دفعها نحو دائرةٍ مستكيّنة على المنصة فأمسكتها  
برفق , قرّب يدها من مكان المربع فتصلبت يدها , حاول لبعض الوقت  
ولكن يدها لم تتحرك فقرّر الذهاب للنجمة فواجهه نفس الأمر , زفر  
في احتجاجٍ طفولي قبل أن يقرر أن يجرب حظه مع الشكل القادم  
لحسن حظه كانت الدائرة فتلاقى الشكل و المنحوتة في عناقٍ خشيّةٍ  
حاز , صرخت للمرة الثانية في جذبٍ و هي تحتضنه ... للمرة الثانية

يبعدها عنه بعنف و هو يصرخ و إن كانت مقاومته قد قَلَّتْ بعض الشيء , خففت مقاومته هذه المرة في انتظار مفاجئته الشبيهة , انتهت من محاولة عناقه و أخرجت له قطعة الشيكولاتة الثانية أكلها بسرعة ملوئًا أسنانه الصغيرة بها مما أضفى عليه لمحة طفولية للمرة الأولى في أعين شريف الذي كان يراقب الأمر من بعيد ... التفت شريف إلى مدير المصعة و هو يقول في إعجاب :

"إنها جيدة"

أجاب مدير المصعة في بطة :

"أعترف لها بهذا الأمر... إنها المرة الأولى التي يُظهر بها الطفل تجاوبًا مع أي شخص

عاد شريف بنظراته يتابعها و هي تضع شكلاً ثالثًا في مكانه و تصفق و هي تحاول أن تحتضنه رغم رفضه و مقاومته لها , احتضنته برفق و لكنها في تلك المرة حملته و هو مدفونٌ في أحضانها قاومها و دفع جسدها بيديه و هو يزمجر في غضبٍ قبل أن يتأكد أنها لن تتركه فعمد إلى طريقةٍ أخرى , رمى جسده بقوة محاولًا السقوط أرضًا , فوجئت سنية و حاولت أن ترفع جسده برغم الآلام القوية التي هاجمت يدها نتيجةً لتلك الحركة المفاجئة , تماكنت نفسها قبل أن تتوقف و نشير لشريف مودعةً و هي تمضي آخر الأوراق بسرعة , قبل أن تخرج شعرت بيده تطوق عنقها و كأنه يحتضنها ... دام الأمر للحظاتٍ قليلة , نظرت

نحده فهرب بعينه بعيداً و لكنه بالتأكيد شعر بدقات قلبها و هي  
تخفق في عنف.



دلفت سنية إلى شقتها و هي تحمله بهدوء على الرغم من محاولته  
المستمرة في دفعها بعيداً عن جسده      أولات مستمرة لإسقاط  
نفسه أرضاً للهروب منها , في فضول تام      حدود في الشقة و قد  
هدأ قليلاً , شقة صغيرة الحجم فتحة      لكنها بالتأكيد تنم عن  
ذوق رفيع حتى في اختيار الأثاث الشقة      يقع في الشقة في  
تكامل , أغلقت باب الشقة في      رضا أمامه كانت  
الأرضية منقسمة إلى قسمين      يحوي على ست علب  
كرتونية مختلفة الأحجام تتراس في      النظام من الأصغر للأكبر , أما  
القسم الآخر فكان به عشرات السيارات التي تتوقف بجانب بعضها  
البعض في نظام , وقف يتأمل القسمين في حيرة , قررت أن تقطع حيرته  
و أن تقرر له اختياره , مشيت ببطء ناحية السيارات و ما إن اقتربت  
منها حتى تظاهرت أنها فقدت اتزانها و نتيجة لهذا تعثرت فركلت  
السيارات ليتشتت جمعهم و تبعثر في كل اتجاه      سمعت صرخة  
غاضبة منه قبل أن ترحل لتختئ خلف ستار طويل و تراقبه , اقترب  
من السيارات المبعثرة في تونرو و هو يلفت وينظر لها ... نظر بغضب إلى  
مكانها الذي تختئ فيه قبل أن يجلس في وسط السيارات و هو يبدأ في  
تنظيمها على شكل دائرة هو مركزها في انتظام و كأنها دائرة هندسية

الشكل . لم يَمَسْ أن يحافظ على دَقَّتْها الجمالية فوضع كل لونٍ بجوار الآخر ليكوّن دائرةً بهيئة الشكل . وَثَّفَ وهو يصرخ بصوتٍ عالٍ فخرجت له متسائلةً لتجده يجلس في منتصف الدائرة و يضع يديه على أذنيه و يهتز للأمام وللخلف , حملته و هي تحتضنه و تقبله في حنان , حملته و وضعت أمام المرأة , أشارت له إلى انعكاس صورته وقالت له :

أقبلني "

نظر لانعكاس صورته لبرهةٍ يهدوء قبل أن يضمّ شفّتيه و هو يبعث بقبلةٍ صغيرةٍ إلى نفسه , صبّقت مرةً أخرى و هي تحتضنه و تقول له :

" أنا جميل "

دفن وجهه في صدرها بحنان و هو يتعلق بها بيديه , وضعته بجوار اللعب الكرتونية و قالت له يهدوءٍ و هي تجلس بجواره :

" أنا أرئها "

جلس بجوار أكبرها قبل أن يقرر أن يصعد إثيه و يجلس داخله و هو يضحك في مرح , ضحكت و هي تحمله و تقول له :

" أنا مرخٌ ايضاً ... من الجيد أن نعرف هذا "

وضعت بجوار اللعب و تركته لبرهةٍ فحمل أصفرها و هو يخفيه بداخل الأكبر منه و هكذا حتى وضعهم جميعًا بالترتيب بداخل بعضهم البعض

حملته وهي تحتضنه بحنانٍ وتقول له بصوت متفاحي وكأنها طفلةٌ  
مبهرة تكتشف معه الحياة :

"حننا أنا جانع!"

تركته أرضاً ودخلت إلى المطبخ لتعدّ له الطعام وعندما خرجت كان  
قد وضع الصناديق الورقية بداخل الدائرة التي كونها ، حملته برفقي و  
هي تضعه على المائدة وتضع طعامه بجواره :

"أنا مآكل"

نظر للطعام لبرهة قبل أن يمدّ يده إلى الطبق الزجاجي ويحمل بعضه  
لبلقيه أرضاً بغضب ، قالت بصوت حزين :

"أنا ميء"

تعدت أن تُظهر علامات الغضب على وجهها فشعر بالوجل قليلاً وإن  
كان لم ينظر لها بعد ، حمل قطعةً أخرى من الطعام وأكلها برفقي ،  
شجّعته قائلة :

"أنا جيد ، أنا جيد جداً"

استمرّ في الأكل ملوئاً ملابسه ووجهه قبل أن ينتهي ، حملته بحنوٍ وهي  
تقول :

"أنا متسخ"

كانت تعتمد الحديث معه بالإشارة على نفسه بالضمير الأول ,  
أن يعرف نفسه أولاً ومنها سيعرف الباقين وسبباً بقليل من الجهد و  
التعب و مع كثير من الحب و المعاملة الجيدة سيتمكن من أن يخرج  
من دائرته المغلقة لدائرة مغلقة أخرى و لكنها أكبر بعض الشيء كما  
أنها ستحتوي على بعض الأفراد ستساعده على الخروج من دائرة  
الذاتوية انتهت من تحميمه و إلباسه ملابس جديدة و هي تضعه في  
فراش صغير فتظاهر باللعب بالغطاء فتركته و ذهبت و هي تهمس له :

"أنا لن أكون ذاتوياً قريباً"

أغلقت زر الإضاءة و هي ترحل في هدوء و تفكر و هي تنام في سريرها  
بالطفل , تجهز له في خيالها خطة محكمة تعلمتها بمجهود ذاتي و  
قراءات متعددة عن التوحد , مقتنعة تماماً أن الطريقة الأفضل هي  
طريقة الحب و التقرب و التودد و ليست طرق الإجبار و القسوة ,  
ستخرجه من تلك الدائرة المغلقة إن شاء الله , كان هذا هدفها القادم  
و الذي أصرت على أن تحققه بشدة ... أغلقت عينها و سبحت في نهر  
النوم الهائل مسترخية تماماً .

حاول هنري استجداء ماثيو بحق صداقتهما و شراكتهما في العديد من الأعمال إلا أنه يبدو أن الخيانة من العوامل التي تحوّل القلب لجلمود صخر لا يعرف معنى المشاعر , دمعت عيننا هنري و هو يضع يده على شعره في غضبٍ و يصرخ بصوت عالٍ :

" أنا !! أفنيت عمري في صداقتك أنت الآن تركل صداقتي و كأنها قذارة لتنظفها بقليل من المال !! ... أوراق ملونة ماثيو ... أوراق ملونة هي قيمة أختونا ؟؟ ألا تتذكر كم مرة أنقذت حياتك ؟؟ كم مرة داريت عنك و وارت أخطائك , كم مرة أيها الوغد قممتُ بمسؤولياتك و نظمتُ أعمالك القذرة , وفي النهاية ستقتلني برصاصة معدنية قذرة أنعرف الفارق بينك و بينها عندما تخترق تلك الرصاصة قلبي سأشعر بها ساخنةً و لكن أنت أنت أيها الأحمق لا تعرف سوى البرود

هز ماثيو كتفيه في عدم اهتمامٍ و قد ظهر عليه عدم التأثير بحديث هنري على الإطلاق :

" طلبتُ منك السماح و لكن يبدو أن قلبك أسودّ مثل وجهك "

أنهى جملته مبهقها بعنفٍ و هو يتأمل القائد و مساعده و هما يتبعدان ببطءٍ عن عتاب الأصدقاء , نظر ماثيو إلى بهاء و هو يقول :

" وأنت أيها الوغد الصغير ... ألن تلقي عليّ محاضرة ؟؟ "

هزبهاء كنتفيه ومطّ شفته السفلى في عدم اكترات وهو يقول :

"ولماذا التي عليك محاضرة في آخر دهانق حياتك ؟"

اجابه ماثيو بهكم :

"اوه يا صغيري ... يبدو أن والدك نسي أن يعلمك الضمائر قبل أن

يلقبك في الشارع كالقمامة"

ابتسم بهاء بسخرية وهو يقول له هل سمعت من قبل عن :

"انتقام الظل ( شادورفينج ) ؟"

قبل أن يتم بهاء تساؤله سمع الجميع صوت زمجرة غضبٍ استمرت للحظة قبل أن ينطلق شادو بقوة وسرعة كالسهم من بين أجسادهما , تفاجأ ماثيو وتسمر مكانه للحظة قبل أن ينتفض جسده في محاولة منه للافاقة قبل أن يداهمه شيطان الظلال الذي يهاجمه بعنفٍ لا مثيل له , تأمل الكائن الذي يقترب منه وعيناه تُشيعان غضبًا يصبّ حممه النارية على جسد ماثيو , شفتاد المنفرجتان عن صفيين من الأسنان العاذة التي تلتمع تحت الضوء الصناعي وكأنها صبيحات الشياطين , لعابه يسيل في شراهة وهو يمّني نفسه بدرجةٍ جاهزة ... شادو ... شيطان الظلال اللعين , الكلب الشرس الخاص بهاء وها هو الآن يدافع عن سيده الصغير , حاول ماثيو أن يصوّب قوهة مسدسه إل شادو وهو يضغط الزناد بسرعة لتنتطلق الرصاصة من رحم

المسدس المعدني ، أصابت الرصاصة جسد شادو الذي لم يتوقف و إنما زارني عنفٍ خلع قلب بهاء نفسه قبل أن يخلع قلوب الباقيين . سيلٌ من الدماء اندفع بقوةٍ من إصابته التي لم توقفه ، رمى جسده على ماثيو ليثبتته أرضاً تحته وهو يلهث بعنفٍ ناتج عن إصابته القوية ، لاحظ ماثيو أن شادو يترنح فحاول استقلال الفرصة ، مد يده ليدفعه بعيداً عنه فتناولها شادو بين فكليه الحديدين و قبض عليها بأسنانٍ من جعيمٍ لا يرحم ، شعر ماثيو بالآلام لا توصف تهاجم يده و تهاجم معصمه ، حاول جذب يده بقوةٍ من بين أسنان شادو إلا أن شادو لم يكن على استعدادٍ للتخلي عنه الآن أخيراً تركه شادو ، تأمل كفه الذي يخاضع معصمه و على وشك فراقه أمسك بيده و هو يطلق سبّةً غاضبةً بصوتٍ عالٍ قبل أن يرفع عينيه ليتأمل بهاء و هنري ، كان بهاء منكفئاً أرضاً محاولاً أن يداوي جراح شادو أو يطبّئها و لو بكلماتٍ رقيقة ، نبح شادو في عنفٍ و هو يغمض عينيه للمرة الأخيرة نساقت دموع بهاء بغزارةٍ على قرانه الملطّخ بالدماء قبل أن يصرخ بغضبٍ و هو ينتصب و يقف باعتدالٍ و يصوّب المسدس الذي لا يزال ملطّخاً بلعاب شادو و يرفعه أمامه ليصوّبه إلى رأس ماثيو صارخاً بغضبٍ و بصوتٍ متقطّع نتيجةً للغضب العارم :

"لقد ... قتلت ... رفيقي ... الوحيد "

ما بين كفٍ يطمح بمفارقة معصمه و آلامٍ حادةٍ تهاجم جسده رفع ماثيو يديه ببطءٍ و هو يحاول أن يطمئن بهاء بصوتٍ خافت :

"إهدأ يا صغيري ... إهدأ ... إنه مجرد حيوان أليف "

رصاصاً انطلقت بغضبٍ ممتزج بغضب بهاء قادتها روح شادو لتنتطلق  
بسرعةٍ وتحطم ركبة ماثيو اليمى صرخ ماثيو بألمٍ و تراجع هنري  
خطوتين للخلف و هو ينظر لبهاء متعجباً , بهاء الذي سيطر الغضب  
عليه و تلبسه بالكامل ليُحيل ملامحه لوجهٍ يحترق بناره , كل مشاعره  
الأخرى انزوت في ركنٍ مظلم ترتعد أمام المارد الذي حضر , وفي حضرة  
سيدهم " الغضب " يصمت الجميع و يتوارى العقل خجلاً : ركع ماثيو  
على ركبته و هو يمسك الأخرى بألمٍ و ينظر لبهاء الذي صرخ بعنف :

" شادو حيوان !! وأنت ؟؟ إنسان !! هل تظن هذا ؟ "

سمع بهاء صوت إطارات السيارة تصرخ بعنفٍ و هي تبتعد محملةً  
بالنقود مصحوبةً بأحلامهم و آمالهم , نظر بهاء لهنري و قال له بصوتٍ  
يغلي غضباً :

" هل تقتله أنت و تكون رحيماً معه ... أم أقتله أ "

تراجع هنري للخلف و هو يشير بيديه دلالةً على رفضه , تقدم بهاء من  
ماثيو الذي بدأ يحاول الهرب و هو يتقافز عدة قفزاتٍ على قدمه  
السليمة قبل أن تقرر أن تخونه ليسقط أرضاً , اعتدل على ظهره و  
واصل الزحف ببطءٍ على الأرض و هو يبكي و يستعطف بهاء الذي وضع  
الشيطان أصابعه في أذنيه فأصبح لا يسمع إلا صوت الغضب فحسب

أدار هنري رأسه للناحية الأخرى و وضع يديه على أذنيه و أغمض عينيه بشدة فلم ير الدماء و شطايا المخ التي تناثرت بعد انفجار رأس ماثيو . لم يشعر سوى بهاء الذي وضع يديه على كتفه و هو يبتسم بوجهٍ ملطخٍ بالدماء , كانت ابتسامته غريبةً للغاية و تحمل معانٍ و رسائل كثيرة تجاهلها هنري و هما يمشيان بجوار بعضهما البعض في رحلةٍ اقترَبَ خط نهايتها ... للغاية !!

\*\*\*\*\*

فتحت عينها في الصباح يهدوء لتتأمل مروحة السقف الساكنة فوقها , أزاحت الدثار من على جسدها ليلطمها الهواء البارد لطمَةً كانت كفيلاً بإيقاظها بعض الشيء . تركت جسدها يسترخي بينما تتسلل الأفكار النائمة من بين أسرتها و هي تملأ تلافيف مخها المستيقظ , بدأت تفكر في البرنامج البسيط الذي وضعته للطفل لكي يتحسن , بدأت تفكر في عقبة اللمس التي تغلبت عليها ... لم يعد يزعج منها , أصبحت تحمله و تحتضنه شيئاً فشيئاً , قلّت مقاومته لها و أصبحت معدومة , أصبح يُصدر صوتاً سعيداً عندما تقترب منه , يصفقُ معها و يفرح معها أثناء لهوهما , عقبة التواصل البصري لا تزال الأصعب تعرف جيداً أنه سمح لها بدخول دائرته المغلقة و لكن هذا ليس أقصى طموحها , كانت تطمح لأن تتسع دائرته المغلقة لبعض الأشخاص , أن يسمح لأكثر من شخص بدخولها , بالطبع لا تستطيع التأكيد لأنه طوال الأسبوع الماضي - و الذي استغلت أجازتها من العمل فيه - كانت

تعمل معه طبيبًا لبرنامج تأهيلي شهير وإن طوّرتَه هي بإضافة الحب و  
الحنان إليه . كانت تلقى تمام الثقة أن العطف والمعاملة الحسنة هي  
العنصر المفقود . حلقة الوصل بين المرض وعلاجه عدّة أنواع من  
الحميات سمعت عنها . سمعت عن وجوب عمل بعض الفحوصات و  
التحاليل لمعرفة أنواع الحساسية التي يعاني منها الطفل و معرفة  
أنواع الطعام التي تسبب تهيج الجهاز المناعي . تجنب الأكل المملح و  
الألوان الصناعية و الحلوى و المواد الحافظة . و من ثم تأتي مرحلة  
تعويض النقص في الفيتامينات و المعادن في جسم الطفل عن طريق  
الأكل الصحي و يفضل العضوي . بعدما يأتي دور المكملات الغذائية و  
بالطبع لن تعطيه المكملات قبل أن تقوم بعمل الفحوصات لنسب  
الفيتامينات و المعادن في جسده . عند الوصول لتلك المرحلة يكون  
الطفل على أتم استعداد للبدء في برنامجه التعليمي و التدريبي . لكنها  
للأسف لا نملك إلا قوت يومها و بالكاد !

فمن أين لها بكل تلك النقود      سلسلة الاختبارات و  
الفحوصات و الأدوية و العلاجات      غذائية , كان الأمر صعباً  
عليها مادياً و شاقاً عليها نفسياً      كثيرها لأمر آخر ... سمعت  
عن حمية تتم بعشبة اسمها عشبة      عشبة بيلوبا (Ginkgo biloba) و  
التي تدعى أيضاً بكزبرة البر و الشهبير      عشبة الذكاء .

لكنها بقليل من البحث على الشبكة العنكبوتية اكتشفت دراسة  
علمية حديثة أجراها باحثون من جامعة هيرتفوردشاير البريطانية

أشارت إلى أن استخدام تلك المكملات الغذائية لا يحسن من الذاكرة أو التركيز كما يُعتقد ، و أن مستحضرات الجنكة ليس لديها أى تأثير إيجابي يذكر على التحسين من وظائف الإدراك. وذلك مهما اختلفت الجرعة أو المدة التي خضع فيها الأشخاص الأصحاء للعلاج ، وأنها تعتبر مضيفةً للمال والوقت وجاءت هذه النتائج في دراسةٍ حديثة نُشرت بدورية

### Human Psychopharmacology Clinical and Experimental

على الموقع الإلكتروني للدورية ، وشملت أكثر من ألف شخصي من مختلف الأعمار، لذلك أيضًا صرقت النظر عن ذلك الأمر.

اعتدلت على فراشها وهي تتنأب بقوة ، ابتسمت و وضعت قدمها في حذاء فروي صغير كان يرقد ناعسًا تحت الفراش فوق الأرضية الباردة ، بخطواتٍ متثاقلةٍ توجهت للحمام نظرت لوجهها بالمرآة قبل أن تبسّم وهي تلقي قبلةً على نفسها وتهذب شعرها بيديها ، وهي تغسل وجهها ، قبّلتها المياه الباردة فطردت آثار النوم عن قسماتها ، جففت وجهها قبل أن تخرج للصالة لتتأمل فراش الصغير انعقد حاجبها في عنف ، شعرت كما لو أن هناك فجوةً في صدرها ، دقات قلبها تتزايد ، شعرت بالعرق البارد يجتاح جسدها كطوفان ، القلق والحيرة يأسران قلبها المرتجف الطفل لم يكن هناك الفراش خالي الغطاء الصغير ملقى أرضًا ... هناك ورقةٌ ما في الفراش ... ولكن لا أثر للطفل لا يوجد أي أثر للطفل ، اندفعت بسرعةٍ و قلبها يخفق بعنف لتمسك بتلك الورقة بين يديها ، كانت الورقة لا تحتوي سوى على رقم

هاتف أرضي ، و كلمتين فقط مكتوبتين بخطّ حسنٍ و لكن على  
استعجال:

" الطفل هناك "

جرت بسرعة إلى هاتفها الذي يقبع على منضدة خشبية مستديرة  
بسيطة الشكل ، رفعت السماعة في خضمّ ارتباكها ففزع الهاتف من  
حركتها المفاجئة و سقط أرضاً ، أعادته مكانه و هي تطرق أرقامه بأيادٍ  
ترتجف قلقاً ، استمعت لصوت الرنين للحظاتٍ قبل أن تُرفع السماعة  
من الطرف الآخر ، صمنت للحظات تستمع للطرف الآخر يناديها و هي لا  
تعلم ماذا ستخبره !!

أخيراً استجمعت شتات نفسها و قالت بصوتٍ مرتجف :

" هناك ... هناك طفلٌ نانه مني و أخبروني أنه عندكم "

سمعت ضحكةً صاحبةً من الطرف الآخر قبل أن يأتيها صوت أنثى ترد  
بدلال :

" نعم ... موجود ... هل تريدان أن تكلميه ؟؟ "

عاصفةً من الضحك الصاخب انفجرت حولها كظمت غيظها و لم  
ترد و هي تتساءل بغوف :

" هل لي أن أعرف العنوان ؟ "

صمنت قليلاً قبل أن تستكمل :

« من فضلك ! »

بيدين مرتجفتين التقطت قطعةً من الورق الأبيض كانت تقبع بجوار الهاتف ، بحثت بيدها عن قلمٍ فلم تجد ، لمحته يقبع متكاسلاً على المنضدة ، قامت بحرصٍ ومالت بجسدها محافظةً على السماعه على أذنها كيلا تفقد همسةً من الهمسات ، كانت تعلم أن الخبر لو تسرب للرائد فستكون كارثةٌ وربما يعاكمها بتهمة الإهمال ، هزت رأسها بقوةً وهي تلتقط القلم كما لو أنها تطرد الأفكار السيئة من رأسها ، سمعت صوت الفتاة المعجون بالغنج يملها العنوان كتبته على استعجالٍ و ذهبت إلى غرفتها وأغلقت الباب للحظات ارتدت فيهم عباءةً سوداء خالية من أي تطريزٍ أو نقوش ، غطاء شعرٍ لفته على رأسها بسرعة و التقيمت في قدميها حذاءً أسوداً و خرجت تجري ، على درجات السلم تذكرت أن مفتاحها بالداخل و لكنها لم تهتم عند العودة سيحلها الله ... المهم الآن سلامة الطفل خرجت للنور و لكن بداخلها ينمو ظلام الخوف والرهبة ، أشارت لسائق سيارة أجرة رفض التوقف ، هذا من سرعته ليسمع ندائها بالمكان المنشود قبل أن يهز رأسه رافضاً متجهاً للقهوة التي يجلس عليها ليشكو قلة الرزق بينما يرفض الذهاب معها ، سيارة أجرة أخرى هزنت من أمامها أما الثالثة فرق لها قلب صاحبها فتوقف لها و استمع للعنوان و هز رأسه متفهماً ، ركبت السيارة و بمجرد إغلاق بابها صرخت إطاراتها في عنفٍ و هي تنجه للمكان المنشود .

\*\*\*\*\*

صعدت السلم بسرعة وهي تنظر في الورقة للمرة الأولى . تتأكد من العنوان ... الشارع ... رقم المنزل ... الدور ورقم الشقة . تجاهلت نظرة حارس العقار لها وهي تسأله عن تلك الشقة . وصت للدور أخيراً . دارت ببصرها على الشقق الثلاث التي تحتل الطابق . اتجهت للشقة المنشودة ووقفت للحظة في حيرة من أمرها بين أن تطرق الباب أو تدق جرسه . حسمت أمرها فوضعت إصبعها على زر التنبيه ولم ترفعه إلا حينما واجهها وجهٌ عابسٌ لفتاةٍ عشرينيةٍ مبهجةٍ كما لو أنها مهرجٌ يؤدي فقرته . سألتها بصوتٍ يرتجف هلعاً :

" هل الطفل هنا ؟ "

ايتسمت الفتاة وهي تجيب بدلال :

" الأطفال لا مكان لهم هنا "

ضحكةٌ أنثويةٌ فجأةً اندلعت من بين شفرتها لتملأ فضاء الطابق تلتفتت سنية حولها في خوف قبل أن تسمع صوت الدلفل يصرخ من الداخل . اندفعت للداخل كالصاروخ بلا تفكير . وجدت الطفل يجلس على متضدةٍ صغيرةٍ وسط غرفةٍ كانت مغلقةً وصوت الموسيقى العالي يضايقه فيصرخ ويبيكي ... وجدته يبكي ... بكى حتى احمر وجهه ونفياً من شدة الحزن . وجهه ملطخٌ بمستحضراتٍ تجميليةٍ أذابتها دموعه و من حوله فتاةٌ تتمايل بخلاعةٍ على أنغام أغنيةٍ شعبيةٍ مسيئةٍ . نظرت له بغضب . ففكرت بسرعةٍ عن مدى تأثير هذا الأمر على نفسيته ومدى

التحسّن الذي سيضيع بفضل غيابهن ، نظرت حولها في غضب ، رأت  
المسجل الموصل بعدة سماعات تلتأثر في أرجاء الغرفة ، مشّت إليه في  
غضبٍ وأغلقته بعنف ، تسوّى الجميع و سادّ الصمت وحلّ الغضب  
محل روحها بداخلها ، نظرت لهنّ و هي تفكر في كلمات تنطقها ، خانها  
الكلام وهرب لسانها منها فصرخت ، حملت الطفل الذي صرخ بعنفٍ  
قبل أن يفتح عينيه المثقلتين بهنّ دفين ، فهم أنها تحمله ، حاول دفعها  
بغضبٍ وكأنه يلومها على تقصيرها أخرجت مندبلاً ومسحت له  
وجهه ، أخذت تهمس له بكلماتٍ علّها تنال ثقته و رضاه ، استمرّ في  
محاولة إلقاء جسده أرضاً إلا أنها احتضنته بقوة ، استكان في صدرها  
أخيراً وإن كان ينهته في حزن ، شعرت كما لو أن مارداً خفياً سحق قلبها  
... لم تعرف أيهما يؤلمها أكثر قلبها أم نفسها التي ترك فيها مظهره  
هكذا شرخاً عميقاً لن يلتئم بسهولة استكان أخيراً و هي تقاوم  
الموجودات حولها ، يتأملنها بفضولٍ غاضب ... حيرة خائفة ... أحاسيس  
مضطربة تضطرم بداخلهن أخيراً نطقت إحداهن بصوتٍ غاضبٍ و  
إن لم يظلمن خلاعة أصبحت عادة :

"من أنت ؟؟"

أجابتها سنية بقوة حازمة :

المسؤولة عن هذا الطفل

"هل تعلمين كيف أتى هنا ؟"

اجابها بتردد :

" لا ... وإن كنت أطمح لمعرفة كيفية وصوله لكن !! "

أجابها الفتاة بلا مبالاة :

" أمام الشقة ا "

" لا أفهم ؟؟ "

" وجدناه أمام الشقة مع وريقة بداخله تخبرنا بأنك ستأتين "

سألها سنية بلهفة ممزوجة بتوتر:

" وريقة !! ... هل لي لي أن أراها "

مدت يدها إلى صدرها وأخرجت وريقة مشبعة بالعرق . أمسكتها سنية  
بطرف إصبعها باشمزاز , فردتها على تعجلٍ و راقبتها بلهفة ... نفس  
الخط الذي وجدت الورية في منزلها مكتوبةً به , نظرت نحوها بأعين  
زائفة و سألتها:

" هل تحتاجين تلك الورية ؟؟ "

" لا بالطبع "

" هل من الممكن أن أرحل ؟ "

" نستطيع أن ترحلي بالطبع نحن حرقياً ننتظر رحيلك بفارغ  
الصبر "

" حسناً ... أشكركن "

" أغربي عن وجوهنا ... الآن "

نظرت لها نظرة خاوية بوجه لا يحمل أي مشاعر أو تعبيرات قبل أن  
نُحْكِم احتضانها للطفل خرجت من الغرفة تتجه لباب الشقة  
بمجرد أن خرجت سُمِع صوت الموسيقى تصدح و الفتيات يضحكن  
بخلاعة , كما سمعت صوت رجلٍ من داخل الشقة يسعل بقوة متبوعة  
بضحكة خشفة , تجاهلت كل هذا و تَهَدَّت , نَوَّت أن تخبر شريف بكل  
ما حدث وأملها كبيرٌ في أنه سيسمح لها بالاحتفاظ بالطفل عندما يرى  
تحسنه و صراحتها في قصّ الأمر عليه , فتحت الباب و نظرت للخلف  
تلقي عليهم نظرة احتقارٍ أخيرة قبل أن تلتفت لتجد قهوة مسدسٍ  
رسميةٍ و من خلفها يظهر شابٌ وسيمٌ بشاربٍ منمَّقٍ يرتدي بذّةً رسميةً  
تلتصق على أكتافها ثلاث نجوم في هدوء تلتصق النجوم في سماء  
الشرطة وبالتحديد في نطاق شرطة الآداب !!!

\*\*\*\*\*

وقف بهاء وهزّي أمام الباب المعدني للمغزن , يتأمل كل منهما البخار  
المتصاعد من أنفاس الآخر و قد فُرض الصمت عليهما . لم ينطق أيهما

احترامًا لهيبته، لم يعرفا حل رجفة أجسادهما كانت نتاجًا لدرجة الحرارة المنخفضة أم خوفًا من القادم : تتهد بهاء وهو يشير لهزري كي يتقدما سويا . بمجرد أن شعر بهما القائد حتى انتفض جسده ، ترك كأس من الطمر كانت محتوياته ترقص انثناءً بين شفتيه وسعل بقوة وهو يقوم مبتسمًا فاتح يديه إليهما قبل أن يتعقد حاجباه ويقر الفرح من عينيه وهو يضع ذيله بين أسنانه سامعًا للتعجب والفضب بامتلاك المكان . أغلق يديه وتركهما يسقطان بجواره وهو يتأملهما . أغلق عينيه لدقيقة وهو يضع يديه على رأسه قبل أن يفتح عينيه و يسأل بهاء بخوف من يعرف الإجابات مسبقًا :

"فشلتم ؟"

تحدث بهاء بصوتٍ مختنق :

"عُذربنا !"

أجابه في ثورةٍ تنعني أمامها مسلمات الحياة :

"النتيجة واحدةٌ والأمران سواء "

أجابه بهاء بتعدي :

"نحن لا نفشل ... للمرة الثانية أكرر ... لقد عُذربنا "

للحظة صمت القائد مفكراً في إجابة، متأملاً هنري المرتجف قبل أن  
يستوعب الأمر ليتساءل باندعاش :

" أين ماثيو ؟!"

صمت هنري متأملاً بهاء الذي احمرّ وجهه عندما تذكر:

" قُتل "

صُغى القائد و اتسعت عيناه وبرز بؤبؤهما يدور في محورها بدهشة  
وهو يسأل :

" ومن قتله ؟؟ "

رفع هنري يده مشيراً ليهاء الذي بادلته النظرات بنظرة سطحية لا  
مشاعر فيها قبل أن يدير وجهه للقائد

" أنا قتلته "

" لِمَ !! "

" الغائن جزاؤه القتل ... فالغائن لا يُرحم "

" خائناً ؟ "

" باعنا واستحق نهايته التعيسة "

" ضاعت النقود ؟ "

" ضاع الحلم والأمل أيها القائد "

" انتهى الأمر ؟ "

" وانتهى عمر شادو "

سمع صوت ارتطام جسد القائد بالكروسي بعد أن تهاوى عليه بغير تصديق ، هز رأسه بعنف وكأنه يتأكد من أنه ليس مخموراً ... أظارت الصدمة الخمور بكل أثر لها ، سمع صوت هنري يأتي من خلفه :

" كدنا نموت لولا جسارة بهاء "

هز بهاء رأسه صامتاً وعيناه تدمعان وصوته يختنق :

" كدنا نُقتل لولا تضحية شادو "

رفع القائد رأسه في دهشة متأملًا ملامح بهاء ونظرته تفوص في بحار عدم التصديق :

" انتهى الأمر وضاع الحلم وفقدنا كل نقودنا وأنت تفكر في كلب !! "

تبدلت ملامح بهاء وهو يُخرج مسدسه من جيبه ويطلق النار على كتف هنري صارخاً بعنف :

"شادو صديلي ... أما هذا فهو كلب "

صُنع القائد للتغير المفاجئ بينما سقط هنري أرضاً وهو يُمسيك كتفه متأثراً الدماء التي تسيل منه وهو يصرخ في بكاءٍ مندهش ، وقف القائد بينما أمال بهاء رأسه بزاوية خمسة وأربعين درجة وهو يتأمله بصمتٍ ممتسناً ابتسامةً مخيفةً وقد قارب ضوء عينيه من أن يخبو ، تراجع القائد للخلف وتعلّز في الكرسي فسقط على ظهره قبل أن يتحرك ، كان بهاء يتأمله من زاوية علويةٍ محافظاً على ذات الابتسامة التي تجتذ الدم في العروق : رمى له حبلًا غليظاً لم يعرف من أين أتى به وأشار بفوهة المسدس دون أن يرمش إلى هنري ، زحف القائد حتى وصل لهنري وأحكم ربط وثاقه ، نظر لبهاء متجاهلاً أنات ألم منبثقة من بين شفتي هنري ، اتسعت ابتسامته وعيناه تتسعان بطريقة أثارت فزع القائد ، وضع المسدس على المنضدة وتناول طرف الحبل وأحكم وثاقه هو الآخر وأسجاهما بجوار بعضهما البعض ، رقدا في استسلام و بهاء ينظر لهما بلا أي رد فعل مرّت دقيقة قبل أن يتحرك بهاء مندفعاً للقبو في حركاتٍ بطيئة ، لحظاتٍ مرّت وظهر بهاء مرةً أخرى على باب القبو ممسكاً بالمشروط ، كانت هناك نقاط دماءٍ تظهر على المشروط مانعةً انعكاس الضوء ، ابتسم بهاء وهو يضع المشروط في فمه و يعلّق شفثيه عليه لاعتقاً إياه متجاهلاً كل قوانين المنطق ، مشى إليه وهو يبتسم بقوة ، حاول القائد أن يتحدث بصوتٍ حنونٍ يناجي فيها الرقة الكامنة في قلب بهاء :

" ماذا ستفعل يا بهاء ؟؟ "

" لن أقتلك ! "

اتسعت عيناه رعباً وهو يسأل بتوتر، متجاهلاً صرخات هنري المثالة :

" ماذا ستفعل ؟؟ ماذا ستفعل ؟؟ "

" سأعذبكما لقليل من الوقت و عندما أَمَلُّ سأقتلكما ... تُرى هل من مصلحتكما أن أَمَلُّ أولاً فتموت سريعاً أم ألا أَمَلُّ فتزيد حياتك ويزيد عذابك ! "

" بهاء !! "

" صمناً ... سنكتشف سراً "

" لماذا تفعل هذا ! "

ابتسم بهاء بعزٍزٍ وهو يجيب وكأنه يخاطب مجهولاً غير متواجد :

" قتلوا شادو ... ماذا يكون جزاءهما ! "

" ستعذبنا و تقتلنا من أجل شادو ؟ "

" شادومات !! "

" حياة شادو ... هل تساوي حياة معلمك ؟ "

"شادو فُتِل ١١"

"هل ترى أن ما تفعله الآن منطقي؟ هل ترى أنك تتصرف بعقلانية تجاه الأمر"

"ومن أذن لك لتحكم علي؟ من فضلك احتفظ بحكمك لنفسك ... و تعلم ... عندما تحكم على شخص يجب أن تضع نفسك مكانه ... أن تعيش حياته أن تنظر للعالم الملطخة ببقع من سواد النفوس الغادرة ... أن تبتلع ريقك ممرراً بطعم الجراح ... أن تتنفس اليغض والكراهية ... أن يحتضر الحب أمامك بلا رحمة ... وقتها ربما ... وأكرر ربما ... تستطيع أن تحكم على شخص ما "

"بهاء ١١"

"يجب أن تضع نفسك مكاني ... أن تكون ابن حرام وأن يخذلك باقي الأطفال بجمر الخطيئة أن تعيش فضيحة والدتك بداخل قلبك رغم أنك تجهلها وأن يُظلل الحرام نفسك أن يستغلك رجلٌ قذرٌ وغدٌ لتهرب شحنات ماس ثم يلقيك عاراً كأقذر منديل انتهى من استعماله أن تعمل مع عصابة لتجارة الأعضاء البشرية وتضيع طفولتك بين الدماء المسفكة والأعضاء المسروقة أن تلعب مع الجثث وتقتل الأطفال أن تتخلى عنك أول فتاة تحبها ... أن يموت رفيقك أمام عينيك ... ألا تبتسم لك الدنيا ولو للحظة ... أن يكون

كثيراً على السماء أن تُفرك ... أن يكون حزنك وهلك هو غاية القدر  
وبعدها لنراك أيها الأحق كيف ستصرف "

" بهاء ... ليس لي دخل ... حلّ وثاقي وسأعوضك "

" أنا مصري "

" بهاء إسمعي "

كان بهاء يتحدث وكأنه انفصل عن الواقع يخاطب شخصاً غير  
موجود ... تابع بهاء وعيناه تزوغان :

" ألم يعن الوقت بعد لكي أعود لموطني باحثاً عن والدي، والديتي ؟؟ "

" بهاء من فضلك "

" ألم يعن وقت لم الشمل "

ترك بهاء جسده يسقط أرضاً وترك الأرض تستقبل ركبتيه في عنفٍ  
قبل أن ينظر لعينين يطل الفزع منهما وهو يقول للاقاند بابتسامة  
مرعبة :

" خفن ماذا ؟؟ ... لقد حان الوقت ! "

\*\*\*\*

فتح بتاريخ 12 / 9 / 2013

نحن المقدم / إبراهيم خفاجي

أثبت الآتي

أكدت تحرياتنا السرية والمراقبة الشخصية التي قمنا بها بالاشتراك مع  
ملازم أول / أحمد صالح سامر معاون مباحث القسم عن قيام كل من  
1 - حنان أحمد علي 2 - زينب أحمد علي إدارة مسكنهم الكائن  
بشارع الهرم - خلف البنك الأهلي - عمارة \*\* - الدور ال \*\*\* للدعارة و  
ممارسة الفجور واستقطاب الرجال راغبي المتعة الحرام وممارسة  
الزيلة مع السيدات مقابل مبالغ مادية .

وأقل المحضر على ذلك عقب إثبات ما تقدم ويعرضه على السيد /  
رئيس نيابة الهرم للإذن بضبط المتحرى عنهم و تفتيش مسكنهم  
المذكور بعاليه وكذلك كل من يتواجد أثناء التفتيش وكذلك كل ما  
يظهر عرضاً ويعاقب عليه القانون .

مقدم / إبراهيم خفاجي

إبراهيم خفاجي

\*\*\*\*\*

في 12/9/2013

الساعة 3 مساءً

بإشراف النيابة

رئيس النيابة

نحن / خالد محمد جمعة

بعد الاطلاع على محضر التحريات المسطر بعاليه بمعرفة المقدم / إبراهيم خفاجي رئيس مباحث الهرم و الثابت منها أن تحرياته على قيام المتحرى عنهم / 1 - حنان أحمد علي 2 - زينب أحمد علي بإدارة مسكنهم للدعارة وممارسة الفجور .

و حيث أن ما ورد بها يعد جريمة حال وقائمة و معاقب عليها و حيث أننا نطمئن بجديّة تلك التحريات الأمر الذي يعد مسوغاً لإصدار ذلك الإذن .

نأذن للسيد المقدم / إبراهيم خفاجي رئيس مباحث قسم شرطة الهرم أو من يعاونه من مأموري الضبط القضائي المختصين قانوناً بضبط كل من 1 - حنان أحمد علي 2 - زينب أحمد علي و تفتيش المنزل بشارع الهرم - خلف البنك الأهلي - عمارة \*\* - الدور \*\*\* و ضبط كل من يتواجد في الشقة المذكورة وكذلك ضبط كل ما قد يظهر عرضاً أثناء الضبط و التفتيش لكل ما هو معاقب عليه قانوناً على أن يتم تنفيذ ذلك الإذن لمدة واحدة خلال ثمان و أربعين ساعة من ساعة و

تاريخ إصداره على أن يتم تحرير محضر بالإجراءات و يُعرض علينا في حينه.

رئيس النيابة

عالم جمع

\*\*\*\*\*

وقفت سنية ترتعد كشرع مركب صغير في ليلة عاصفة ، دموعها تتساق على منحنيات وجهها و يديها ترتجف ، قلبها يدق بعنف و في حلقها تتألق مرارة الظلم لتفص كل حياتها بلونها المر شحب لونها و احمرت عيناها ، شعرها أصبح أشعث و ملابسها غير منسقة ، باتت ليلتها في الحجز قبل أن تُعرض على النيابة في الصباح الباكر ، تتمنى لو حكّت جسدها بقوة من أثر الحشرات الغريبة التي اتخذت من جسدها مرتعا و من ملابسها وطنا تأملهم وكيل النيابة بعينين تحملان من الاحتقار الكثير قبل أن يدور بعينه على جسد سنية و هو يتأملها قبل أن يقول بكلمات تحترق غضبا

” أنتِ من كان معك الطفل ؟؟ “

هزّت رأسها بالإيجاب قبل أن تحاول الرد إلا أن صوتها انزوى بعيدا فخرجت منها هممة غير مفهومة قاطعها قائلاً:

" تأخذين ابنك لشقة دعارة !! أنت غانية فما ذنب الصبي الم  
يكفيك تدميره نفسيًا عندما يكبر ويعرف أن أمه من النساء اللاتي يعن  
شرفهن من أجل حفنة نقود "

أخيرًا تماكنت أعصابها وهي تحاول أن تتكلم :

" من فضلك إسمح لي أن أشرح الأمر ... أنا مظلومة "

" مظلومة !! ... لو استطعت أن أحصل على جنبيه واحدٍ من كل مهمة  
دعارةٍ قالت لي أنا مظلومة ثم قصّت لي قصةً فقيرة الإبداع ضعيفة  
الروح عن الظروف التي أجبرتها أن تعمل في هذا المجال وكيف أنها  
كانت ستكتفي إلا أنهم ابتزوها ألا ترين أن هذا الكلام قد تم  
استهلاكه في مئات الروايات و آلاف الأفلام ؟؟ ألا ترين أن الواقع  
أصبح أكثر إثارة من خيالاتنا الفقيرة ؟ "

احتقنت عيناها و امتلأت بالدموع وهي تحاول أن تتحدث من بين  
نحيبها إلا أن كلامها كان متقطعاً غير مفهوم :

" الصبي ... خطف ... راقصة ... مظلومة ... أقسم "

ابتسم وكيل النيابة ابتسامة سخرية و هو يقول :

" انتظري سأحل اللغز ... هناك راقصة خطفت الصبي و أنت  
مظلومة ؟؟ "

مزت رأسها بالنفي وهي تتأهب لكي تتحدث ولكنه بأدركها بطريقة قوية  
بقبضة يده على مكتبه الخشبي فانفض جسدها وهو يصرخ بها :

" صمئا ... دافعي عن نفسك أمام المحكمة ... ولا تتحدثي مرة أخرى  
بدون إذن "

ارتجف جسدها وهاجمتها قطعان الوهن والضعف لتجتاح جسدها  
وتسكن ثنايا روحها , رفعت يدها بوهي فتجاهلها ... قررت أن تخترق  
الصمت فقالت :

" ما مصير الصبي ؟؟ "

" ألم أمرك بالصمت ؟؟ "

قال كلماته وحراباً من النظرات العادة تخترق جسدها .. قالت وهي  
تغالب دموعها :

" أرجوك ... سأصمت بعدها ... للأبد "

الطفل تم ترحيله في الصباح إلى المصحة و بالطبع سيتم عزل  
الوصاية عنك طبقاً للقانون رقم 119 لسنة 1952 المادة 27 لأنك  
متهمة في جريمة من الجرائم المخلة بالأداب والماسة بالشرف "

أنسعت عينها في هلع وهي تمنع نفسها من الصراخ تماكنت  
أعصابها وقاومت الدوار الذي يكتنفها وخاضت حرباً ضد الظلام كي

لا يسيطر على رأسها : بدأ وكيل النيابة في كتابة المحضر دون أن يسمع أيًا منهم ، تقف بجوارها الفتاتان اللتان كانتا منهماكنتين في الرقص و تزين الطفل بمستحضراتهما عندما دلفت إلى الشقة ، شعور شعناء ، اصفرت لتتألق بلون ذهبي صناعي باهت ، أجسادًا احترقت أيدي الرجال العيث في ثيابها وشفاءً احترقت التنبلات الحرام ، وجوة كان بها لمعة جمالي قبل أن تكسوها غضبة الرب من أفعالهن ، بقايا جمالي ذاب وسط ظلام الحرام ، فتاة أصغر منهما ، تبدو على مداخل العشرينات يتوج وجهها الجميل شعرًا أسود ينسدل كشلالٍ على كتف أبيض ، يدور حول جسدها غطاءً أبيض يغفي جسدها و يبرز مفاته ، تقف بلا اهتمام تمضع قطعة من اللادن ، وجوههن تكشف أنها ليست مرثم الأولى ، ونظراتهم تنئى باحترافهن محاضر النيابات و نوم الزنازين أما في الخلف فيتزوي رجلٌ أربعيني ضخم يرتجف بشدة و هو يحاول أن يغطي جسده بالغطاء الذي يحويه بصعوبة ، بدينٍ أسمٍ غليظ الشفاه ، أنفه عريضٌ والصلع يتسلل إلى رأسه بخفة ، عيناه حمراوتان ... يبدو أنه ليس من سكان العاصمة فلهجته تختلف عنهم كما أن رعدته تغير الجميع أنها مرته الأولى ، هذا الرجل لم يختبر ظلام السجن من قبل .

كان وكيل النيابة على وشك إغلاق المحضر وهو يوزع التهم و يقسمها بينهم و يفرض مطلقًا أن يستمع لأي محاولة تبرير من سنية ، استمعت بحرص لكلماته التي يملها على حاجبه : " تكون كلاً من المتهمتين الأولى

والتالية ارتكبتا جنحة بالمادة رقم 8 من القانون رقم 10 للسنة 1961  
لمكافحة الدعارة .

وكلا من المتهمين الثالثة والرابعة ارتكبتا جنحة بالمادة رقم 13 من  
القانون رقم 10 للسنة 1961 لمكافحة الدعارة .

و يكون المتهم الخامس قد ارتكب جنحة بالمادة 279 من قانون  
العقوبات.

لذلك

وبعد الاطلاع على المادة 1/214 من قانون الإجراءات الجنائية

تأمر

أولاً / بإحالة القضية إلى محكمة جنح الهرم لمعاقبة المتهمين طبقاً  
لنص مواد الاتهام سالفة الذكر.

( مع استمرار حبس المتهمين )

ثانياً / بنبذ المحامي صاحب الدور للدفاع عن المتهمين

ثالثاً / بإعلان المتهم بهذا الأمر في خلال 10 أ.

رابعاً / إرفاق حالة الصحيفة الجنائية للمتهمين "

أنهى كلامه و هو ينادي على الجندي الواقف بجوار الباب في تراه ،  
استقام جسده و دخل إلى الغرفة فأمره وكيل النيابة بأخذ المتهمين إلى  
الحجز حتى يعين موعد عرضهم على المحكمة ، ارتعدت سنية وهي ترى  
مستقبلها ينهار و سمعتها تتمزق ، يبدو أن الطفل بالفعل ليس طبيعياً  
... إنه ينتقم منها لأنها أهملته ، أبحرت هذه الفكرة المجنونة في خيالها  
قبل أن تطردها و هي تتأمل الجندي الذي تحدث بصوت لم تسمعه ،  
لم تعد تسمع أو ترى شيئاً من العالم بأسره سوى عينيه ونظراته ،  
استعادت ما حدث خلال الأسبوع الماضي و هي تتابع السير خلفهم  
لمستقبلها المظلم .

\*\*\*\*\*

رئيس نيابة الهرم – لشؤون الأسرة

مقدمه : بهاء هاشم محمد السيد كامل المقيم بالجيزة – الطالبة و  
محلل المختار مكتب الأستاذ / نادر النادي مروان

الموضوع

توفي والدي المرحوم / هاشم محمد السيد كامل بتاريخ 10 / 8 / 2013  
و بتاريخ 4 / 9 / 2013 تم تعيين وصية السيدة / منية أحمد البوهي  
على أخي القاصر في القضية رقم 315 / 2014 و بتاريخ 13 / 9 / 2014

تم عزلها لعدم صلاحيتها للصباية و لما كان الطالب أحق بتعيينه وصيًا  
على القاصر ليرعى شؤونه

بناء عليه

يلتمس الطالب إحالة الطلب للمعكمة بالموافقة على ترشيح الطالب  
وصيًا على القاصر / بهي محمد السيد كامل لتولي شؤونه

\*\*\*\*\*

تجاهل بهاء الصرخات والاستجداءات التي طاردت أذنيه ... صم سمعه  
عنهم وهو منهمك في تشرح أجسادهم بمشرطه الذي يجري في اللحم  
بشقي ليخلف خطأ أحمرًا صغيرًا سرعان ما تتفجر منه الدماء وتزدهر  
الصرخات في العلووق كان منهمكًا في جرح أجسادهم بعرض ... بين  
كل جرح والآخر مسافة لا تتعدى العشر سنتيمترات طوليًا وعرضيًا  
يرسمها بدقة وحنكة فنان يرسم أحد لوحاته ... الفارق الوحيد أن  
لوحته بعنوان الألم تمتاز بلونها الأحمر الدامي المختلط مع صرخات  
مؤلمة عرى جسديهما تماثًا وأسجاهما على الأرض و شرع في رسم  
لوحته الفنية الدموية على أجسادهما , يصترلك الأجساد بتوقيع أليم  
, شعر بعضوره فارتجف جسده , الألم !

ذلك المخلوق الشرس , الذي يتغذى على السعادة والروح البشرية .

انتهى أخيرًا فوقف أمامهما محافظًا على ابتسامته الغامضة الخفية ،  
بتل وضعية رأسه من اليمين إلى اليسار متجاهلاً ألى سرى في أوصاله .  
ابتعد خطوتين للخلف قبل أن يقف مرةً أخرى و يتأمل أجسادهما .  
التمعت عيناه و اتسعت ابتسامته ، لو كان الألم رجلاً لاتحنى له إجلالاً  
كان دائنًا ما يعتقد أن خلق الألم من مهام المصطفين من قبل  
الشیطان ، هم رسله وجنده و هو نبیهم المختار : أعطاهم ظهره للعظة  
قبل أن يعود للخلف كما لو أنه نسي شيئًا ما ، مد يده ليتناول قطعة  
من الشريط اللاصق و يحكم إغلاق فاهما به ، تابعا الصرخات وإن  
كان صوتها قد خفت بعض الشيء ، رحل ليهبط درجات السلم ببطء ،  
اختفى لمدة لا تتعدى الدقائق و صعد يحمل بعض الأشياء في يده ،  
وجه حديثه لقائده :

"أيها القائد ... هل تعلم ما أحمله هنا ؟؟ "

نظر له القائد بعينين تحملان رسائل فزعة و هو يحاول أن يتمم  
ببضع كلمات كتبتها الشريط اللاصق ، ابتسم بهاء و هو يخبره بصوت  
تعتقد أن يكون مرعبًا :

" شطة !! "

اتسعت عينا القائد في فزعٍ بينما حاول هنري الصراخ رغم جروحه  
التي تبصق الدماء باستمرار تجاهلها بهاء و هو يحضر صحنًا  
مستديرًا عميقًا و ينثر في قاعه الشطة ، ظهر بعدها عدة ليمونات أشار

هم للقائد هنري وهو يقطعهم بمشرط خضهم بالدماء ، عصرهم  
على الشطة وهو يقلب السائل المسحوق ، زجاجة من الخن ظهرت  
لنسكب القليل على هذا المسحوق المعجن ، أصبح عنده خامة جيدة ،  
الأمر كله اختلط ببعضه البعض ليصبح أشبه بالعجينة السائلة ، قوائم  
لزوج متماسك ، لم يكتف بهذا الأمر ، مشى حتى وصل للوح الزجاج يقف  
وحيداً في الظلام ، نظرة ساخرة مصحوبة بابتسامة مرعبة قذفها على  
هنري والقائد قبل أن ينهمك في تكسير لوح الزجاج ، بعد بضعة دقائق  
انتهى ، ارتدى قفازاً سميكاً من الجلد البني و تناول الزجاج المكسر  
لقطع صغيرة كحبات الرمال ، ألغاهما في الوعاء وهو يقلب باستمرار ،  
انتهى فابتسم وهو يقول بصوت فيه سخرية مرعبة :

" انتهيت من إعداد طبق اليوم ... هل لكما أن تنكرما وتذوقاه "

أنهى كلماته متبوعةً بضحكة تردّد صداها بصوت عالٍ في المخزن ،  
مشى يحمل الوعاء ومشرطه حتى وصل لجوارهما ، ترك الوعاء  
المشرط أرضاً وهو يطمئن إلى أن شيئاً ما يقبع باستكانة في جيبه ،  
أمسك المشرط وبدأ في فتح الجروح وتوسيعها بعض الشيء قبل أن  
يفغرها من الداخل بالمسحوق ، الشطة والخل والليمون والزجاج  
بجتماعان في جرح واحد !!

صرخات لا حصر لها كتمها الشريط اللاصق الذي تراخى طرفاه بعد  
عدة جروح وكأنه قد أنهكه التعب في محاولاته لصد هجمات الصراخ

و العويل و موجات الذهب التي لا تلتقي ، انتهى من جسد قائده قبل  
أن يفعل المثل بهتري متجاهلاً كل الرسائل التي بعثها له هنري بعينيه ،  
جراحهما امتلأت بالمسحوق الغريب الذي حضره ، شعر الإثنين بال ألم لا  
يوصف ، كان نازراً تجري في أوصالهما ، ذرات الزجاج تؤلمهما و كلما  
تحركت تجرح الجسد من الداخل لتمسّه الشظية و الليمون أو يسري  
بها الغل ... الألم في أدنى حركة و الألم بلا حركة !!

ألقى بهاء بالوعاء بعيداً بعدما انتهى و هو يُخرج من جيبه بكرةً من  
الخيوط و إبرةً سميكة ، اتسعت عينا القائد المليئين بالدموع و هو هزّ  
رأسه بعنف و يصرخ قدرا استطاعته ، بدأ اللاصق في التراخي فبدأت  
الصرخات في العلو ، وبدأ بهاء في الاستمتاع .

انهك بهاء في تخطيط الجروح كلها ، فقد الإثنين وعيها من شدة الألم  
بينما مسح بهاء عرقه الذي انهمر أثناء رسمه للوحته الفنية ، تأمل  
عمله النهائي بإعجاب قبل أن تلتصق عيناه ، دخل إلى الحمام الملحق  
بالمخزن و استحم ، بدل ملابسه و خرج يجب أن يتخذ إجراءاته  
اللازمة من أجل العودة إلى وطنه مرةً أخرى .

\*\*\*\*\*

صوت نكبة عالية أخرجه من تركيزه ، نظر أمامه ليجد طبيبته النفسية  
تُشعل طرف سيجارتها من قذاحة معدنية تتلألأ بلون أحمر ، سعبت  
نفساً من الدخان و تركته يجول بداخل صدرها للحظات قبل أن تنفثه

للخارج، عمودٌ من الدخان خُلِقَ من بين شفتين ينحني أمامهما الحُسن  
منتهًا ... انقبضت أسارير وجهه وهو يمد يده لها، فتحت غطاء علبتها  
وأمالها نحوه لينتقي سيجارته إلا أنه أشار لها أنه يريد الموجودة بين  
شفتها، ابتسمت في دلالٍ وهي تمدّ يدها بها إليه، تناولها برقةٍ وهو  
يتأمل طبعة شفتها القرمزيتين على فلترها البرئ، أمسك بها ونظر لها  
وابتسم للحظةٍ وهو يسلمها حياتها و يطفئها في مطفأة السجائر  
الموضوعة على النافذة، نظرت له وقد فرّت نظرة الدلال من على  
ملامحها الحسنة لتحل محلها نظرة تساؤلٍ حائرة، ابتسم في تكلفٍ  
بعصبيةٍ وهو يقول :

"أحاول الإقلاع"

ابتسمت بعصبيةٍ هي الأخرى وهي تتأمله بعينين كحيلتين تحملان  
العديد من الرسائل، نظرت للأكوام الفارغة أمامها قبل أن تنظر  
لساعها، قالت بصوت خفيض :

"لقد اقترينا من منتصف الليل ... هل تحب أن نستكمل بالغد ؟؟"

وقف ليشعر بعظامه تننّ من طول وقت جلسته، هندم ملابسه بسرعةٍ  
وهو يقول بصوتٍ قطعه تناؤٌ حادٌ لم يحاول أن يمنعه :

"حسنًا لم يعد هناك الكثير ... اقترينا من النهاية"

ابتسمت وهي تقترب من علبتها لتسحب سيجارة أخرى بشفتها . أشار لها بيده ألا تفعل فتسمرت في مكانها للحظات تتأمله قبل أن تعيدها مكانها بشفتها أيضاً وهي تنظر له وتغلق العلبة وتردد بصوت خافت : "أوامرك"

ابتسم في إحراج قبل أن يفتح الباب و يقف للحظة يستنشق هواءً يعدو إليه من نافذة مفتوحة , التفت للخلف وسألها :

"في نفس الموعد ؟؟"

أجابته بابتسامة :

"في نفس الموعد"

"سينتهي الأمر غداً ... أعدك"

ابتسمت ولم ترد وتأملتة وهو يخرج من عيادتها قبل أن يغلق الباب خلفه . خلعت حذاءها وهي تتأوه بدلالٍ وترفع قدمها كالأطفال و تودجها في الهواء للحظات , أشعلت سيجارتها وأغمضت عينها وهي ترك الدخان يتسلل إلى ثنايا صدرها ليثبعتها بالنيكوتين .

\*\*\*\*\*

دخل شريفٌ إلى شقته وهو يغلق الباب بحرصٍ من خلفه . لم يفتح أي ضوءٍ وترك الشقة غارقةً في ظلامٍ دامس , خلع حذائه وتسلل على

سجادة ناعمة دغدغت قدميه برغم جوربه السميك ، ابتسم و هو  
 ينسلل إلى حجرته ، انعقد حاجباه و هو يتأمل الفراش الغالي ، الفراش  
 مرتب و كأن أحدا لم ينم عليه منذ شهور ، الغرفة بأكملها مرتبة و  
 منظفة بعناية ، تلقت حوله بعصبية يتأمل الغرفة ، زحفت يده على  
 الحائط الأملس البارد حتى وجدت مبتهاها ، ضغط زر الإضاءة فجاءت  
 إضاءة بيضاء لتغير سماء الغرفة و تنضح كل الموجودات في الغرفة  
 أمام عينيه الحائرتين ، ترك الغرفة بعصبية و هو يتجه نحو الغرفة  
 الصغيرة التي خصصوها للطفل لعلها تنام هناك ، الغرفة الأخرى  
 أيضا خالية ... أنار الشقة بأكملها ما عدا الحمام و المطبخ ، دار حول  
 نفسه عدة مرات في عصبية قبل أن يقف مكانه و هو يمسك رأسه  
 بكفي يديه في عصبية ، ذلك جانبي رأسه برفقي و كأنه يطرد صداغا غير  
 مرحب بحضوره ، شعر بدوار بهاجمه جراء تحركه بسرعة و عصبية ،  
 جلس هدهوء على أقرب أريكة له و هو يترك جسده يسترخي ، أراح رأسه  
 للغلف و تأمل السقف للحظات قبل أن ينتفض كمن لدغه عقرب ،  
 وقف و نادى بصوت عالٍ :

"حببيتي !!"

أنصت للحظات و لكن لم يكن هناك أي صوت من الشقة سوى  
 صوت أنفاسه المتوترة ، كرر نداءه مرة أخرى و إن كانت نبرة بأسف قد  
 تسلت لصوته :

"حبيبي !!"

لا

أد

آلاف الأفكار المخيفة اجتاحت رأسه ، يعلم جيدًا أن تلك القضية لم أغلقت منذ حوالي العام إلا أنه لا يزال يعلم بها ... لا يزال هذا الطفل يهاجمه في كوابيسه ... ما تزال صرخته و الدماء تملأ فمه هي أسوأ ما حدث له في حياته .

حاول أن يطرد تلك الأفكار إلا أنه سرعان ما استسلم لها ، ترك جسده ينهار على الأريكة التي تحركت ليضع سنتيمترات تحته و هو يرتجف بقوة ، زوجته و ابنه القادم ، وليّ عهده و حامل صولجان ابوته ، كان يعرف أن هذا الطفل المتوحد ملعون ، لم يكن الأمر أنه ذاتوي ، الأمر كان أكبر من هذا .

شعر بحلقه يجف ، تحرك بخطوات بطيئة حتى وصل للمطبخ ، ضغط زر الإضاءة لينير المطبخ بضوء صناعي أبيض ، ملح و رقيقة صغيرة تلصق بمغناطيس صغير يشبه حبة الفلفل ، يستند كلاهما إلى باب الثلاجة ، أسرع إليها و جذبها بعنف متجاهلاً المغناطيس الذي سقط أرضاً ليعلو صوت رنينه محتجاً على تلك المعاملة ...

>>عزيزي شريف

فاجأتني آلام الولادة و لاحظت قصر فترات الانقباضات ... يبدو أن الأمير الصغير سيأتي مبكرًا

لا تغلق ... اضطهرت للرحيل فجأة ... أنا مقيمة عند والدي ... حاولت  
أن أحدثك إلا أن هاتفك

مغلق بمجرد أن يصل وليّ العهد سنحدثك كي تأتي إلى المشفى ...  
أرجوك كن بجوارى

يا سندي وقوتي ... لولاك ما كنت وما كنت لأريد أن أكون

أحبك كثيرًا >>

تحتس جيبه ليجد أن نسي هاتفه مغلقًا منذ خروجه من عند  
الطبيبة ، زفرة حارة خرجت من صدره محفلةً بعبء الراحة ورائحة  
الاطمئنان ، أذابت كل جليد تآلق و عدم الراحة و طردت كل الأفكار  
الكابوسية بعيدًا فتح الثلجية و تناول زجاجة مياه باردة ، المنه  
أطراف أصابعه برغم إلا أنه فتحها و ألقى غطاءها  
بعيدًا و هو يعب منها قـ ... اعته و كأنه يطلق حريقًا من التوتري  
جوفه ، أنهى نصف الزجاجـ ... أن يتأملها للحظات و يرفعها عاليًا و  
يترك المياه الباردة تسيل على رأسه ، لكم كان يحتاج مثلها الآن ، شفق و  
وضع الزجاجاة جانبًا و هو يرتعد و يتهدد بعمق و يخرج للصالة مرة  
أخرى.

\*\*\*\*\*

وقفت سنية ترتعد بردائها الأبيض خلف القضبان ، لم تكن قضبان حديدية فحسب بالنسبة لها ، كانت قضبان الحسرة والألم والظلم ، قضبان القهر وهوان النفس ، قضباناً لا تفصلها عن حريتها فحسب ، لكن تفصلها عن نفسها ، ليست سنية هي من في الحبس ، كانت تشعر أنها غريبة عليها ، لا تكاد تصدّق ما حدث لها دمعاً شريداً نسلت على وجنتها المرتجفة لتخلّف خلفها خطأ مستقيماً كخط حياتها قبل ظهور الطفل ، تذكرت الطفل و ما قضته معه ، جالت بعينين تحملان غلاً و غضباً لا حدود لهما ، من نعم الله على البشر نعمة كظم الغيظ فلولما لثارت ثوراتاً أشدّ من البراكين ، نظراتٌ حارقةً مشت على أربعة أجسادٍ تقبع خلف القضبان ، ثلاثة منهم يمارسون اللا مبالاة في أسمى صورها أما الأخير فيقف متوتراً يراقب بهلج باب القاعة خوفاً من قادم يعمل شراً معه ، الثلاث فتيات يجلسن بلا أي توتر ، الرجل يقف يراقب القاعة برعب ، و سنية تراقبهم جميعاً بغضب

سمعوا صوت حركة ، فأدار الجميع أنظارهم إلى ما خارج القضبان ، قاعة محكمة ضخمة ، على يمينها يقبع الحجز مخفياً خلف قضبان حديدية باردة تقف لتؤدي واجبها كما ينبغي ، في صدر القاعة ترتع منصة خشبية ضخمة و من خلفها ثلاث مقاعد حسنة الهيئة تقبع بشموخ يليق بها و خلفها على حائط عملاق ترفع صورة تتوسط إطاراً خشبياً ثميناً بداخلها قوله تعالى

وَإِذَا حُكِّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَمْكُمُوا بِالْعَدْلِ

منصة خشبية صغيرة تقف باحترام أمام المنصة الكبرى لكي تحوي  
المحامي الموكل بالدفاع عن المتهمين ، ومقاعد خشبية متوازية يفصل  
بينها ممرٌ صغيرٌ لكي تحوي أهالي المتهمين و أعضاء هيئات الدفاع و  
الشهود . على يسارها يوجد مكانٌ يشبه المكتب يقف وحيداً ليعوي  
عضو النيابة .

من باب خشبيّ خلف المنصة وقف الحاجب الذي يرتدي بدلةً من  
قطعتين سماوية اللون ، وقف يمسك بيده عدة أوراق ، نظر للجميع  
للحظةٍ فانتظم الجميع وخفت الأصوات ، توقفت الحركة تماماً ، دخل  
القاضي إلى القاعة بوقارٍ فنادى الحاجب بصوتٍ معتزٍ جهورٍ :

" محكمة ا "

وقف الجميع احتراماً و إجلالاً لهيبة قاضي موقرٍ دخل ، هدهد ليتأمل  
الجميع بعينين تحملان من الطيبة أطنائاً قبل أن يتسم للحضور و  
يجلس على مقعده ، رفع نظارته ليعلقها عند جبهته العريضة ، بعينين  
سوداوين راقب الأوراق التي كان يحملها لبرهة قبل أن يشير للعضو  
بالجلوس ، جلس الجميع في صمت ، بدأ الحاجب بنادي أرقام القضية  
و أنواعها ، وقف الجميع يراقبون القاضي ، نادى الحاجب على آخر  
قضية في رول القضايا ، نظر لأوراقه قبل أن يأمر القاضي الدفاع أن  
يتحدث ، اقترب المحامي حتى اعتلى المنصة الصغرى ، بصوتٍ عالٍ  
تحدث :

"سيدي القاضي ، ليس هناك الكثير ليقال هناك أربعة متهمين اعترفوا بجريمتهم وبالتالي لا نستطيع أن نفعل أي شيء لكن سنية ، تلك الفتاة المسكينة التي تواجدت في مكان خاطئ و زمان خاطئ ، سيدي المجهون انفسهم اعترفوا انهم لا يعرفونها "

نظر القاضي لسنية التي تشبعت بالقضبان الحديدية في تضرع واضح ، تحدث لها بصوت هادئ :

" سنية ، ذا كنتِ تفعلين هناك ؟؟ "

بصوت متوتر مزوج بدمع يهطل بدأت تقصّ كيف خُطف منها الطفل و تُركت لها الوريقة ، مكالمه الهاتف بينها و بين احداهن حتى أعطتها العنوان ، رحلتا حتى وصلت لباب الشقة ، وصفت له كيف وجدت الطفل ، تهذج صوتهما و هي نصف كيف كنّ يجتلنه و كيف كان يصرخ و يبكي ، خروجها في اللحظة الخاطئة و القبض عليها ، وكيل النيابة الذي رفض الاستماع إليها و الشهامة الغير متوقعة من المتهمات باعترافهن أنها ليست منهن ، أقسمت له بقسوة أنها عذراء لم يمسسها بشر و كيف أنها وضعت للجميع عذريتها و رفض الجميع الاستماع ، بدموع تهطل بدأت حكايتها و بشهقة أنها

استمع القاضي و هز رأسه قبل أن يستمع للكلمة قصيرة من الدفاع تلها كلمة أقصر من عضو النيابة قبل أن يعلن أن الحكم بعد المداولة ، خرج من القاعة فتسبّد الهرج الموقف لدقائق

دخل القاضي للقاعة مرةً أخرى فانتظم الحضور سريعاً ، بصوتٍ  
جهور هادي أعلن القاضي :

" حكمت المحكمة حضورياً بالسجن لمدة ثلاث سنوات على كلٍّ من  
حنان أحمد علي وزينب أحمد علي على فتح فتح محلٍّ لإدارة الدعارة  
طبقاً للمادة الثامنة من القانون رقم 10 لعام 1961 / مكافحة الدعارة  
وبالسجن لمدة عامٍ واحدٍ على المتهمه رباب محمد الجمل بالحبس لمدة  
سنةٍ واحدة و على المتهم شامل محمد شحاتة بالحبس لمدة ستة أشهر  
لتلبسهما في وضعٍ معزٍّ بالأداب العامة طبقاً للمادة رقم 9 من نفس  
القانون ، و بالبراءة للمتهمه سنية أحمد البوهي نظراً لعدم ثبوت أدلةٍ  
على تورطها يمثل هذا الأمر رُفعت الجلسة "

من بين دموعها المتساقطة سمعت سنية الحجاب و هو يعلن عن  
انتهاء جلسات اليوم القصير . نظرت للمحامي من بين القضبان و هي  
تبكي ، بصوتٍ مليٍّ بالعرفان سألت :

" هل سأرحل الآن ؟؟ "

ابتسم المحامي و هو يقول لها :

" بالطبع لا ، سيتم ترحيلك الآن إلى القسم الذي تم القبض عليك به و  
من هناك سيتولى الضابط المسؤول البحث في صحيفتك الجنائية عن

أي قضايا أخرى مطلوبة فيها ... لو لم يجد يتم إخلاء سبيلك من هناك  
! مباركٌ عليك البراءة"

اجهشت بالبكاء فلم تسمع آخر كلماته و تركت نفسها للجندي يقودها  
نحو الخلاص .

\*\*\*\*\*

وقف بهاء أمام الجسدين الفارقين في بركةٍ من دماءٍ جافّة كان يعوم  
بها أنهارٌ من الألم و مراكبٌ من الصرخات تحت سماء العذاب المظلمة ,  
مدّ قدمه و يطرف حذانه ركل أحدهم في وجهه , تلملم القائد في مكانه  
ولكن أبي وعيه أن يعود إليه بسهولة , ابتسم بهاء ابتسامة شرّ تلاعب  
فيها الشيطان بمهارة فوق ملامحه الوسيمة , ذهب تجاه جسد هنري و  
دفعه بقدمه هو الآخر فلم يبق , ابتسم بهاء و هو يتمتم بصوتٍ خافت :  
" حسناً فعلتما أعطيتماني فرصةً لكي أحتفل معكما بهدية عيد  
الميلاد "

وكان أحداً ما يحدثه ابتسم بغيبث و هو يقول :

" أعلم أن مازال هناك المزيد من الوقت قبل حلول عيد الميلاد ولكنني  
لن أكون هنا ... ولا أنتما أيضاً "

أخرج من حقيبة كتفه جهازًا يشبه المكواة إلا أنه يُستخدم لكي الجروح . وضع قابسه في الكهرباء و تأكد أنه يعمل , اتجه للقائد و بخفة تناول يده , كان الجرح قد تقبّع و يبدو أن هناك مزبذ من القيح تحت الجلد . كان الجلد يحوي سائلًا غير منظم تحت ثنياته بينما احمرت اليد بعنف و تودمت للغاية , الجروح الناتجة عن الخياطة كانت تزعج القبح و كأنها قد فقدت السيطرة على نفسها ! طمطق بلسانه بعدم رضا قبل أن يتناول المكواة و يبدأ في كيّ الجرح بهدوء و كأنه يمارس أمرًا طبيعيًا , لم تمرّ لحظاتٌ إلا و كان صوت صرخات القائد يعلو بشدة و هو يمتلئ بالعذاب و نبرة الألم الذي لا يحتمل , يبدو أن الصوت قد أزعج بهاء , هزّ رأسه في عدم رضا قبل أن يمسك بشفتي القائد في قسوة و هو ينظر في عينيه نظرة شرسة , تحدّث بصوت عميق مليء بالقسوة :

"أفمست طفولتي ... فلا تفسد لحظاتي المرحّة أيضًا "

ارتجف القائد و قد صمت و كأنه ابتلع لسانه من شدة الفزع : أممك بهاء بشفتيه و ضمهما على بعضهما البعض و انفمس في سادية يكوهما ببعضهما ببراءة و استمتع جليّ على وجهه , انتهى من كتهما ببعضهما , ذاب الجلد و تغصّب على بعضه البعض , حاول أن يصرخ أو أن يفتح فاهه إلا أنه لم يفلح , سقط مغشيًا عليه من شدة الألم مرةً أخرى , انهمك بهاء في كيّ جروحه حتى انتهى , تجاهل العرق الحارّ الذي سال على جسد القائد كان يعلم جيدًا أن القيح و العرق هم

بداية النهاية ، يبدو أن ملك الموت سيؤورهما قريباً ، ابتسم عند ذلك الطاهر وهو ينود حول أجسادهما حتى واجه هنري : بدا له أن هنري قد استعاد وعيه وإن كان يتظاهر بفقدان الوعي علّه يتال من بهار رحمته رشقاً أو يزبد ، واجهه بهاء بابتسامة ساخرة وهز رأسه في تفهم قيل أن يعود للحقيبة السوداء مرة أخرى ويُخرج منها شيئاً لم يتبينه هنري من بين عينيهِ اللتان يراقب بهما بهاء في فزع ، التفت له بهاء والشيطان يتلاعب بينهما بشرح غامر فأغلق هنري عينيهِ بقوة ولم يتبين هل رآه بهاء أم لا .

اقترب بهاء منه في حرصٍ وحمل رأسه ووضعها على قدميه وهو يجلس بجواره ، همس له في أذنه :

" لقد حضرت ... لا تخف ... أعرف أنك مستيقظ "

حلّ بهاء يديه من خلفه وأحكم ربطهما أمامه بعد أن فتح هنري عينيهِ وتطلع له برعبٍ أخرسه بالفعل ، ابتسم هنري بقوة وكأنه يتقذى على رعبه وفزعهِ ، فتح يده ليريه ما يُمسك ، تطلع هنري لمجموعةٍ من الإبر الطويلة ، تحدّث هنري بصوتٍ واثقٍ وهو يقول :

" لقد رأيت تلك الطريقة من قبل في أحد المسلسلات أو الأفلام ... لا أستطيع حقاً أن أتذكر جيداً "

صمت للحظة قبل أن يضغط على أحد الجروح ليتقيأ الجرح قبحاً  
سميماً وهو يقول :

«أما تلك فهي من اختراعي

عُض هنري على شفته من شدة الألم ولكنه لم يصرخ ، لم يكن  
ليجازف بإغضاب بهاء ، أمسك بهاء أحد الإبر وهو يقول :

«سمعت أن المراكز الحسية للألم والنهايات العصبية في بداية الأنامل  
حساسة للغاية»

أمسك إحدى الإبر وبدأ يقرسها وهو يغلظ عينيه في استمناح حتى  
دخلت بأكملها لنهاية الإصبع

«هذا الأمر يسبب إما شعوراً بحرقى يحتاج أحشائك أو صدمة كهربية  
تحتاج جسدك»

ابتسم ابتسامة تحمل شيطان الخبث بين طياتها وهو يقول بلهجة  
ذات مغزى :

«لا أستطيع أن أنذكرو لكك ستعلم بالتأكيد

صرخ هنري وقد انتهت قدرته على تحمل الألم ، ابتسم بهاء وهو يقول:

المذهل في تلك الطريقة أنها بالتأكيد تمنعك من فقدان الوعي و بالتالي تشعر بكل ذرة ألم ... كل ذرة ألم مهما كانت صغيرة "

تتابعت صرخات هنري واستمر جسده في الارتجاف بقوة , اخبر بهاء الإبرة بقوة من يده فصرخ بعنف وهو يفقد الوعي , ضحك بهاء بشدة وهو يقول بصوت عالٍ وكأنهما يسمعانه :

" حسنًا سأنهي الأمر الآن "

مدّ يده إلى ظهره وهو يعلم جيدًا مكان ما يبحث عنه , في الحيز الضيق بين ظهره وبنطاله كان يقع مسدس متعطشٌ للدماء , أخرجه وأداره في يده للحظاتٍ قبل أن يدبر وجهه للجهة الأخرى وهو يضحك في تلذذ , رددت جدران المخزن صوت عبارين ناريتين دويًا بشدةٍ أصابت بعض الغربان بالفزع فطارت بعيدًا وهي تنعق محتجةً على ذلك الصوت المرتفع المفاجئ جثتان بلا رؤوسٍ وبلا روح ترقدان أمامه , بصق عليهما قبل أن يدبر وجهه ويمشي إلى المنضدة : فتح حقيبته الصغيرة وهو يخرج منها بضعة أوراق , فتحتها وهو يقرأ الاسم بصعوبة : ((بهاء هاشم محمد السيد كامل)).

ردّد بصوتٍ خافتٍ وهو يحدث نفسه :

" من الجيد أنني أتذكر هذا الاسم جيدًا "

بدا يراجع أوراقه مرّة أخرى يهدوء ... شهادة ميلاد . بطاقة شخصية .  
أوراق لا يفهم ما فيها و جواز سفر كلها تنتمي لجمهورية مصر  
العربية وكلها مزورة بدقة وعناية .  
ابنسم وهو يراقب آخر أوراقه , تذكرة سفر بموعد قريب , حان موعد  
العودة للوطن ... هناك بعض الأعمال يجب أن تتم هناك

\*\*\*\*\*

رن هاتف شريف , نظر لشاشته التي تضيء و تُظلم بانتظام مع تتابع  
صوت موسيقى رنة الهاتف , نظر بعينين أذاهما الضوء , رأى اسم  
رئيسه المباشر العقيد كامل يتألق على الشاشة سجب يده على  
الشاشة التي تعمل باللمس لكي يجيبه , تفض أثار النوم عن صوته و  
أجاب بصوتٍ مستفيقي واضح

"ألو ... ما الأمر يا سيدي

أتاه الصوت يحمل لمحة غموضٍ من الجهة الأخرى :

"أريدك أن تأتي إليّ بأسرع ما تستطيع "

هرب النوم مسرعاً أمام مارد الاستيقاظ الذي حضر إلى المكان  
فتساءل شريف بفضول :

"حسناً ولكن ما الأمر "

”الأمر له علاقة بالقضية التي تقع تحت مسؤوليتك “

” شيء جديد ! “

” شيء قديم !! “

” مهم !!! “

” سينهي القضية !!!! “

” دقائق و اكون أمام سيادتك “

” لا تتعجل ... عمرو هنا و ينتظرك بحماس لكي يقصّ عليك الأمر “

انتفض جسد شريف و هو يلقي هاتفه بسرعة على الفراش قبل أن ينظر لزوجته بحرص , خشي أن يُفلق نومها , ارتدى ملابسه في الظلام و بسرعة قبل أن يتناول هاتفه و يضعه في جيبه , وضع حافظة مسدسه تحت إبطه و أحكم ربطها حول جسده , ارتدى معطفًا ثقيلًا و أغلق الباب بحرص , و حرص على ألا يصدر أي صوتٍ يخلق نوم ملاكه الحنون , بمجرد أن أغلق الباب اندفع ينهب السلالم بسرعة و هو متعمس , أدرسنا لين الحماس طفى على جسده فأزال عنه كسل النوم , لم نمر دقائق حتى كان يدلف من باب القسم يخطو بخطواتٍ سريعة , برغم برودة الجو إلا أنه كان يتصبب عرقًا ... ينهج بقوة ... و لكنه بالتأكيد لا يهتم , دقائق أخرى و كان يدلف إلى المكتب و يقف بقوة

معطياً فائده النجبة العسكرية . ردها بتكاسل و هو يدعوه للجلوس امامه . كانت عينا عمرو تلمعان بشدة و الحماس يطغى على قسماته .  
البسامة صغيرة شجعه بها شريف على البدء فتكلم .

" أنهى الطالبان الجامعيان هاشم و ميرفت دراستهما لتلك السنة  
اتفقا على عدة مواعيد في أجازتهما لكي يريا بعضهما البعض ، أصدا  
فصة جهما كانت تهز أسوار الجامعة ، يعرف بها و يباركها جميع الطلبة  
و جميع المدرسين و المحاضرين بتلك الكلية ، ولكن بعد الأجازة سرعان  
ما كان كل منهما يتجنب الآخر كالطاعون ، لمدة تزيد عن الخمسة و  
العشرين عامًا . أمرٌ غريبٌ حرص كلاهما على إخفائه إلا أن ميرفت  
في يوم من الأيام زلّ لسانها تحت تأثير الضغط النفسي فقحت سرهما  
لأحدى صديقاتها ، إتقيا في الأجازة و في مرة من المرات حضر الشيطان  
و تسيد الموقف فرحلت ملائكة البراءة و العفة لفعل محلها شياطين  
الفضب و الذنب الكبير ، وقعا في المحذور و حملت ميرفت بطفلٍ من  
هاشم !! "

أنسعت عينا شريف بقوة عند تلك النقطة فأشار له . العقيد كامل  
بالصبر ، هز رأسه و إن لم يزل عن وجهه آثار التعجب و الدهشة ،  
استمر عمرو في القص :

" اختلفا ... هاشم أراد أن تجري ميرفت عملية إجهاض ولكنها رفضت  
و تمسكت بالجنين ، أرادت أن يتزوجا ولكنه تحجج بأنه ليس مستعداً

نفسياً ولا مادياً ، فكرت أن تنتحرو لكنها رأت الانتحار ليس مروباً  
فالانتحار أنانية مطلقة ، أخيراً توصلت لقرار ليس سهلاً على الإطلاق .  
لن تجهض ... لن تقتل روحاً ولو كانت مبنية على فعلٍ حرام ، أخبرت  
والديها بأنها ستقيم لدي صديقتها هذا العام ولن تأخذ أجازات لأن  
العام مزدحمٌ وقتها مليء بالمحاضرات ، تفهم والداها الأمر من شدة  
ثقتها فيها ، جراب الإحساس بالذنب كانت تنفخ في روحها فتدعها  
لكن ما باليد حيلة ، أخطأت و من الشجاعة تحمل تبعات الخطأ ،  
بالفعل وصل الصغير قرب نهاية العام ، لم تستطع الاحتفاظ به ، ألقته  
أمام أحد الملاحئ و بصحبته وريقة بها اسمه بالكامل ، تقاربرنا و  
تعرياتنا تخبرنا أن الصغير سافر بصحبة من تبنوه للخارج و لم يعد ،  
عاداً بدونه ، غير معروفٍ مصيره ولا أي نشاطٍ زاو له بالخارج "

هز شريف رأسه عندما صمت عمرو و نظر للعقيد كامل قبل أن  
يلاحظ ابتسامه خبيثة تتلاعب على شفاههما نظر لعمرو بحماس و  
هو يشير له بالاستكمال ، تحدث عمرو ببطء و هو يقول :

" الصغير يدعى بهاء ... بهاء هاشم محمد

صمت عمرو للحظة لكي يعطي كلامه التأثير المطلوب قبل أن يسمع  
صوت شريف و هو ينطق الاسم وكأنه يتذوقه:

" بهاء ... هاشم ... محمد ... إنها المرة الأولى التي أسمع فيها عنه "

تحدث عمرو مرة أخرى :

"هناك المزيد"

"هل حدث أمر جديد ؟؟"

تحدث العقيد كامل بصوت عالٍ وهو يقول :

"أمران"

تبادل عمرو العقيد كامل النظرات قبل أن يقول عمرو لشريف :

"لقد عاد بهاء لمصر"

وقف شريف وهو يقول :

"ماذا ؟؟ متى عاد ؟؟"

أشار له عمرو بالصبر مرة أخرى وهو يقول :

"ببعض تحرياتٍ صغيرةٍ علمنا أنه وصل لمطار القاهرة و علمنا أيضًا أنه رُشى أحد مسؤولي الأمن لكي تمر حقيبة خارج التفتيش

"حقيبة !! ... هل عرفت محتوياتها ؟؟"

لقد اعترف المسؤول أثناء التحقيق معه ... الحقيبة مليئة

بالسكاكين الحادة !!"

" يبدو أنه حضر لينتقم من أهله ... لقد رماه الأب والأم أرضاً ... كان مجرد متعةٍ بالنسبة لهما ... لم يهتمما به قدر اهتمامهما بشهواتهما  
الأوغاد

" هناك أمرٌ آخر "

" ما هو ؟؟ "

نظر عمرو للعقيد كامل الذي أخرج وريقةً كانت تنام بعمق في دج  
مكتبه وأعطاهما لشريف الذي قرأها و عيناه تتسعان مع كل كلمةٍ في  
ذهولٍ مصحوبٍ بعدم تصديق :

نيابة الهرم

لشنون الأسرة

مالـ

القضية رقم 320 لسنة 2013 المتوفي / هاشم محمد السيد كامل.

قرار وصاية

بتاريخ 2014 / 9 / 15

قررت المحكمة تعيين / بهاء هاشم محمد السيد كامل وصيًا بلا أجر  
على شقيقه القاصر / بهي

فمتر المتولي / هاشم محمد السيد كامل

سكرتير الجلسة

رئيس المحكمة

بالكم محمد الصبر

المرفق بدوي

انتهى شريف قراءة الورقة وهو ينظر في ساعته ليلاحظ أنها تجاوزت منتصف الليل بقليل من الوقت . نظر لعمرو الذي ابتسم وهو يهز رأسه إليه العقيد كامل ابتسم أيضًا وهو يلاحظ التجانس بين الزميلين ومدى فهمهما لبعضهما البعض بدون كلام . أخرج عمرو وديقةً صغيرةً من جيب قميصه العلوي وهو يقول :

"عنوان بهاء

أشار له شريف وهو

"هل ستأتي؟؟

هز عمرو رأسه بـ قبل أن يقول العقيد كامل :

"سأمر لكما بقوة مرافقة

قاطعته الإثنان بنبرة واحدة :

"سنذهب بمفردنا في البداية وإذا احتجنا لدعم سنطلب"

نظر لهما لبرهة قبل أن يتهد بعنف وهو يقول :

" كما ترغبان "

أمسك شريف الورقة وقرأ العنوان أغمض عينيه وأراح رأسه  
للخلف قليلاً وهو يستنشق الهواء قبل أن يزفره بقوة وهو يقول :

" هيا بنا "

\*\*\*\*\*

نظر شريف للطبيبة النفسية التي تألفت اليوم في ثوب أسود عكس  
جمال لونها الأبيض , لاحظت نظرته فابتسمت بخجل لاحظ فتوترو  
ابتسم بهصيبة ... أ يقصّ عليها ما حدث...

\*\*\*\*\*

نظر شريف لعمرو في فخر و هما يخرجان من مكتب العقيد كامل ,  
رنت عليه بحنوّ وقال له بصوت يحمل صراعاً بين نبرة أبوية و نبرة  
صداقة فخورة :

" تلميذ نجيب "

ابتسم عمرو وهو يقول بسرعة

" لأستاذ عبقرى "

الاسم شريف للحظة قبل أن يتلبسه شيطان العصبية و هو ينظر  
لعمرى في توتر ويقول :

"هل العنوان بهيد ؟؟"

ظهرت علامات الدهشة على وجه عمرو من هذا التغير السريع قبل أن  
يمد يده في جيب معطفه ويُخرج ورقة كتب بها عنوان المنزل الذي  
استأجره بهاء عن طريق شبكة الإنترنت , نظر إليها للحظة و هو يعطيها  
له ويقول :

"هل سنستخدم سيارتي أم سيارتك"

هز عمرو رأسه برفض و هو يقول :

"سيارتي ... أنت لم تأت بسيارتك"

"كيف عرفت ؟؟"

"لقد دخلت المكتب متعرقاً وتنهج ... لقد أتيت إما مشياً أو عدواً"

أدار شريف رأسه ليجد فتاة تدخل مسرعة من باب القسم و ما إن  
رأته حتى ركعت على ركبتيها أمامه و أمسكت يده تحاول أن تقبلها  
كانت تبكي بحرقة , صوت بكائها ودموعها التي سالت على يده قبل أن  
يسحبها بعيداً عنها كانا يحرقانه بالذنب , كاد قلبه يرق إلا أنه نظر لها

بقوة و هو يقول بصوت حاول أن يجعله أجشاً خشناً إلا أن طيبة قلبه  
قد تحكمت :

" ماذا تفعلين هنا ؟؟ ... هل هربت ؟؟ "

مرت رأسها بعنفٍ و هي تقول من بين دموعها الغزيرة :

" لقد ... حُكم ... لي بالبراءة ... أخبرتك ... أنني مظلومة "

هز رأسه برفضٍ و كأنه يرفض تصديق الحقيقة المائلة أمام عينيه  
بينما تجعد عمرو و هو يراقب المشهد كان عمرو يعرفها إلا أنه لم  
يلتق بها من قبل , حاول شريف تجاوزها إلا أنها تمسكت بملابسه  
فوقف حتى لا تهبط ملابسه تحت تأثير ثقلها , إن آخر ما يحتاجه الآن  
هو شيء يقلل من ثقته بنفسه , رأى شخصاً مألوقاً يدخل من الباب  
متجهاً إليه و قبل أن يحدثه نظره بغضب و هو يمد يده لسنبة لكي  
تقف على قدميها , تأمله شريف للحظة ... مدير المصححة النفسية التي  
كان بهي يُعالج بها , كان يحمل بيديه بضع أوراق مليئة بالمصطلحات  
الأجنبية قدمها لشريف الذي تأملها للحظة قبل أن يسأله :

" ما هذا ؟؟ "

" هذه تقاريرٌ تُثبت أن بهي تحسن بشدة منذ تسلمت رعايته و الوصاية  
عليه , بهي كان على شفا الخروج من دائرة المرض المغلقة لدائرة أكثر  
تفتحاً "

مَهْ شَرِيف شَفْتِه و هو بيبين له أن الأمر لا يعنيه , وقف أمامه  
الطبيب بغضبٍ و هو يقول :

"هل ما زال في قلبك رحمة ؟؟"

ارتجف شريف غضبًا و وجهه يحمرّ و هو يحكم إغلاق قبضته على  
الأوراق حتى تجعدت تمامًا كان يبدو جليًا أنه يجاهد لكي يظل  
متحكمًا في أعصابه : قال بكلماتٍ تنزف غضبًا :

"نعم و من أجل القلة القليلة الباقية في قلبي من الرحمة يجب أن  
أقوم بواجبي ... هناك سفاحٌ ظليق و الأخطر أن هذا السفاح يستعين  
بشيطانٍ شرس ... هل تتخيل مدى تأثيرهما على العالم ؟؟"

بد الأمر كما لو أن سحابةً من الغضب تجمّعت فوق شريف لتَهطل  
منها أمطار المقت و العنف , تراجع الطبيب خطوتين للخلف و هو يمد  
يده لسنية :

"نعالي يا بنيتي"

صرخت بقوة و هي تمهّز رأسها كالجنونة و ترفض تصديق الأمر , غضّ  
شريف النظر عنها و هو ينظر لعمرو الذي أجابه بنظرة لا يفهمها سوى  
شريكين في العمل , نظرة مفادها أنه خيرًا فعل .

هزّ شريف رأسه بفهمٍ و هو يمدّ يده لعمرو الذي مَدَّ يده لجيبه و  
أخرج مفتاح السيارة ، دلف كلاهما للسيارة قبل أن ينهك شريف في  
ضبط مرايا السيارة قبل أن يمد يده لجهاز تعطير الجو الآلي لكي يعطر  
الجو قليلاً . تسللت رائحة فراولةٍ مختلطةٍ بقليلٍ من الفانيлия  
استنشقتها شريف و هو يضع رأسه على ظهر كرسيه و يترك جسده  
يسترخي للحظةٍ قبل أن يسعل و هو ينظر لعمرو الذي يراقبه و على  
شفته ابتسامة اشفاق ؛ كان يعلم أن شريف منهكٌ جسدياً وذهنياً و  
معنوياً ، تلك القضية أنهكته خصوصاً و أن شريف لا يزال يعاول  
إثبات حالة الاستعواذ الشيطاني التي يراها وحيثاً دون الجميع  
تحركت السيارة ببطءٍ و هي تهذب بصوتٍ منخفضٍ ؛ دقائقٌ من الصمت  
توغلّت في المكان حتى أحكمت سيطرتها عليه . وصلاً للعنوان ، يبدأون  
البنائية خالية ... صعدا ببطءٍ على السلم المظلم صوت دقات قلب  
شريف يكاد يصمُّ أذانه ، أمسك مسدسه ليتقدمه إلا أن يداه كانتا  
ترتجفان ... الخيالات المرعبة التي تتحرك في الظلام ... الأفكار الشنيعة  
التي كانت تبهر في رأسه ؛ وصلاً أخيراً للباب ، أشار لعمرو بيديه إشارة  
تعمل معنى واحد :

(( ساعد من 1 إلى 3 وبعدها سنكسر الباب و نقتحم المكان سوياً ))

ابتلع عمرو ريقه في توتر و هو يشعر بشعورٍ جارفٍ من الندم ينمو  
بداخله ، تمنى لو أنه لم يستمع لكلام شريف و أصرَّ على استقدام قوةٍ  
مرافقة ، لقد اختبر ما يمكن للشيطان الصغير أن يفعله أما الآن

فنونته مضاعفة لأنه مصحوبٌ بسفاحٍ شرس ، رأى عمرو نفسه هو و  
شريف بدلا من الجثث المشوهة التي رأها في بداية تلك القضية ، راقب  
شريف وهو يعد على أصابعه ...

واحد... دق قلبه بقوة وتجمدت الدماء في عروقه ...

إثنان ... اقشعر جسده وشعر بعرقٍ بارد على جبهته ...

ثلاثة ... حدث أمرٌ غير متوقع !!

فُتح ضوء المصباح الموجود فوق الباب و فُتح الباب قليلاً نظرا  
لبعضهما البعض قبل أن يمدَّ شريف مقدمة مسدسه وهو يفتح بها  
الباب على مصراعيه تأمل الشقة المضيئة أمامه ضوء مصابيح  
بيضاء تتألق في سماء سقفها الشقة خالية من البشر تماماً لون  
الجران الأبيض يعطيها إحساساً بالراحة النفسية بينما الحدث  
يقشعر له بدناهما مشيا بخطواتٍ بطيئة وصلا لصالة الشقة  
الفسيحة ، مازال الصمت هو السيد المتوّج على عرش الأمر بأكمله ، إلا  
أن اللون الأبيض ينازعه على عرشه كل الموجودات في المكان تتألق  
باللون الأبيض ، هناك أريكتان مزينتان باللون الأبيض السجاد  
العوائط السقف هنالك مقعدٌ أبيضٌ محشوٌ بالقطن يقف  
وحيداً بجوار الحائط البعيد ... يعطيها ظهره وكأن هناك ما يخفيه  
عنهما ، أشار عمرو بعينه إلى شريف ففهم شريف ، سعل شريف بقوة  
وهو يصوبُ مسدسه نحو الكرسي :

"هل من أحدٍ مختبئ خلف الكرسي ؟؟"

لم يرد أحد ... الصمت يتسبّد ... التوتر يزداد والخوف يتملّك !

اقترب شريف خطوةً ببطء وهو يسأل بصوتٍ أعلى :

"هل هناك أحدٌ على الكرسي ؟؟"

للمرة الثانية يسأل فيجيبه الصمت بإجابةٍ لا ترضيه أعاد كلماته  
بصوتٍ يعمل لهجةً تحذيرية :

"من فضلك ... سأستخدم مسدسي !!"

عند تلك الكلمة وكان شريف نطق بكلمةٍ سحرية ، دار الكرسي حول  
نفسه بطريقةٍ ميكانيكيةٍ غريبة تأمل شريف الطفل الصغير الذي  
يجلس على المقعد والابتسامة التي تتلاعب على وجهه ، نظراته مصوّبةً  
إلى العائط خلف شريف ، فتح الطفل فمه وصرخ ... صرخ صرخة ألم  
غير طبيعية وصاحب صرخاته تعظّم المصابيح كلها بدويّ عالٍ ، انتهت  
المعركة وساد الظلام وحكم مملكته المفضلة

مملكة الفزع !!

سمع الجميع صوت قهقهة رجلٍ بالغٍ تتردد في المكان ، صوتٌ واثقٌ  
يتحدث بهدوء :

"إنعلم يا سيد شريف ... عندما يتعلم المرء شيئاً في صغره لا ينساه ... لقد ترعرعت بين يدي رجلٍ فاضلٍ ... علمني أشياء مهمة هل لك أن تعرفها ؟؟ "

لم يرد شريف وإن انعقد حاجباه في توتر ، دار حول نفسه في الظلام ، حاول أن يضيق عينيه لتكشفا هذا الظلام إلا أنه فشل سمع الصوت يقترب منه وهو يتحدث هذا الشخص أو هذا الشيء أنا كان نوعه يقترب منه ، توترو وهو يبحث عن عمرو الذي صمت تماماً ، قال الصوت وهو ما زال يتحدث

"الدرس الأول كيف تكون خفياً ! وكيف تكون خفياً في خِصَمِ الضوء ؟؟ ... الظلام ملك الإخفاء ... أليس كذلك ؟ "

شعرباًنفاسه الحارة وهي تُلهب خلف أذنه فقرر أن يضربه بمسدسه ، التفت للخلف وهو يضرب بمسدسه هذا المكان ، سمع صوت سلاحه يشق الهواء إلا أنه لم يصب أحداً سمع ضحكةً عاليةً تتردد في الغرفة عجز عن تحديد اتجاهها قبل أن يسمع الصوت يقول :هدوء من الطرف البعيد للغرفة :

"الدرس الثاني كيف تكون خفياً . ... لا أريد لمسدسي أن يصيبني و نحن في بداية السهرة "

التفت شريف يواجه الجهة التي يأتيه منها الكلام ، سرعان ما سمع  
صوتًا يهتف من خلفه تمامًا

"الدريس الثالث : لا تنظر خلفك في خضم المطاردة ! التفت شريف و  
أطلق رصاصةً من مسدسه بسرعة التمتع الرصاصة في الظلام  
للحظة تبين فيما وجهاً يقابله ينظر له بذهول عارم كان آخر شخص  
يتمنى شريف أن يراه هنا والأ:

في تلك اللحظة تحديدًا أحمر خافت و كأنما  
جُز خصبًا لمثل هذا " وجه عمرو وهو يراقبه  
بذهول نظر عمرو لمكان " اتسعت بقعة  
الدماء على صدر قميصه . عرسوا نظرات  
الألم في ملامح عمرو الذهول الطعنة التي  
أتت حين غرة لوم من وثق " ترقفت  
الدموع في عيني شريف وهو يترك مسد  
في إصبعه لثوانٍ قبل أن يقرر تركه و يسقط أرضا احتضن عمرو  
الذي ترك جسده يسقط بين يديه هبط به بهدوء و هو يحاول أن  
يتحدث إلا أن نظرات الألم وعدم التصديق في عيني عمرو ألجمته  
صمت تام ... لا صوت يعلو فوق صوت الألم ، شعر شريف بالألم يمزق  
صدره ... يقبض قلبه ، المارة تسلت لحلقه فشر بها تعيده لعالم  
الواقع ، حاول أن يتحدث إلا أنه لم يجد كلمات تبرز ما فعل لا  
كلمات تبرر الخيانة حتى وإن كانت غير مقصودة !

دفعةً سألت من عينه للنسقط وتمتّج بدموع عمرو ، نملئ لو أن روحه  
تفرج وتمتّج بروح عمرو لتمده بالقوة والمقاومة ، حاول عمرو أن  
يتحدث بصوتٍ خافت فاقترب منه شريف محاولاً أن يداري ارتجاج  
جسده بالحزن وامتلاء روحه بالألم ، نطق عمرو بكلمةٍ واحدةٍ فقط  
.. كلمةٌ توقف عندها الزمن :

"سامحك"

بكي شريف كما لم يبكي من قبل و هو يتأمل عيني عمرو تغفطان ،  
ضوء الحياة يغادرهما بلا رجعة لم يهتم لضوء الغرفة الأحمر وهو  
يغفّت بالتدرج قبل أن ينطفئ في ذات اللحظة التي انطفأت فيها عينا  
عمرو !

وضع شريف جسد عمرو على الأرض بحرص وقبل أن يقف مد يديه  
في الظلام ليبعث عن مسدسه ، انهمك في البحث بصوتٍ منخفض  
قبل أن يأتيه الصوت قائلًا بمرح وكأنه يمارس أمرًا محبوبًا لنفسه :

"هل تبحث عن هذا ؟"

وجد شريف مسدسه يزحف إليه يبدو أنه كان يقبع تحت قدم  
مهاجمه باستسلام قبل أن يقرر أن يركله له ، قبل أن يقف تحسّس  
مسدسه ، تأكد من تواجد الخزنة ، وضع إصبعه على الزناد ووقف و  
هو يطلق رصاصتين تجاه الجهة التي أتى منها مسدسه زحفاً ، أنارت

الطلقات للحظة تأكد منها أنه لا يقف هناك ، شعر بقبضة الهم  
تعتصر قلبه الحزين شعر بالمرارة تنصّب نفسها ملكة على عرش  
حلقه الجاف ، فقد أعصابه دار حول نفسه بسرعة وهو يصرخ  
بصوت عالٍ :

" لماذا ! "

صوت دويّ رصاصية

" لماذا ... عمرو كان بريئاً ! "

صوت دويّ رصاصية أخرى

أبوك وأمك كانوا أبرياء

صوت دويّ رصاصية ثالثة

" وها أنت تثبت صحة وجهة نظرهما فيك "

صوت رصاصية أخرى تتبع أخوتها في الظلام

" سقّاح أشرّ منحنط "

صوت نكّة تُعلن عن فراغ الخزانة من أي طلقات ، لقد تمت عملية  
الولادة بنجاح ولم يعد هناك المزيد من الصغار في رحمها ، ضغط زداً  
صغيراً في جانب مسدسه فانسَلَّت الخزانة تسقط أرضاً وكأنها تعلن

لربها النام مما حدث، قبل أن يمد يده لجراب مسدسه ليتناول الخزنة  
الأخرى، سمع صوتًا خافتًا قبل أن يرى ضوء شعلة صغيرة تولد من  
فداحة بيد شخص طويل الشعر، كان شعره يغطي وجهه حتى لا يكاد  
يرى منه أي ملامح، ولد الضوء من شمعة صغيرة لينير الغرفة قليلًا،  
انهك الشخص في إشعال العشرات من الشموع قبل أن ينظر لشريف  
من بين خصلات شعره وهو يقول ساخرًا :

"أفضل ضوء النار... تذكرني بالألم والعذاب كما تذكرني الشموع  
بالتضحية"

لم يتسم شريف وإنما التمتع الدموع في عينيه وهو لا يزال يقف  
متجمدًا يضع يده في جيبه يلمس بأنامله طرف الخزنة النائمة بداخل  
جرايه، طلق الشخص بلسانه وهو يقول له بصوت منخفض أمر:

"من فضلك... أخرج يدك"

أخرج شريف يده كالمسحور وهو يتأمل الغرفة التي أضاءتها عشرات  
الشموع، مستحيل أن يكون قد حضّر لها بنفسه، لقد كان يطارده في  
الظلام؛ يتقن شريف أن بهاء له مساعد، داربعينيه حول الغرفة حتى  
وجدها، تقف بصمت ثابتة كتمثال من الشمع بيضاء الجسد  
شقراء الشعر حسنة المحيّا تجمع شعرها على طريقة ذيل  
الحصان "ليرتفع بشموخ فوق رأسها قبل أن يسترسل في نعومة على  
ظهرها، خضراء العينين، صغيرة الأنف والقم... جميلة، ملامحها تدل

على أنها أجنبية و قسماتها تفضح أصلها الإسكندنافي بشدة ، ورغم  
برودة الجولا ترتدي سوى " بودي " بحمالات و بنطالاً قصيراً يصل لما  
فوق ركبتها ، شفتاها اللامعتان تعكسان ابتساماً خبيثاً بينما تلتمع  
عينها بنظرة شرّ خالصة ، لم يستطع أن يزيل عينيه من على وجهها  
الذي تتلاعب عليه انعكاسات النيران وكأنها تزيدها رهبة ، سمع صون  
بهاء يأتي من خلفه :

" أرى أنك وجدت كريستين "

انعقد حاجبا شريف عند سماعه للاسم حاول استرجاع كافة  
الأحداث والأسماء التي مرت عليه طوال فترة تولّيه مهمة التحقيق في  
تلك القضية ... لم يكن فيها أي كريستين ، فهم بهاء ما يفعله ففقهه  
ضاحكاً و هو يقول :

" أنت للمرة الأولى تراها فكيف توقعت أن تكون تعرفها ؟؟ "

نظر له شريف فوجده يضمّ شعره خلف رأسه قبل أن يرتدي قطعة  
قماشية على رأسه لتتجم حركة شعره كي لا يزعجه مرةً أخرى ، تأمل  
شريف ملامحه ... ملامح شخص قوي ، يعرف بداخله أنه قوي ، شرّ  
ولكنه وسيم ، ابتساماً ساخرة تجذب شفتيه للجانب الأيسر بشكل  
جذاب و أنفّ معقوف يبدو أنه كُيسر من قبل ، يدان مليئتان بالجروح و  
رقبة يبدو فيها جرح ذبح ... تأمل بهاء نظرات شريف و هو يقول :

«كريستين ... الفتاة التي أحببت»

نظر له شريف بلا رد قبل أن يقول له بهاء :

« هل ستقف هكذا ممسكاً مسدسك بإحدى يديك و تقف تراقبنا  
كالتمثال ... فلتجلس

جلس بهاء على الكرسي الذي كان يحوي الطفل الذي اختفى ووضع  
فدماً فوق قدم و هو يدور بالكرسي دورةً كاملةً حول محورة و يشير  
لشريف أن يجلس أمامه ! تحرك شريف ثم نظر لكريستين التي لا تزال  
ترسم على وجهها علامات الشرو و هو يجلس أمام بهاء و يواجهه في تحديّ  
, تلاقى عيناها في معركة أنهاها الإثنين بتعادل أرضيهما , نظر شريف  
للحائط خلف بهاء بينما حوّل بهاء نظراته لكريستين التي ابتسمت له  
في نعمة , تحدّث بهاء بصوتٍ واثق :

«كريستين ... فتاةً قابلتها في إحدى مهماتي مع عصابة التجار بالأعضاء  
البشرية التي كنت أعمل معها بالخارج»

أنسعت عينا شريف بقوة , ابتسم بهاء و هو يقول له " الصبر ...  
ستعرف كل شيء ... لن ترحل من هنا إلا و أنت تفهم الأمر

هزّ شريف رأسه بتفهم و قد غلبه الفضول البوليمي فجلس بصمت  
معاولاً السيطرة على لجام دهشته و ترويضها فابتسم بهاء و هو يتابع :

" لم أستطع أن أقتلها ، أخذتها معي لحقز العصابة ... مخزون قفريش  
مليء بالجثث ... عاشت معي لمدة أسبوع حسب ما أتذكر قبل أن أقود  
ان ملكتي أنظف من هذا الأمر بأكمله : هل شعرت من قبل شعور أن  
تأتي بقطعة من القطن الأبيض الناصع و تمر بها على سطح مليء  
بالغبار ؟ بالطبع ستنسخ الأمر هنا أنها قطعة قطن بربلة وقد  
عاشت وسط سطح مليء بالدماء ... هل تتخيل ؟؟ كان لابد من  
إبعادها عن الأمر ... ملاكي لا يحتمل ... بعد مقتل أبيها ... كنت صديقتها  
وأبائها ورجلها وحببيها ... وكانت أمي ! "

تابع بهاء حكايته :

" كان لابد لها من الرحيل فأعطيتها مبلغًا صغيرًا من المال كنت قد  
أدخرته ... أجرت شقة بحجة أن والدتها مريضة وستأتي مع شقيقتها  
الكبرى ، الأموال تُعمي قلوب البشر ... وافق الجشع على الأمر دون أي  
استفسارات ... عاشت بتلك الشقة وعشت معها على فترات ... علمتها  
كيف تنجو وسط عواصف الحياة القاسية و علمتني كيف أدخل  
الجنة بدون أن أموت ، علمتها النجاة و علمتني الحياة ... كانت ملاذي و  
كنت سكنها كبرنا سويا حتى انتهى أمر العصابة هناك ... كنت  
أحتاجها هنا من أجل انتقامي ؛ بالمناسبة كل أوراق دخولي لمصر مزورة  
بحرفية ، يجب أن تنمو المنظومة الأمنية فهي أشبه بالطفل الذي يحب  
و يتخطاه من يريد أن يتخطاه بلا مجهود ... وصلنا مصر سويا ... منذ

لمست أقدامنا أرض القاهرة تركنا بعضها ... كان يجب ألا نرى سوّنا ...  
وكان يجب أن نظل سوّنا ... ساعدتني كثيرًا ولولاها ما تم الأمر "

نظرت له كريستين التي فهمت كلامه كله و هي تبلّسم , وضع يده  
بجواره في شئ بين حشوة الكرسي وجسده قبل أن ينادي عليها بصوت  
حالم :

"كريستين ... حبيبتي

نظرت له وعيناها تلتصعان بحبّ جارف , رفع مسدسه في وجهها و  
أطلق منه رصاصة كانت تعرف طريقها جيدًا , سقط جسدها ليرتطم  
بالأرض وبقعة الدماء حول رأسها تتسع وتصبغ شعرها الأشقر بلون  
أحمر قاني بينما جبهة العريضة زنتها ثقبّ أحمر فزّت من جسدها  
الحياة خلاله قبل أن يبتسم و هو ينظر لها بحبّ ويقول بلهجة نعل  
شوقًا جارفًا :

"أسف "

انتفض جسد شريف و هو يشهق بعنفٍ من المفاجأة قبل أن يتمالك  
أعصابه و هو ينظر لنها بدهشة :

"الدرس الأخير والأهم يجب أن تتخلّى عن كل شيءٍ أحببته ... تنسى كل  
حلم حلمته ترمي بكل معارفك عرض الحائط يجب أن تعيش  
وحيدًا متفريدًا ... تركل كل نقاط ضعفك وتسحقها تحت قدميك ... لا

يجب أن يكون لك ذراعٌ لكي يلويه أحدهم مهدداً إياك . تلك هاتين  
كلمات لاندلي الراحل

هزّ شريف رأسه بفهم . كان يرفض وجهه الخطر تلك  
جهداً . نظره بهاء فجأةً وهو يقول بحماس

" هل تريد أن تعرف قصتي ؟ "

سأله شريف بعرض :

" كاملة ؟ "

" كاملة "

على مدار ما يقرب من نصف ساعة :

قصته كاملة منذ خرج من القاهرة محملاً بحساسات و شحنة

من الماس . مروّراً ببقائه بشادو ثم انضمامه للعمليات معهم

حتى لقائه بكريستين ثم هروبا . لقاءه بأنندرو

عملية الخيانة ، مقتل شادو ، مقتل ماثيو

القائد ثم خروجه من تلك الدولة ليحضر هنا لمحبس

توقف عن القصص للعبث وهو يسعل ويتأمل ملامح شريف المندمسة  
قبل أن يقول بتساؤل :

" لصة كفاح ؟ "

مز شريف راسه موافقًا قبل أن تنقلب ملامح وجه بهاء مرة أخرى وهو يقول :

"وصلت مصر... هل تريد أن تفهم الآن قصة قضيتك بأكملها ؟؟ "

لم ينتظر ردّ شريف و انطلقت الكلمات تندفق من بين شفثيه لتكوّن عالمًا خاصًا في خيال شريف الذي بدأ يتخيل الأمر بأكمله منذ بدا. وصول بهاء لأرض مصر و بداية مهمته الدموية وكأنه يراقب الأمر هو يحدث أمامه...

\*\*\*\*\*

فتح بهاء عينيه ليطالعه السقف الأبيض النظيف , كان ينام هكذا منذ خرج من الحمام و هو يربط المنشفة على وسطه , شعر بعينيه تدمعان ... مسح دموعه و وقف و هو يلفّ منشفته , تناول ملابسه و شرع في ارتدائها ببطء انتهى من ارتداء ملابسه فوقف أمام المرأة يتأمل مظهره قبل أن يمضي إلى المنضدة ليتناول من عليها حقيبة صغيرة قد جهزها أمسكها جيدًا في يده و فتح باب الشقة , نظر للشقة نظرةً أخيرةً قبل أن يُغلق الضوء و هو يتسم , بعد مرور برهة من الوقت كان يقف أمام بناية سكنية و هو ينظر في هاتفه يتأمل عنوانًا سجله من قبل بواسطة استخدام تطبيق خرائط جوجل , أغلق هاتفه و وضعه في جيبه و صعد إلى الشقة بواسطة سكين و بنسة شلعر استطاع فتح الباب بدون أي مجهود يذكر , بلا علامات

على جسد الباب و بلا أي صوتٍ أيضاً ، دلف إلى الشقة وهو يضع حقيبته أرضاً ويتأمل الشقة بعينين بدأ شيطان الغضب يطلُّ منهما ، حمل حقيبته ومشى بحرصٍ يتفحص الشقة حتى وجد ممراً ضيقاً ، من شكله استنتج بهاء أن هذا الباب يخص غرفة النوم ، كان يعلم جيداً أنهما نائمان الآن لذا فتح الباب بحرصٍ شديد ، تأقل الجسدين النائمين بعمق قبل أن يغلِق الباب بصوتٍ عاليٍ تقلّب الرجل في الفراش ولكنه لم يستيقظ بينما فتحت المرأة عينها ببطءٍ وتأملته للحظة قبل أن تتسع عينهاا هلعاً وهو يشير لها أن تصمت تماماً ، هزّت رأسها بالموافقة ولكنها ركلت زوجها بقدمها من أسفل الغطاء فتقلّب حتى رآه : اعتدل على فراشه وهو يقول بصوتٍ قويٍّ :

"من أنت وكيف دخلت هنا ؟؟ "

تجاهله بهاء وهو يتجه للمرأة التي تقع وحيدة أمام الفراش ، وضع حقيبته عليها وفتحها ببطءٍ بينما وقف الرجل وفض غطائه عنه و هو يتحرك بغضبٍ حتى وصل خلف بهاء ، لم يرى الأمر المنهمك به بهاء ولكنه رآه يتحرك ببطء فوقف خلفه وهو يسأله " أنت !! ألم تسمعي ؟؟ "

النفث بهاء بقوة وهو يمسك وجهه بيده ويحكّم قبضته على ذقنه و يمسك شفتيه و يضع فهما خطافاً صغيراً اخترقهما بعنف فسالت دماؤه على الأرض ، صرخت المرأة إلا أنه أسكتها بنظرة نارئة منه قبل

أن يدفع بجسد الرجل المتهمك في محاولة خلع الخطاف و هو يتألم  
أُتسعت عيناها رعباً فبادرها بالكلام :

"هل تحيين أن تشاركيه ألمه ؟؟"

هزّت رأسها نفياً في فزع فقال بابتسامة ساخرة :

"جوابٌ صحيح"

وقف أمامهما فنظرا له , أغمض عينيه و هو يسألها :

"هل تعرفاني ؟؟"

انتهى الرجل من خلع الخطاف و صدر عنه صوت تألم و هو يلقيه  
جانبا و يتحسس شفتيه و يكاد يصرخ إلا أن نظرة صارمة أبلهته  
صراخه ففضّل الصمت , هزّت المرأة رأسها نفياً فقال بصوت خافت  
يتلوى ألما :

"هل تعرفين أحدا باسم بهاء ؟؟"

أُتسعت عيناها في دهشة لاحظها زوجها فتجامل ألمه و هو ينظر لها  
باستنكار , نظر له بهاء بدهشة و هو يقول :

"ألم تخبرك ؟؟"

هزّ الرجل رأسه و هو يسأله بحرص :

"هل كان بينكما علاقة لا أعرف عنها ؟؟"

ايتمس بهاء في استنكاره وهو يسأله :

"وهل سمعت من قبل عن أم تجمعها علاقة مع ابنها ؟"

"إيها !! ... ميرفت هل هذا صحيح ؟؟"

اغرورقت عيناها بالدموع ودفنت وجهها بين يديها واهتز جسدها بقوة بينما تجاهل ألمه وهو ينظر له مرة أخرى و الدهشة تتلاعب بمبارز على أوتار روحه الممزقة بين تصديق الواقع ورفض الذكرى التي تعاول جامدة الصعود , نظرها بهدشة حنان جارف كان يصارع غضبا أعمى داخل صدره , نظراته تتبدل سريعا بين ابنه افتقده لمدة عشرين عامًا وزوجة أخفت سرأ كهذا عنه فيما أعطاه بهاء ظميره وهو يفتاؤل خنجرًا حادًا من الحقيبة ويستدير بسرعة وهو يطاعنه على طول صدره بقوة جعلت الدماء تتناثر لتغطي وجه بهاء والمرأة من خلفه , انتفض جسد الرجل وهو يراقب جرحه ينز الدماء ببذاء , وضع يده عليه بينما عالجه بهاء بضربة أخرى في رقبته من الخلف اندفعت الدماء منها كالنافورة لتمس السقف وتترك توقيعها عليه حاولت ميرفت أن تركض إلا أنه أوقفها بضربة قوية في كتفها الأيسر , سقطت أرضًا ليلتقط قدمها ويقطع عرقوها بقوة متجاهلاً صرخاتها , أمسك بها من قدمها وهو يستجمع قوته ويرفعها بقوة ليصدمها بالبواب اصطدم رأسها بالمقبض المعدني للبواب فشج رأسها وتناثرت دماؤه على

الباب . حاول ماشم أن يزحف ليمنعه إلا أنه ركله في وجهه يبدو أن  
أنفه كسرت لأنه أغرق وجهه بالدماء ، انهمك بهاء في مهمته بلا كللي ولا  
مالي . تمزيت الذكريات في خياله ممزجة بلون الدم ... نظر شريف له  
برعب كان يبدو أن ما لم يقله كان أشد فظاعة وقبحاً مما كان يرويّه  
له . نجاهله بهاء مجدداً و أخذت الذكريات تتمسك من بين شففيه  
يرود قاني مرة أخرى و شريف يواصل التخيل .

أنهى الأمر وهو يتأمل جثتهما المشوهتين ويتأمل الحوانط والسقف  
التي عكست مجهوده الواضح قبل أن يحرص على جمع أدواته .. لم  
يغتن أمر البصمات لأنه شيخ بالنسبة للنظام الأمني المصري . فتح باب  
الفرقة قبل أن يتسمر أمام طفلٍ يحلس مستنداً إلى الباب ، زحف  
الطفل و حاول الوقوف قبل أن تصطدم عيناه بالمشهد الداخلي ، لم  
يبدُ على وجهه أي شيء إلا أن بهاء لاحظ أن الطفل ليس طبيعياً ، شيء  
ما في نظرائه و حركاته أوحى له بذلك ، حاول حمله إلا أنه بكى وصاح ،  
صرخ حتى وصل للمطبخ ... وضعه بهاء على منضدة المطبخ وهو يقول:

" وماذا بعد ؟؟ "

انهمك الطفل في تثبيت نظره على الحائط دون أي صوت ... تابع بهاء  
كلماته و قد بدأ شعوراً بالذنب يجتاح روحه :

" لماذا لم أعرف أنك هنا ؟؟ وما الحل الآن ؟؟ أنت أخي ولكني لا  
أستطيع الاحتفاظ بك فوزًا ... لو ظهرت الآن فستنجه أصابع الشك  
إلي فوزًا ، يجب أن أختفي لفترة ولكني أعدك سأعوضك عنهما  
سأكون ملاكك الحارس "

أنفأ كلامه معه لاحظ بهاء أنه يسعى تجاه برطمان زجاجي يحوي مربي  
فراولة مثلي الصنع ففتح له الغطاء وقربه منه ، مدّ الطفل يديه وهو  
يأكل منه قدر استطاعته ، لوّث يديه وفمه ووجهه وملابسه بالكامل ،  
حملة بهاء فحاول الطفل أن يرمي جسده ، لم يكن بهاء يحمله بقوة  
فكاد يزلق منه ، وضعه أرضًا ورأه وهو يركل العبوة الفارغة بقدمه  
فاندفعت تتحرك بعيدًا عنه وضع الطفل يديه على أذنيه وأغلق  
فمه وعينيه وبدأ يهدر بعنف ... أغلق بهاء الأضواء وتركه وقبل أن  
يخرج من الغرفة غمغم بصوت خافت : " سأعود

\*\*\*\*\*

انتهى بهاء فصمت للحظة كي يرى تأثير كلماته على شريف الذي ظهرت  
عليه علامات التحدس للحظة قبل أن تزحف سحب الشك لتمطر  
عليه فيقول بصوت متشكك :

" ولكن لماذا تعكي لي ؟؟ ... لماذا تعترف بسرّك لشخص يُعتبر عدوك ؟ "

نبحه بهاء في عنفٍ حتى دمعت عيناه قبل أن يحاول التماسك وهو يقول ببرود :

"ببساطةٍ شديدة ... هذا المكان تذكرة خروجٍ لأحدنا ... إما أن أخرج أنا وتموت أنت ووقتها أكون وفيتك حقل و قصصت عليك الأمر فتموت مرتاح البال ... وإما أن تخرج أنت و أموت أنا ووقتها أكون وفيتي حفي و قصصت الأمر بأكمله لكي لا أظلم الصغير معي !"

احترار شريف في أي الأمرين تصيبه الحيرة أولاً , في تعبيرات بهاء و أحاسيسه التي تتغير و تتبدل بسرعة البرق أم في الطفل الذي اختفى منذ حينٍ و لم يظهر و لم يسمع له صوتاً لاحظ بهاء حيرته فتوقعها فوراً فأجابه بكاء دون أن ينتظر سؤاله :

"أخي نائم ... حُقن بمخدرٍ كي لا يفزع من أصوات الرصاص والصراخ"

لاحظ شريف أنه تباطأ عندما نطق كلمة أخي وكأنه يذوق حلاوتها بين شفتيه , أخيراً غلبه حماسه فتجاهل كل شيء وسأل شريف :

"أتعلم أننا ذهبنا للمصحة و جلست أراقب غرفة أخيك،

أعلم جيداً ... لم يغيب أخي عن عيني لحظة واحدة "

"إِذَا أَنْتَ مَدِينٌ لِي بِالتَّفْسِيرِ ... كَيْفَ وَلِمَاذَا اشْتَغَلْتَ تِلْكَ الْأَضْوَاءَ وَ  
كَيْفَ عَمِلَ هَذَا الْمَسْجِلُ قَجَاةً وَلِمَاذَا تَرْتَمِ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ عَنْ حَكْمِ  
الشَّيْطَانِ لِلْأَرْضِ ؟"

ابتسم بهاء في غموضٍ وهو يقول :

ربما يكون الأمر من فعلي و ربما تكون رسالةً خفية ... ربما تكون  
صدفةً , ولكن ما يدريك أنها صدفة "

غمز بعينه وهو يتابع كلماته :

" نصيحة لا تثق بكل ما ترى أو تسمع حتى لو رأيتَه بنفسك أو  
سمعتَه بنفسك "

لم يفهم شريف كلماته فصمت للحظةٍ قبل أن يقول :

" حسنًا الدائرة التي تكونت حوله فَسَّرُوهَا و لو أَنِي بعد كلماتك  
أَشَكُّ والمرضية التي طعن بها القلم فَسَّرْتُهَا أَنَا ... إِذَا جزء المصححة  
مفهومٌ تمامًا "

هز بهاء رأسه موافقًا وهو يقول :

" أَتفق معك ولكن لا تنسى أغنية الشيطان "

مطَّ شريف شفَّته في ضيقٍ قبل أن يعتدل ويقول :

«الوصي الأول ... خالد حسبما أتذكر اسمه ؟؟ ... ماذا حدث معه ؟»

رجع بهاء يظهره للخلف حتى لامس الكرسيّ و هو يتأمل السقف و يقول :

«الوصي الأول

اعتدل بجسده و هو يقول :

" أنعلم ؟؟ ... هذا الوغد لم يكن يصلح وصيًا ... هذا تاجر ... أنعلم أنه كان سيتاجر ببهيّ ! "

انفقد حاجبا شريف و هو يتساءل :

" كيف ؟؟ "

أغلق بهاء عينيه و هو يستمر في القصّ بهدوء :

عندما استلمه خالد ذهب ليؤجر شقةً في حيّ شعبيّ اتفق مع صاحب البناية ألا يؤجر لغيره طوال مدة سكته و التي لن تتعدى الشهرين و أغراه بمبلغ ماليّ ضخم بعدها بأيام ذهب شخص ما لصاحب البناية و عرض عليه أن يؤجر الشقة التي تقبع في الدور السفلي من شقة خالد و أيضًا أغراه بالمال , صاحب البناية جشع ... أغراه الطمع خصوصًا أن هذا الشخص أقنعه بأنه مصوّر في استوديو و ينهي و ردية عمله في الصباح الباكر و ينام حتى الليل , أي أن خالد

لن يشعر به ... كأنك اسكنت شبحًا ... كلمات سحرية اقتحمت عليه  
الجشع فوافق ... وبناءً عليه قُبعت مستكينًا حتى رحلا ... صعدت و  
اقتحمت الشقة ... وجدت بهي جائعًا فأطعمته و حرصت على ثقب  
جزء من الأرضية أخفيته أسفل سجادة صغيرة و منه استمعت  
لحديثهم بالكامل

هز شريف رأسه بإعجاب قبل أن يقرر ألا يقاطعه , استكمل بهاء  
حديثه :

" عرفتُ منهما أنهما اتفقا مع رجل اعمالٍ أعتقد أنه يدعى منير  
الصاوي كانوا سيزورون مجموعةً من الأوراق في مقابل مليونين و  
نصف ... العقار الذي ورثه بهي عن والده "

صمت لحظة قبل أن يقول :

" عن الذي ... كانوا يغيبون عن المنزل لساعاتٍ طويلةٍ أطمئن فيها على  
بهي ... عرفتُ منهما كافة اتفاقاتهما مع منير هذا أو أعتقد أنه كان  
مهيب ؟؟ "

هز شريف رأسه بالموافقة دون أن ينبس ببنت شفة , لم يكن يريد أن  
يقطع استرسال الأفكار , سمع بهاء يستكمل مرةً أخرى :

" في ليلة ما عرفتُ أنهما يشكان أن بهي ممسوس أو مستحوذٌ عليه من  
قبل شيطان ... فقررت هنا أن تبدأ اللعبة "

اعتدل شريف وهو يسأل بفضول : " أي لعبة ؟ "

" أن يُثبت الجميع هل بهي مريض بالتوحد كما عرفت وقتها ام انه مستحوذ عليه ؟؟ "

" أنت تعرف الإجابة ؟؟ "

" لا يعرفها غيري وسيموت هذا السرمعي "

كانت كلماته تخرج من بين شفتيه مصحوبة بلمعة غريبة في عينيه و الابتسامة خبث تزدهر في وجهه , سيطر القلق على شريف فأشار له أن يستمر , صمت بهاء للحظة لم تفارقه فيها الابتسامة الشريرة قبل أن يتحدث :

قررت أن أَلعب معهما بقذارة هل تعرف الأمر بسيط عندما يكون المرء مقتنعاً بشيء ما و يخشى تصديقه فإن أي شيء منطقي سيحدث سيفسّر أنه من صنع هذا الشيء "

هزّ شريف رأسه :

" لم أفهم شيئاً "

" ببساطة كان الإنسان يصدق أن الأمر به شيطان وأن بهي ليس طبيعياً على الإطلاق لذلك رأوا نارا من الشقة ففهموا فوزاً أن

الشیطان كان هنا و عندما صعدا و لم يجدا النار توقعا أنها حالة احتراق ذاتي

للمرة الثانية غمز للشريف الذي صُقع ، هل يعلم بهاء أنه قدم تقريراً للعقيد كامل بهذا الأمر أم أنه يتلاعب بعقله ؟ قرر الصمت حتى يكتشف الأمر...

" الأمر كله كان عبارة عن قطعة قماشٍ مبلّلةً بقليل من الكيروسين  
أشعلتها وحافظت على تارها حتى سمعتُ صوت خطواتهما يصعدان  
المسلم ، أطفأتها على عجلٍ وأخذت بقاياها معي وأسهرت لشوقي وقد  
كانا من الغباء بدرجةٍ كافيةٍ لكي لا يرباني في تلك الشقة  
فصدقا أن الأمر خارقٌ للمألوف سمعتهما إنهاء الأمر  
فقررت إتهانه بطريقي في المساء صعدت ذبحت خالد  
بهدهء وحرصتُ على تخفيف دمانه لو تلاحظ الجميع  
أتساخ الحوانات و الأرضيات بالدماء بالتأكيد ستتغير طريقة  
التفكير لدي الجميع وبعدها قررت أبا ولكن  
ذلك المعامي الغمي أقلت مني بالطبع أنت تعرف حبر ببقية فانت  
من وجد الطفل أمام المصححة "

" بدأت الأمور تتضح وإن كان هناك القليل من الشك براود

" عندما تلد زوجتك من فضلك اهتم بابنتك "

«كيف عرفت أن زوجتي حبلى ؟؟»

«لأنسأل سؤالاً لا ترغب في سماع إجابته»

تبدلت ملامح شريف للقلق للحظة قبل أن يقرر أن يسدل غطاءً من  
الارتياح على ملامحه علّه يخفيها عن عيني بهاء الذي ينتظر قراءة ردود  
فعله ليفسرهما بدأ شريف يتعلم كيف يلعب تلك اللعبة الذهنية  
فقال بصوت قوي :

«وذهب أخوك للوصي الثاني

عاد بهاء للخلف مرة أخرى قبل أن يعتدل وهو يقول :

«الوصي الثاني حسناً هذا الوصي أمره سهل ... أسرة مصرية  
تقليدية لا تهتم بالنظم الأمنية بشكل كافٍ منذ البداية كانت تلك  
الأسرة متأكدة تمام التأكد أن الطفل ليس طبيعياً أن هناك أمراً  
غامضاً يسيطر عليه تلك كانت أسهل مهماتي على الإطلاق ... كانوا  
يسكنون في دور عالٍ ... فتحت الباب من الأسفل وأنا متشجّ بالسواد  
أرتدي معطفاً أسود طويلاً وعلى وجهي يقبع قناع أسود جامد  
الملامح يهدوء يمارس مهمته في إخفاء ملامحي الطبيعية قبل أن  
أصعد للشقة فتحت النافذة التي تطل على الشارع وتركها مفتوحة .  
صعدت للشقة وحرصت على إطعام بهي جيداً ، وفوجئت بصغيرهم  
يراني ، أجاب شريف :

١  
" و لكن ما يعبرني هو كيف اختفيت لقد أخبروني أن الطيف  
اختفى "

" بالطبع فكل طاريا مدروس و كل مفاجأة محسوبة خرجت من  
الثقة و مبطت حتى وصلت للنافذة ... خرجت منها و علقت جسدي  
أسفلها و أنا أتمسك في حافتي بأصابعي , لم أنم بالطبع أن أغلق  
النافذة من خلفي ... بالطبع هبط خلفي رب الأسرة ليجد السلم خالياً  
و الباب مغلقاً جيداً ... فأين ذهب الشيخ اختفى !! ... صعد لشقته  
مرة أخرى و أخذ يصبح بأسرته فصعدت و أغلقت النافذة من خلفي و  
هبطت لأفتح الباب و أذوب في الظلام و بالطبع وجدته أنت في المصحبة  
ليتناهى عن بهي ... في الحقيقة استمتعت كثيراً بدور القائد ... كل ما  
خططته بعروف من خيال في ذهني يُنفذ بعذافيته على أرض الواقع "

أجابه شريف بصوت خافت :

" لعبة بسيطة "

" ليست البساطة دائماً أمراً سهلاً ... أحياناً تكون في غابة الصعوبة "

" أنفق معك ... الآن سنية ... الوصي الثالث

" سنية كانت كالكاپوس بالنسبة لي أصعب مهماتي و أكثر خططي  
عبقرية "

"سنية كانت الحلقة الأضعف في سلسلة الأوصياء "

"وهذا ما جعلها الأخطر... كانت تتصرف بفطرتها "

"وكيف جعلها هذا الأخطر

" سنية كانت تقرأ و القراءة هي شعاع ضوء في وسط ظلام هذا العالم المظلم عرقت الكثير من المعلومات و قرأت العديد من الوصفات وطرق العلاج وبدأت تطبقها وبالتالي بدأت حالته تتحسن ... بدأ بالفعل يخرج من دائرته المغلقة ... بدأ يخرج من عالمه الموحش و يضم أناس آخرين يشاركونه وحدته و إن كان لم يتحسن بالشكل الكافي ... وقتها شعرت بالخوف سبتحسن و بالتالي ستتكشف كل الأمور مجرد طفل صغير ذاتوي إذا هناك من يعيث بقول الجميع مستترا تحت ستار مرضه و بالتالي كان لابد من استلام وصاية بهي و لكني سألت و عرفت أن من حقها أن تقدم طلبا للإدارة العامة تطلب منهم عرضه على المصحة لتحديد مدى تقدمه وتحسن حالته و بالتالي لن أتسلمه حتى لو كنت أنا قريبا من الدرجة الأولى و هي من الدرجة الثالثة ... سيؤجل استلامي له لفترة ريثما يتم تحسنه بشكل كامل هذا الوقت و مع ظهوري كنت بالذليع ستكتشف وجودي و غموضي تلك المنطقة السوداء الموجودة في حياتي كان لابد لها من تفسير و كثرة الأسئلة شيء مزعج لذا كان لابد من التخلص منها بطريقة تمنعها من طلب الوصاية ... كان الغيارات أمامي متنوعة ... الجرائم المخلة بالآداب ، الجرائم الماسة بالشرف أو الزامة

سوء السيرة عدم وجود وسيلة مشروعة للتعيش وجود نزاع  
قضائي بينها وبين الأهل أو أن تكون من طائفة أو ديانة أخرى  
صمت بهاء للحظة وهو يتسم في خيبت ويقول لشريف بسخرية :  
" هل تمد لي يد العون هنا ... من فضلك ؟ "

أجابه شريف إجابة مقتضبة :

" لا شيء منهم ينطبق عليها "

" فلندرس الخيارات ببطء "

صمت شريف وتأمله وكأنما يحاول سبر أغواره للحظة وهو يقول :  
" بالطبع الديانة والنزاع القضائي أمورٌ مستبعدةٌ لأن : وسيلة للعبث  
بهما "

أمسك بهاء بطرف الخيط وهو يستكمل تسلسل الأفكار :

" وبالطبع هي تملك وسيلة للتعيش من عملها "

أجابه شريف في سرعة :

" سيرتها حسنةٌ ومشهودٌ لها بالنزاهة والشرف "

" أحسنت هذا وضع أمامي خيارًا واحدًا فناةٌ شابةٌ وحسنة  
المظهر جسدها نديٌّ فارعٌ بالطبع كانت القضية ملفقةً وأنت

بالتأكيد تعلم ... خَظَفُ الطفل ووضعه بداخل تلك الشقة بدون أن يراني أحد مع العرض على وجود وسيلة اتصال بين الإنترنتين ... الاتفاق مع مخبر من مخبري الأمن على الإبلاغ عن ذلك البيت في هذا الوقت تحديداً ولو أن الأمر كله كان سيفسد لو أن الضابط تأخر لمدة دقائق ... حمداً لله تم الأمر في اللحظات الأخيرة "

بدأت علامات الفهم على وجه شريف و هو يسترجع كلمات سنية و موقفها قبل أن يقول بصوتٍ خافت :

" الآن فهمت كل شيء      إذًا بهي لا علاقة له بالأمر ... مجرد طفلٍ متوحد

اتسعت ابتسامة بهاء على وجهه و هو يقول :

أنظن هذا ؟؟      ألم تفكر لماذا قررت العودة للوطن في مثل هذا التوقيت بالذات ! ... ألم تسأل نفسك لماذا لم أقتله؟ ... ألم تتساءل بنفسك عن الأحدا \* التي حدثت في المصحة ... هل هناك تفسيرٌ مقنعٌ ليكون هناك شخصٌ في مصحةٍ نفسيةٍ يستمع لأغنيةٍ عن حكم الشيطان للأرض ؟؟ ... هل من الطبيعي أن تُطعن تلك الممرضة فجأةً و بدون مقدمات ؟؟      هل فكرت في العطل الكهربائي الذي بسبب إضاءة نصف المكان فجأة ؟؟ "

بدأت الحيرة على وجه شريف و هو يسأله :

" ألم تقل أنها صدف ؟؟ "

"ولماذا تثق بي ؟"

صمت شريف وهو يشعر بالحيرة ، لم تكن أيُّ من كلماته قادرةً على تفسير الأمر أو محاولات تبريره قرر أن أقصر الطرق هو الخط المستقيم فقرر أن يلجأ للهجوم المباشر:

"هل يهمني ذاتويّ طبيعيّ أم أنه مستحوز عليه من قبل شيء ما ؟"

"قلت لك من قبل حتى لو أجبتك ... ستثق في إجابتي ؟؟"

"حتى إن لم أثق ... أريد أن أسمعها منك"

"حان وقت إنهاء اللعبة"

أنهى كلماته وهو يتحرك سريعاً ليضيق كل ... راقبه شريف  
و هو يفهم كيف كان الصوت يأتي من المختلفة كان  
يتحرك بسرعة ورشاقة أفاق من دهشته بع تحكم الظلام  
مرة أخرى في الوضع بأكمله ، ساد الصمت وساد صوت  
بهاء يعلو بحرص شديد ، يبدو أنه يتحدث عبر نظام صوتي ما يُشعر  
شريف أن الصوت يأتي من كل مكان أ يشعر بالدوار أ يرى  
خيالات وظلالاً تعدو وسط الظلام ، شعر أن لون الخيالات المائل إلى  
الحمرة يخترق الظلام قبل أن يغوص بداخله ، يبدو أن بهاء يضع شيئاً  
ما في الهواء ، من الممكن أن يكون بهاء تسلل له في الظلام ورش أمامه  
أحد المخدرات أو المهدئات ، لا يبدو الأمر طبيعياً على الإطلاق ، بدأ يرى

شخصاً ما يتحرك في الظلام يظهر هنا و يختفي هناك صوت  
 قهقهات شريرة يظهر وسط كلمات بهاء التي لا يستطيع أن يسمعها  
 بدأ يستجمع شتات تركيزه إلا أن الأمر كان أقوى منه وضع يده في  
 جيب معطفه ليتناول الخزنة الاحتياطية ، تحسسها بيديه ليجد أنها لا  
 تحمل سوى وليدين يجب أن يُحسِن استخدَماهما سمع صوت  
 النكة التي تخبره أنها نامت بأمانٍ في المكان المخصَّص لها في المسدس ،  
 لم يعد يستطيع التوقف على قدميه ، هبط على ركبتيه وهو يشعر أن  
 المكان يدور من حوله بشدة أغلق عينيه وهو يتخيل الأمر منذ قام  
 من مكانه ، تتبع حركاته في خياله قبل أن يصمت للحظة استدعى فيها  
 التركيز ليركع تحت قاذف حدد هدفه وفتح عينيه وهو يدور بجسده  
 على الأرض بسرعة أصابته عذبة بقوة  
 أصابته جهاز القاذف بطنه فتولّد منه انفجارٌ كهربائيٌ مصحوباً  
 بشرارةٍ ناربةٍ اسب لحظةً حدد فيها شريف هدفه و أطلق ثاني  
 رصاصاته قبل جسده يلقى على الأرض ، شعر بالأرضية الباردة  
 تحتضن وجهه و هو يسمع صوت شيءٍ ثقيل يسقط أرضاً و هو  
 يستسلم و يغمض عينيه و لا يعرف هل سيفتحهما مرةً أخرى أ  
 الأمر انتهى

\*\*\*

فتح شريف عينيه في تناقل ، لوهلةً اعتقد أنه فقد حاسة الإبصار ، إلا  
 أن الذكريات بدأت تتدافع لتلج إلى عقله من باب الوعي الضيق ، أغلق

عينية للحظة وهو يستجمع أعصابه و يبدأ في التركيز . لم يدركم من الوقت من إلا أنه لاحظ أن هناك ضوء يدخل إليه من بين ثنيات النافذة يبدو أن الصباح قد حضر و الشمس قد حكمت ، اسلند يديه على الأرض وهو يقف ، شعر بالدوار إلا أنه كان أقوى منه ... لم يترنح ، وقف وذهب حيث يتسلل الضوء وفتح النافذة ليسمح للضوء أن يدلف إلى الغرفة أثارها بأكملها وكأنه فرح بدخوله ألقى بجسده على الأريكة التي جلس عليها معظم الليل و هو يتابع الغرفة بعينه التلغازيقع أرضاً وهو مكسور ... العديد من الزجاج متناثر أرضاً نظر للسقف فوجد العديد من المصابيح المهشمة على المنضدة أمامه يقف جهازاً تفحصه بين يديه بعد أن عرف ماهيته إنه جهازٌ للتحكم في الإضاءة ، يبدو أنه كان المستخدم لتدمير المصابيح وللضوء الأحمر ، بجوار الحائط تسقط جثة بهاء وقد زُين وجهه بثقب أهداه له شريف و بزغ في رسمه برصاصة انطلقت من بين شفتي مسدسه ، و بجواره كانت تقبع زجاجة مخدر ، فهم منها شريف سبب الخيالات التي هاجمته أغلق عينيه و هو يتخيل لو كانت رصاصته الأخيرة أخطأت هدفها فتح عينيه و هو يتحرك ببطء ليقف بجوار جثة بهاء ثم يبصق عليها ، نظر لجثة كريستين باشماتراز ، أخرج هاتفه المحمول من جيبه إلا أنه وجدته ميتاً ، نظر لجثة عمر و بعزن ، حاول منع عينيه من التزييف حزناً عليه و هو يتفحص الشقة ، دلف إلى حجراتها حتى وجد ضالته بهي بنام و كأن شيئاً لم يحدث ، حمله بعنانٍ و هو يحتضنه قبل أن يتذكر كلمات بهاء فيبعده كاللصود و هو

بجامل ابتساماً ارتسمنت على شفثيه , خرج للصالة وفتح الباب قبل  
أن يضع الطفل على المنضدة وهو يقول :

٧٠ تتحرك من هنا "

حمل جثة عمرو وهو يغالب حزنه وهبط ليضعها في السيارة , أحكم  
وضعه على المقعد الخلفي وكأنه مازال حيًا , صعد مرةً أخرى ليفلق  
باب الشقة وهو يحمل الطفل ليضعه بجواره على كرسي سيارته و  
يلقي نظرةً أخيرةً على البناية في امرأة السيارة طالعت النافذة التي  
فتحتها بتحبٍ وكأنها تذكّره أنها لن تنسى دوره .

\*\*\*\*\*

دلف شريف إلى مكتب العقيد كامل الذي انتفض «بين رآه , زمجر  
العقيد بقوة وهو يصرخ في غضب :

" كيف حدث هذا ؟؟ لم تتركنا لنا العنوان وتركتمنا طوال الليل  
ليأكلنا القلق ... الوزارة باكملها تتابع الأمر ... أين عمرو ؟؟ "

وضع الطفل أمامه على المكتب وهو يخلع جراب مسدسه عن صدره و  
يضعه بجواره , تحدث بصوت يقتله الإرهاق :

"الطفل هنا القانوني أن يتم تسليمه للمصحة و منها لسلية مرء  
أخرى ... هي أصبلح الأشخاص لتحمل تلك المسؤولية , عمرو في الخارج  
للأسف لم أستطع حمايته و قُتل بسببي

غلبته دموعه عند تلك النقطة فجلس و هو يخفي وجهه في كفيه و  
يبكي كما لم يبكي من قبل , كان يُخرج ضغطه النفسي و العصبي و  
توتره , تمالك نفسه و هو يقول للعقيد كامل :

"أحتاج لأجازة"

"ليس قبل أن تقصّ عليّ ما حدث بالكامل"

قصّ عليه الأمر بأكمله , لم ينسَ تفصيلاً واحدة , كان شديد الحرص  
على قصّ الأمر كما حدث , لم يُخف شيئاً : أنهى كلماته و تطلّع لوجه  
مديره الشاحب و هو يستدعي الجندي المسؤول عن «مراسة مكتبه و  
يأمره أن يذهب ليخبر القوة أن تستعد و أعطاه العنوان الذي  
سيذهبون إليه بينما طلب من شريف أن يصطحبه للمشفى .

أنهى شريف الفحوصات الطبية اللازمة و خرج من باب المشفى و هو  
يشعر بالدوار , كان في حاجة ماسة للراحة , اقترب من الباب فلاحظ  
دخول المسعفين يحملون جسدتين مغطين , أوقفهم بحرصي و كشف  
عن وجههما , نظر يبرود لجثتي بهاء و كرستين قبل أن يتبادل مع

العقيد كامل نظرة لا معنى لها . ريت العقيد كامل على كتفه بهنوء و هو يقول بصوتٍ حلون :

"فلتذهب لبيتك ... انتهى الأمر ... أجازتك سارية و مفتوحة ... عندما تشعر أنك مستعدّ غد لاستلام وظيفتك ... سنفتقدك "

ابتسم شريف في إرهابي و هو يرحل قبل أن يسمع صوت العقيد يناديه فتوقف ونظر له . أتاه صوت العقيد مصحوبًا بابتسامة :

"لا تنس زيارة طبيب نفسي"

مز رأسه بالموافقة و هو يعلم بداخله أنه في أمس الحاجة للخضوع لجلسات تأهيل نفسي . ذهب لمزله لكي يطمئن على زوجته , كان شهرها الأول من الحمل و يجب عليه أن يرعاها ... جيدًا .

\*\*\*\*\*

أنهى شريف كلماته و هو يتسم للطبيبة التي تألفت اليوم و في آخر جلساتها بفستان أخضر رقيق , مدت يدها إلى شعرها المنساب على كتفها و هي تقول :

"والآن أنت هنا و في آخر جلساتك"

قال بصوتٍ واثق

"والآن أنا هنا وفي آخر جلستاتي

أعتقد أن هاجس الاستحواذ زال يطاردك !!"

فالتها وهي تقوم من مجلسها للتسيري دلالٍ لم يعرف هل هو طبعها أم  
أنه شيء خاص ، وصلت للمكتبة وهي تنتقي كتاباً منها وتعطيه إياه :  
تأمله وهو يقرأ العنوان ببطء :

### الذاتوية

"إعاقة التوحد لدى الأطفال

إعداد الدكتور / عبد الفتاح سيد سليمان

كلية التربية - جامعة عين شمس

نظر لها قبل أن تقول بصوتٍ هادئ :

"بين درفتي هذا الكتاب ستجد ضالتك ... تفسيرٍ مقنّع لكل ما تخشاه  
... عندما تنتهي من قراءة أنا متأكدة أنك ستقتنع

لم يعرف لم شعريين كلماتها بنبرة عدم ارتياح ، كل ما قصّه عليها وفي  
النهاية تقدّم له كتاباً !!

قرر أن يتلع غضبه وهو يقول بصوتٍ منخفض :

زوجتي تلد ... تركت المنزل بالأمس و سيخبرونني عندما تلد

ظهرت بواذر الفرحة على وجهها و هي تجلس على مقعدها :

"مبارك لك ... بإذن الله سترزق بالنزيرة الصالحة لأنك رجل صالح "

ابنهم في قوة و هو يحمل الكتاب ليضعه أمامها في صمت و يقول :

" حسنًا لو أن الأمر سيُفسَّر بين درفتي كتاب ... اعتبرني اقتنعت دون  
بذل أي مجهود "

ابتسمت و هي تقول له :

" عن اقتناع ؟ "

" عن اقتناع "

" في رعاية الله "

مدّت يدها لتصافحه فصافحها في حماس , قرر أن يخرج من عندها  
ليذهب فورًا في زيارة قصيرة للعقيد كامل ليستعيد وظيفته بعد أن  
استقر نفسيًا على أمرها .

\*\*\*\*

خرج شريف من باب القسم و هو يتسم , شعر أن جزءاً منه كان  
مفقوداً وعاد مرةً أخرى , تحسن مسدسه في فخر , وقف أمام الباب  
و هو يخرج هائفه من جيبه بحث لوهلة حتى وجد ضالته , اتصل  
بالرقم و انتظر قليلاً حتى أتاه صوتٌ كان ينتظره , صوتٌ أنشوي دافٍ :

" سيد شريف "

" سنية ... كيف حالك "

" بخير ... منذ زمن لم تتصل "

" كنت في رحلة تأهيل نفسي طويلة ... بهي ... ما أخباره ؟ "

" بهي ... بهي "

أ أن فرحتها تغالبا حتى لتخفق الكلمات في حلقها من شدة الفرح  
صمتت للحظة قبل أن تقول بصوتٍ يُشرق فرحاً بهي يتحسن  
بشدة ... هل تصدق أنه نظرت لي اليوم ... لم تتعد الثواني ولكنه تحسن  
مهر "

" بهي يتحسن إذا ؟؟ "

" بسرعة خارقة "

" أتم الله شفاه على خير "

المعلق الهاتف قبل أن يعلو صوت رنينه مرة أخرى ، أجابه قبل أن تبو  
علامات التوتر على وجهه :

" متى ... أين ؟؟ ... وكيف حالها !! "

لم تمر سوى دقائق وكان على باب المشفى ، دخل بسرعة وسأل عن  
المكان الذي يبغيه في الاستقبال ، بخطوات تصابق الزمن صعد درجات  
السلم فلم يُخلق صبراً أن ينتظر المصعد حتى يتم رحلته ، وصل للدور  
المطلوب قبل أن يقف على السلم بتوتر ، العرق المالح يلسع عينيه ،  
هناك شيء خاطئ ، فتح فمه في فزع ... هناك سحابة من الكآبة تهاجم  
هذا المكان ، برق من الآلام ورعد من الأحزان وأمطار من القهر تسطر  
على هذا الدور ، رأى أخت زوجته تبكي في قهر . أمها تكاد تعترض حزناً  
، وجوه الأطباء والمرضات مكفّهة سواداً ، شعر بقلبه بكاء يتوقف :  
في خطوات بطيئة يقتلها التوتر اتجه إلى أختها ، وضع يده على كتفها  
فرفعت وجهها يتزف حزناً ، تأملته في حزن وهي تقول :

" لقد أدت أمانتها بينما استرد الله أمانته "

لم يصدق ذهب بسرعة ليعترض طريقه أحد الأطباء الذي نظر  
للأرض وهو يقول :

" لقد فعلنا كل ما استطعنا عليه ... إدع لها "

جری إلى الغرفة فاعترضه زوج من الممرضات و أمسكنه بقوة وهو  
يصرخ لا يريد أن يصدق ... وضعت حماؤه يدها على كتفه فهدأ,  
نظرلها وعيناهما تحملان العديد من الكلمات , بادرت بصوت حزين :

" إذهب إلى ابنك ... فأنت تحتاجه قدر احتياجه لك "

تذكر شرف كلمات سنية عن تحسن بهي و المرارة تتصاعد في حلقه ,  
دلف إلى الغرفة وهو يطرد الممرضة منها بغضب خرجت بسرعة  
فأغلق الباب من خلفها بالمفتاح حمل رضيعه بهدوء وهو ينظر في  
عينيه ويحدثه

" لن أجازف مرة أخرى , أعلم جيدًا أن لن نحيا حياة سوية ... سأظل  
دائمًا مقتنعًا أنه بداخلك الشك تنمو بداخلي لا  
يوجد سوى حل واحد

أخرج مسدسه , وهو يبكي موعه على وجه الرضيع  
الذي نظر له ببراءة دوى صوت الغرفة فساد  
الصمت وتحجرت الدموع تجفئ الجميع انقبضت القلوب كلها و  
هي تتساءل أيهما رجل وأيها ظن هنا

هناك جريمة قتل بشعة ... و هناك متحم واحد ... المشكلة كلها أنه طفل لا  
 يتمتع الثلاث سنوات !!!  
 كل الأدلة تشير إليه و كل المستجدات تبرز إتهامه ... المزيد من جرائم القتل  
 تلاحقه !!  
 تصرفات غير طبيعية تحيط به ... أعمال ليست من أعمال البشر ... صرخات غريبة  
 و حركات أغرب !!!  
 محقق شرطة بارع يحاول جاحذا أن يتخطى حدود الله معقول و يحاول أن يرسو  
 بسفينة أدلته على شواطئ الواقعية إلا أن الأمر كان أقوى منه !  
 هذه الجرائم ليست من صنع البشر !  
 هذه الأحداث ليست منطقية !  
 و هذا الطفل ليس طفلاً طبيعياً ... أيذا

محمم الفلاف : أسامة علام

